

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

الناشر

دار العفاني

القاهرة: ٣ درب الأتراك - الدور الثاني - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٠٨٢٥٧ / ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

بني سويف: برج الزهي - بجوار مجمع المحاكم

ت: ٠٨٢٢٣١٧٣٤٤/٠١٠١٧٥٦٢٩٦

○ الطبعة الأولى ○

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٨٤٩٨ / ٢٠٠٥

الناشر

دار العفاني

القاهرة : ٣ درب الأتراك - الدور الثاني - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٠٨٢٥٧ / ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

بني سويف : برج الري - بجوار مجمع المحاكم

ت : ٠٨٢٢٣١٧٣٤٤ / ٠١٠١٧٥٦٢٩٦

إمتاع الأسماع

بفضل الإتباع وذم الابتداع



مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمدَ لله ، نَحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له .. وأشهدُ ألاَّ إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه .

﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسْلمُونَ ﴾ .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الّذي خَلَقَكُمْ منْ نَفْسٍ وَاحدَة وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيرًا وَنسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديدًا * يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا ﴾ .

أمَّا بعدُ .. فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الْهَدي هَديُ مُحمَّد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالة في النار ... وبعد :

فكتابي هذا فصلٌ من المَجموع الكبير (زهر البساتين في مواقف العلماء والربانيين) .. أفردتُه تَحت مسمًّى (إمتاع الأسْماع بفضل الاتِّباع وذمِّ الابتداع) لتربية الأجيال على التمسُّك بالاتباع والبعدِ عن الابتداع -ولو غَلَت بِها القُدورُ في ذات الله- .

والدعوةُ إلَى الاتباع خيرُ وسيلة لاتِّحاد الأُمَّة ، فمن أجاب الدعوةَ فقد أصاب الخيرَ كلَّه ، ومَن ردَّها فإنَّما يردُّ سيدَ البشرِ ﷺ وردَّ أعظمَ العلم :

العلمُ قـــال اللهُ قـــال رسولُــه ... قال الصحابةُ هم أولُو العرفانِ

ما العلمُ نَصبُك للخلافِ سفاهةً ... بين النبـــيِّ وبيـــن رأيِ فلانِ

ونذكرُ هنا سادات أهلِ الاتباع وأقوالَهم فِي التمسُّك بالسُّنة والدعوةِ إلَى الحياة فِي ظلِّها ، والنهي عن شواذِّ البدع وجحيمِها ، وأُكحِّلُ جفونَ القلب بالوحيين ، وأُحذِّرُ كُحولَهم بكثرة العُميان ، ولن يَصلُحَ آخرُ هذه الأُمَّةِ إلاَّ بِما صَلَح به أوَّلُها ، وما لَم يكن دينُنا على عهد مُحمَّدٍ ﷺ لا يكون اليومَ دينَنا ، فإنَّ الأوَّلَ لَم يَدَعْ للآخرِ مَقالاً .

قال أحْمد بن حنبل -رحِمه الله-: (الاتِّباعُ أن يَتَّبعَ الرجلُ ما جاء عن النبِيِّ ﷺ وعن أصحابه) .

وقال الأئمَّة : (كلٌّ يُؤخَذُ من قوله ويُترك ، إلاَّ رسولُ الله ﷺ) .

فإياك أن تَحيدَ عن الطريق وتُقدِّمَ على قولِ رسول الله ﷺ قولاً وُضع أمامك .

قال ابنُ عباس -رضي الله عنهما-: (يُوشِكُ أن تنْزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ، أقولُ : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكرٍ وعمر !) .

وقال ابنُ مسعود -رضي الله عنه-: (اتَّبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كُفيتم) .

والله لو لَم يكن للاتباع إلاَّ مَحبَّة الله لأهله لكفى بِها شرفًا .. قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

اللهمَّ اجعَلْنا من أهل الاتِّباع ، وزيِّنْه فِي قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الابتداعَ وبغِّضه إلينا ، واحشُرْنا مع نبيِّنا ﷺ .. آمين .

وكتبه

سيِّد بن حسين العفاني

٢٦ شوال ١٤٢٦ .. ٢٠٠٥/١١/٢٨

الفصل الأول

الأمرُ بالاتباع والنَّهيُ عن الابتداع : أعلى الأمرِ بالمعروف والنَّهي عنِ المُنكر

* * *

الأمرُ بالاتِّباع والنَّهيُ عن الابتداع : أعلى الأمرِ بالْمعروفِ والنَّهيِ عنِ الْمُنكَرِ

« طلبُ الحقِّ أجلى بالنُّفوس الأبيَّةِ منَ الشمس فِي رابعةِ النهار ، وقطبٌ تدورُ عليه هِممُ الأخيار ، وعُبابٌ[١] تَنصَبُّ منه جداولُ شَمائلِ الأطهار ، ومتَى عَلَتِ الْهِمَّةُ فِي طلبِ الحقِّ حَمَلت على مفارقةِ العوائدِ وطلب الأوابدِ[٢]، فإنَّ الحقَّ فِي مِثلِ هذه الأعصار قلَّما يعرفُه إلاَّ واحدٌ ، وإذا عظُم المطلوبُ قَلَّ المُساعِد ، فإنَّ البدعَ قد كثُرت ، وكثُرتِ الدُّعاةُ إليها والتعويلُ عليها ، وطالبُ الحقِّ اليومَ شبيهٌ بطُلاَّبه فِي أيامِ الفَترة ، وهم : « سلمانُ الفارسيُّ ، وزيدُ بن عمرِو بنِ نُفيل » ، وأضرابُهما -رحمهم اللهُ تعالَى-، فإنَّهم قدوةٌ لطالب الحقِّ ، وفيهم له أعظمُ أُسوة ، فإنَّهم لَمَّا حرِصوا على الحقِّ وبَذلوا الجَهدَ فِي طلبه ، بَلَّغهمُ اللّه إليه ، وأوقَفهم عليه ، وفازوا من بينِ العوالِمِ الجَمَّة .. فكم أدركَ الحقَّ طالبُه فِي زمنِ الفَترة ! وكم عَمِيَ عنه المطلوبُ له فِي زمنِ النُّبوَّة[٣]! فاعتبِرْ بذلك ، واقتَدِ بأولئك ؛ فإنَّ الحقَّ ما زال مَصُونًا

(١) **العُباب** : السَّيل الغزير .

(٢) **الأوابد** : الدَّواهي .. والمراد هنا : الصِّعابُ والمشاقُّ التِي تقود للنِّهايات السَّعيدة .

(٣) نعم .. فإن أقوامًا رأوا رسول الله ﷺ لكنهم ظلُّوا على كُفرهم عياذًا بالله .. كما ثبت عن جُبير بن نُفير قال : جَلَسْنا إلَى المِقدادِ بن الأسود رضي الله عنه يومًا ، فمرَّ به رجلٌ ، فقال : طوبَى لِهاتَين العَيْنين اللتين رأتا رسولَ الله ﷺ .. واللّهِ لَوَدِدْنا أنَّا رأينا ما رأيتَ وشهِدنا ما شهدتَ .. =

عزيزًا ، نفيسًا كريْمًا ، لا يُنالُ مع الإضراب عن طَلبه وعدمِ التشوُّفِ والتشوُّقِ إلَى سببه ، ولا يَهجُمُ على المُبطِلِين المُعرِضِين ، ولا يُفاجِئُ أشباهَ الأنعام الغافِلين .. ولو كان كذلك ما كان على وجهِ الأرض مُبطِلٌ ولا جاهل ، ولا بَطَّالٌ ولا غافل»[1].

❁ للهِ دَرُّ[2] مَن تَمَسَّكَ بالسُّنة ، ودعا إلَى الاتِّباع ، ونَهى عن الابتِداع ، ولو غَلَت به القُدُورُ فِي ذاتِ اللّه :

للهِ دَرُّ من « اتَّخذَ اللّهَ وحدَه معبودَه ومرجُوَّه ومَخُوفَه[3] وغايةَ مَقصدِه ومنتهى طَلَبِه ، واتَّخذ رسولَه ﷺ وحدَه دليلَه وإمامَه وقائدَه وسائقه ، فوَحَّد

= فاستُغضب المقدادُ ؛ فجعلتُ أعْجبُ ، ما قال الرجلُ إلاَّ خيرًا ! ثُمَّ أقبلَ المقدادُ إليه ، فقال : ما يَحملُ الرجلَ على أنْ يَتمنَّى مَحضَرًا غَيَّبَه الله عنه ، لا يَدري لو شَهِدَه كيف كان يكون فيه ؟!.. واللهِ لقد حضرَ رسولَ الله ﷺ أقوامٌ أكَبَّهم اللّهُ على مناخرهم فِي جَهنم ، لَم يُجيبُوه ، ولَم يُصدِّقوه .. أوَلاَ تَحمدون اللّهَ إذ أخرجَكم لا تَعرفون إلا ربَّكم ، مُصدِّقين لِمَا جاء به نبيُّكم ، قد كُفيتُم البلاء بغيركم ؟!..) الحديث ، [صحيح : رواه أحْمد فِي «المسند» ، والبخاري فِي «الأدب المفرد» ، وصحَّحه الشيخ شعيب الأرنؤوط فِي تَحقيق «المسند» (٢٣١/٣٩)] .

(١) « إيثار الحق على الخلق» ، للسيِّد مُرتضَى اليمانِي ، (ص٢٤ – مطبعة الآداب والمؤيَّد) .

(٢) تعبير (للهِ دَرُّه) معناه أن هذا الإنسانَ من فَلَتات الزمان .. و(الدَّرُّ) هو اللبَنُ .. فكأنَّ هذا الإنسانَ لَم يرضَعْ لبنًا عاديًّا ، بل رضع لبنًا خاصًّا جاء من عند الله فتميَّز به عن سائر الناس .

(٣) **مَخوفه** : أي من يَخاف منه فقط .

اللّهَ بعبادته ، ومَحبَّته ، وخوفه ، ورجائه .. وأفردَ رسولَه ﷺ بمتابعته ، والاقتداء به ، والتَّخلُّقِ بأخلاقه ، والتأدُّبِ بآدابه .

*** وللعبد كلَّ وقتٍ هجرتان :**

- هجرةٌ إلَى الله بالطلب ، والمَحبَّةِ ، والعبوديَّةِ ، والتوكُّلِ ، والإنابة ، والتسليمِ ، والتَّفويضِ ، والخوفِ ، والرجاءِ ، والإقبالِ عليه ، وصِدْقِ اللُّجْإ والافتقارِ فِي كلِّ نَفَسٍ إليه .

- وهجرةٌ إلَى رسوله ﷺ فِي حركاته وسَكَناته الظاهرةِ والباطنة ، بِحيثُ تكونُ موافِقةً لشرعِه -الذي هو تفضيلُ مَحابِّ اللهِ ومرضاتِه-، ولا يَقبَلُ اللّهُ من أحدٍ دِينًا سواه ، وكلُّ عملٍ سواه فعَيشُ النَّفسِ وحظُّها -لا زادُ المعاد-، قال بعضُ العارفين : كلُّ عملٍ بلا متابعةٍ فهو عيشُ النَّفس»[1].

فهذا هو الغريبُ حقًّا ، «والمؤمنون فِي أهلِ الإسلام غرباءٌ .. وأهلُ العلم فِي المؤمنين غرباءٌ .. وأهلُ السُّنة -الذين يُميِّزونَها من الأهواء والبِدَعِ- فيهم غرباءٌ .. والدَّاعون إليها الصابرون على أذَى المخالفِين : هم أشدُّ هؤلاء غربةً ؛ ولكنْ هؤلاء هم أهلُ الله حقًّا ، فلا غُربةَ عليهم ؛ وإنَّما غربتُهم بين الأكثرين الذين قال الله عزَّ وجل فيهم : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

فأولئك همُ الغرباءُ عن الله ورسولِه ودينه ، وغربتُهم هي الغُربةُ المُوحِشة -وإنْ كانوا هم المعرُوفِين المشارَ إليهم-، كما قيل :

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن قيِّم الجوزية ص (٧) .

فليس غريبًا مَن تناءَتْ ديارُه ولكنَّ مَنْ تَنْأَيْــنَ عنهُ غريبُ

غربةُ أهلِ اللهِ وأهلِ سُنةِ رسولِه بين هذا الخلق هي الغُربةُ التِي مَدَحَ رسولُ الله ﷺ أهلَها ، وأخبَرَ عن الدِّين الذي جاء به أنه : (**بدأ غريبًا**) ، وأنه : (**سيعودُ غريبًا كما بدأ**) ، وأنَّ : (**أهلَه يصيرون غُرباءَ**)[١].

وهذه الغُربةُ قد تكونُ فِي مكانٍ دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين قومٍ دون قوم ، ولكنْ أهلُ هذه « الغُربة » هم أهلُ اللهِ حقًّا ؛ فإنَّهم لَم يأْوُوا[٢] إلَى غيرِ الله ، ولَم ينتسِبوا إلَى غيرِ رسوله ﷺ ، ولَم يَدْعُوا إلَى غير ما جاء به ؛ وهمُ الذين فارقوا الناسَ أحوجَ ما كانوا إليهم ، فإذا انطلق الناسُ يومَ القيامة مع آلِهتهم ، بَقُوا[٣] فِي مكانِهم : فيُقالُ لَهم : (**ألاَ تنطلقون حيثُ انطلَق الناس ؟ فيقولون : فارَقْنا الناسَ ونَحنُ أحوجُ إليهم منَّا اليومَ**[٤]، **وإنَّا ننتظرُ ربَّنا الذي كنَّا نعبدُه**)[٥].

فهذه « الغُربة » لا وحشةَ على صاحبها ، بل هو آنسُ ما يكونُ[٦] إذا

---

(١) معاني حديث صحيح .

(٢) يأْوُوا : يلجؤوا ويَحتموا .. يقال : آوى ، يأوي ، إيواءً .

(٣) يعنِي أهلَ الغُربة .

(٤) أي : كنَّا فِي الدنيا نَحتاجُهم لنصرتنا أكثرَ من حاجتنا إليهم اليوم ، وبالرغم من ذلك تركناهم فِي الدنيا وأعرَضْنا عنهم ؛ فكيف نطلبُ منهم العونَ الآن ؟!.

(٥) جزءٌ من حديث صحيح : رواه الشيخان وغيرهُما .

(٦) أي : أعظمُ الناس أُنسًا بربِّه سبحانه .

استوحش الناسُ، وأشدُّ ما تكونُ وحشتُه إذا استأنَسوا[١]، فوليُّه اللّهُ ورسولُه والذين آمنوا -وإنْ عاداهُ أكثرُ الناس وجَفَوْه-.

ومِن صفات هؤلاء الغرباء -الذين غَبَطَهمُ[٢] النَّبيُّ ﷺ : التَّمسُّكُ بالسُّنة إذا رَغِب عنها الناسُ ، وتركُ ما أحدثوه -وإن كان هو المعروفَ عندهم-، وتَجريدُ التوحيدِ -وإن أنكرَ ذلك أكثرُ الناس-، وتركُ الانتسابِ إلَى أحدٍ غيرِ الله ورسولِه[٣] -لا شيخٍ ، ولا طريقةٍ ، ولا مذهبٍ ، ولا طائفة-؛ بل هؤلاء الغرباءُ منتسِبون إلَى الله بالعبوديَّةِ له وحده ، وإلَى رسولِه بالاتِّباع لِمَا جاء به وحدَه .. وهؤلاء هم القابِضون على الجمر حقًّا ، وأكثرُ الناس -بل كلُّهم- لائمٌ لَهم .

فلِغُربتهم بين هذا الخلق : يعُدُّونَهم أهلَ شذوذٍ وبدعةٍ ومفارقةٍ للسَّواد الأعظم[٤]!!.

ومعنَى قول النَّبيِّ ﷺ : (**هُمُ النُّزَّاعُ من القبائل**)[٥]: أنَّ اللّه سبحانه بعث رسولَه وأهلُ الأرضِ على أديانٍ مُختلفةٍ ، فهم بين عُبَّادِ أوثانٍ ونيرانٍ ،

---

(١) فإنَّ الغريبَ لا يفرحُ بدنياهم أو بأي متاعٍ رخيص .

(٢) **غَبَطهم** : أُعجب بعملهم .. وأصلُ (الغبطة) : تَمنِّي ما عند الغير من خيرات دون تَمنِّي زوالِها عنهم .

(٣) الانتسابُ إلَى الله معناه : تَحقيقُ وإخلاص العبودية .. والانتساب لرسوله ﷺ معناه : تَحقيق وإخلاص المتابعة .. كما سيتضح قريبًا .

(٤) **السَّواد الأعظم** : يُقصد به هنا عامَّةُ الناس .

(٥) هذه إحدى روايات حديث (**بدأ الإسلامُ غريبًا**) .

وعُبَّادِ صُوَرٍ وصُلْبان ، ويهودَ وصابئة[١] وفلاسفة ، وكان الإسلامُ فِي أول ظهوره غريبًا ، وكان مَن أسلَمَ منهم واستجابَ لله ورسولِه : غريبًا فِي حَيِّه وقبيلتِه وأهلِه وعشيرته ، فكان المستجيبون لدعوةِ الإسلام نُزَّاعًا من القبائل -بل آحادًا منهم-، تغرَّبوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلُوا فِي الإسلام ، فكانوا همُ الغرباءَ حقًّا ، حتَّى ظهر الإسلامُ ، وانتشرت دعوتُه ، ودخل الناس فيه أفواجًا ، فزالت تلك الغربةُ عنهم .

ثُمَّ أخذ [الإسلامُ] فِي الاغتراب والترحُّل ، حتَّى عاد غريبًا كما بدأ ؛ بل الإسلامُ الحقُّ -الذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ﵃- هو اليومَ أشدُّ غُربةً منه فِي أوَّل ظهورِه[٢]، وإن كانت أعلامُه ورُسُومُه الظاهرةُ مشهورةً معروفة ؛ فالإسلام **الْحقيقيُّ** غريبٌ جدًّا ، وأهلُه غرباءُ أشدَّ الغربةِ بين الناس .

وكيف لا تكونُ فِرقةٌ واحدةٌ قليلةٌ جدًّا ، غريبةً بين اثنتَينِ وسبعين فرقةً ، ذاتِ أتباعٍ ورِئاسات[٣]، ومناصبَ وولاياتٍ ، ولا يقومُ لَها سُوقٌ إلاَّ بِمُخالفةِ ما جاء به الرَّسولُ ؟! فإنَّ نَفسَ ما جاء به يضادُّ أهواءَهم ولذَّاتِهم ، وما هم عليه من الشُّبهاتِ والبِدع -التِي هي منتهى فضيلتِهم وعَمَلِهم-، والشهواتِ -التِي هي غاياتُ مقاصدِهم وإراداتِهم-؟.

---

(١) **الصَّابئة** : الذين ليس لَهم دينٌ -على أحد التفاسير-؛ وانظر : تفسير ابن كثير للتعرف على بقية المعاني (١/ ٤٣٢ - ط : أولاد الشيخ) .

(٢) هذا فِي زمان الإمام ابن القيِّم .. فكيف الحال فِي أيَّامنا ؟!.

(٣) يعنِي هؤلاء الفِرَقَ الاثنين وسبعين .

فكيف لا يكونُ المؤمنُ السائرُ إلَى اللهِ على طريقِ المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتَّبعوا أهواءَهم ، وأطاعوا شُحَّهم[1]، وأُعجبَ كلٌّ منهم برأيه ؟!

كما قال النَّبيُّ ﷺ : (**مُرُوا بالمعروف ، وانْهَوْا عن الْمُنكر ، حتَّى إذا رأيتُم شُحًّا مطاعًا ، وهوًى مُتَّبَعًا ، ودنيا مؤثَرةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه ، ورأيتَ أمرًا لابدَّ لك به ، فعليك بخاصَّة نفسك ، وإيَّاك وعوامَّهم ؛ فإنَّ وراءَكم أيامًا صَبرُ الصابرِ فيهنَّ كالقَبضِ على الجَمْرِ**)[2].

ولِهذا جُعل للمسلم الصادقِ فِي هذا الوقت -إذا تَمسَّك بدينه-: أجرُ خَمسينَ من الصحابة ، ففِي سُنن أبِي داودَ والترمذيِّ -من حديث أبِي ثعلبةَ الخُشَنيِّ ﷺ- قال : سألتُ رسولَ اللّه ﷺ عن هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] ، فقال[3]: (**بلِ ائتَمِروا بالمعروف ، وتناهَوْا عنِ المنكر ، حتَّى إذا رأيتُم شُحًّا مطاعًا ، وهوًى متَّبعًا ، ودنيًا مؤثَرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه ، فعليك بخاصَّة نفسك ، ودَعْ عنك العوامَّ ، فإن من ورائكم أيامَ الصَّبر ، الصَّبرُ فيهنَّ مثلُ القَبضِ على الجمر ، للعاملِ فيهنَّ أجرُ خَمسينَ رجلاً يعمَلون مثل عملِه** .. قلتُ : يا رسولَ الله ، أجرُ خَمسين منهم ؟ **قال : أجرُ خَمسين**

(١) الشُّح : البُخلُ مع الحرص ، ويكون فِي المال والجاه والصِّحَّة وغير ذلك .

(٢) سيأتِي قريبًا مطولاً .

(٣) معنَى سؤال أبِي ثعلبة ﷺ : هل فِي هذه الآية حُجَّةٌ على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاهتمامِ فقط بإصلاح النفس ؟.

منكم)[١].

وهذا الأجرُ العظيمُ إنَّما هو لغُربته بين الناس ، والتمسُّكِ بالسُّنةِ بين ظُلُمات أهوائِهم وآرائهم .

فإذا أراد المؤمنُ -الذي قد رزقَه اللّه بصيرةً في دينه ، وفقهًا في سُنةِ رسولِه ، وفَهمًا في كتابه-، وأراه ما الناسُ فيه من الأهواء والبِدع والضَّلالات وتَنكُّبهم[٢] عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسولُ الله وأصحابُه : **فإذا أراد أن يَسلُكَ هذا الصراط ، فلْيُوَطِّنْ نفسه على قَدْحِ الْجُهَّالِ وأهلِ البدعِ فيه ، وطَعنِهم عليه ، وإزرائِهم به[٣]، وتنفيرِ الناس عنه ، وتَحذيرِهم منه ، كما كان سلفُهم من الكُفّار يفعلون مع متبوعِه وإمامه ﷺ ، فأمّا إنْ دعاهم إلَى ذلك ، وقَدَح فيما هم عليه ، فهنالك تقومُ قيامتُهم ، ويبغُون له الغوائل[٤]، ويَنصِبون له الحبائل ، ويَجلِبُون عليه بِخَيلِ كبيرِهم ورَجْله[٥].**

فهو غريبٌ فِي دينه لفسادِ أديانِهم ؛ غريبٌ فِي تَمسُّكه بالسُّنة لتمسُّكهِم

---

(١) **حسن** : رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) -واللفظ له-، وقال : حديث حسن غريب .. وابن ماجة (٤٠٠٥) ، والمروزي في «السنة» (٩) من حديث عتبة بن غزوان ، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٨/١٤) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط-: «للحديث شواهد يتقوّى بها» .. وحسَّنه الشيخ حُسين الدَّارانِي فِي تَحقيق «صحيح ابن حبان» .

(٢) **التنكب** : الانحراف .

(٣) **الإزراء** : الاحتقار .

(٤) **الغوائل** : الشرور .. مفردها : (غائلة) .

(٥) **يَجلبون** : يُثيرون عليه الأمور .. **كبيرهم** : زعيمهم .. **رَجْله** : أعوانه .

بالبِدع ، غريبٌ فِي اعتقاده لفسادِ عقائدهم ، غريبٌ فِي صلاتِه لسوءِ صلاتِهم ، غريبٌ فِي طريقِه لضلالِ وفسادِ طُرقِهم ، غريبٌ فِي نِسبته لمخالفة نَسَبهم ، غريبٌ فِي معاشرته لَهم ، لأنَّه يعاشرُهم على ما لا تَهوى أنفُسُهم .

وبالجُملة : فهو غريبٌ فِي أمورِ دنياه وآخرتِه ؛ لا يَجدُ من العامَّةِ مساعدًا ولا معينًا ؛ فهو عالِمٌ بين جُهَّال ؛ صاحبُ سُنَّةٍ بين أهلِ بِدع ؛ داعٍ إِلَى الله ورسولِه بين دُعاةٍ إِلَى الأهواء والبِدع ؛ آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكرِ بين قومٍ المعروفُ لديهم منكرٌ والمنكرُ معروفٌ»[١].

■ قال رسول الله ﷺ : (**ذاقَ طَعمَ الإيْمانِ مَن رَضِيَ باللهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبِمحمَّدٍ رسولاً**)[٢].

قال ابنُ قيِّم الجوزية –رحمه الله–:

« وهذه سهلةٌ بالدَّعوى واللسان ، وهي من أصعبِ الأمور عندَ الحقيقة والامتحان ، والرِّضا بنبيِّه ﷺ رسولاً يتضمَّنُ كمالَ الانقياد له ، والتسليمِ المطلقِ إليه ، بِحيثُ يكونُ أولَى به من نفسه ، فلا يَتَلَقَّى الهُدى إلاَّ من مواقِعِ كلماته ، ولا يُحاكِمُ إلاَّ إليه ، ولا يُحكِّمُ عليه غيرَه ، ولا يرضى بِحُكمِ غيرِه البتَّة ، لا فِي شيءٍ من أسْماءِ الرَّبِّ وصفاته وأفعاله ، ولا فِي شيءٍ من أذواقِ حقائقِ الإيْمان ومقاماتِه ، ولا فِي شيءٍ من أحكامِ ظاهرِه وباطنِه ، لا يرضَى بِحُكمِ غيرِه ، ولا يرضَى إلاَّ بِحُكمِه ، فإنْ عَجَزَ عنه ، كان

(١) «مدارج السالكين» (٢/١٩٦ : ٢٠٠) .

(٢) رواه أحْمد ومسلم والترمذي عن العباس بن عبدالمطلب .

تَحكيمُه غيرَه من باب غذاءِ المُضطرِّ إذا لَم يَجد ما يُقيتُه إلاَّ من الميتةَ والدَّم ، وأحسنُ أحوالِه أن يكونَ من بابِ التراب الذي إنَّما يُتَيَمَّمُ به عند العجزِ عن استعمال الماء الطَّهور .. ولا يبقَى فِي قلبه حَرَجٌ[1] من حُكمِه ، ويُسلِّم له تَسليمًا ، ولو كان[2] مُخالفًا لِمُرادِ نفسه أو هواها ، أو قولِ مُقَلَّدِه[3] وشيخِه وطائفته .

هاهنا يُوحِشُك الناسُ كلُّهم إلاَّ الغرباءَ فِي العالَم .. فإيَّاكَ أن تستوحشَ من الاغترابِ والتفرُّدِ ، فإنه -واللهِ- عينُ العزَّة ، والصُّحبةُ مع الله ورسولِه ، ورَوحُ الأُنسِ به ، والرِّضا به ربًّا ، وبِمحمَّدٍ ﷺ رسولاً ، وبالإسلامِ دينًا .. بلِ الصَّادقُ كلَّما وجدَ مسَّ الاغترابِ ، وذاقَ حلاوته ، وتَنَسَّم رَوحَه[4] ، قال : « اللهمَّ زدنِي اغترابًا ، ووحشةً من العالَمِ ، وأُنسًا بك » .. وكلَّما ذاق حلاوةَ هذا الاغترابِ وهذا التفرُّدِ ، رأى الوحشةَ عَينَ الأُنسِ بالناس ، والذُّلَّ عينَ العزِّ بِهم ، والجهلَ عينَ الوقوف مع آرائهم وزُبالةِ أذهانِهم ، والانقطاعَ عينَ التقيُّدِ برسومهم وأوضاعهم ، فلم يُؤْثِرْ بنصيبِه من الله أحدًا من الخلق ، ولَم يَبِعْ حظَّه من الله بِموافقتِهم فيما لا يُجدِي عليه إلاَّ الحرمان .

وغايتُه[5]: مَودَّةُ بينِهم فِي الحياة الدنيا ، فإذا انقطعتِ الأسباب ، وحُقَّت

---

(١) الْحَرَج : الضِّيق .

(٢) أي : حكم الرسول ﷺ .

(٣) بفتح اللام المشدَّدة : أي : مَن يُقلِّدُه .

(٤) الرَّوح -بفتح الراء-: العطر والعبير .

(٥) أي : غايةُ ما يُحصِّلُه المتَّبِعُ غيرَ الرسول ﷺ من مشايخَ وأتباع .

الحقائق ، وبُعثر ما فِي القبور ، وحُصِّلَ ما فِي الصدور ، وبُلِيَتِ السرائر ، ولَم يَجِدْ من دون مولاه الحقِّ مِن قوَّةٍ ولا ناصر : تبيَّن له حينئذٍ مواقعَ الرِّبح والخسران ، وما الذي يَخِفُّ أو يَرجُحُ به الميزان»[١].

■ عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي ظاهِرِينَ على الحقِّ حتَّى تقوم الساعةُ**)[٢].

■ وعن المغيرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين حتَّى يأتِيَهم أمرُ الله وهم ظاهِرون**)[٣].

■ وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمر الله ، لا يضرُّهم مَن خذَلَهم ولا من خالفَهم ، حتَّى يأتِيَ أمرُ الله وهم ظاهِرون على النَّاس**)[٤].

■ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي قوَّامةً على أمرِ الله ، لا يضرُّها مَن خالَفَها**)[٥].

قال يزيدُ بن هارون :

(إنْ لَم يكونوا أصحابَ الحديث ، فلا أدري مَن هم !) .

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/١٧٢ ، ١٧٣) .

(٢) **صحيح** : رواه الحاكم فِي «المستدرك» -وصحَّحه-، وصحَّحه الألبانِي فِي «صحيح الجامع» (٧١٦٤) .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه أحْمد والبخاري ومسلم .

(٥) **صحيح** : رواه ابن ماجه ، وصحَّحه الألبانِي فِي «صحيح الجامع» (٧١٦٨) .

وقال ابنُ المبارك :

(هم عندي أصحابُ الحديث) .

وقال ابنُ المَدِينيِّ :

(هم أصحابُ الحديث) .

وقال أحْمد بنُ حنبل :

(إن لَم تكن هذه الطائفةُ المنصورةُ أصحابَ الحديث فلا أدري مَن هم !) .

وقال البخاريُّ :

(يعنِي أصحابَ الحديث) .

وقال :

(هم أهلُ العلم)[1].

فأهلُ الحديث -حشَرَنا اللّهُ معهم- لا يتعصَّبون لقولِ شخصٍ معيَّنٍ مهما سَمَا وعلا -حاشا مُحمَّدٍ ﷺ-، وهم الذين هَدم اللّهُ بهم كلَّ بدعةٍ شنيعة ، فهم أُمناءُ الله فِي خليقتِه ، وهمُ الطائفةُ الظاهرةُ والفِرقةُ الناجية ، بل والأُمَّةُ الوَسَط ، الشُّهداءُ على الخَلق .

الدَّعوةُ إلَى الاتِّباع .. الدَّعوة إلَى الكتاب والسنة : منهجٌ للحياة ، ومنهجٌ للفكر ، ومنهجٌ للتصوُّر ، تُطلِقُ الإنسانَ مِن كلِّ قَيدٍ إلاَّ ضوابطَ الفِطرة .

■ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**ما مِن نَبيٍّ بَعَثه**

(١) راجع كتابنا : مبشرات النصر والتمكين (٩٨) .

اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قبلي إلاَّ كان له من أمَّته حواريُّون[١] وأصحابٌ يأخُذون بسُنَّته ، ويتقيَّدُون بأمره ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ من بعدِهم خُلُوفٌ[٢]، يقولون ما لا يَفعلون ، ويفعلُون ما لا يؤمَرون ، فمَن جاهَدَهم بيدِه فهو مؤمنٌ ، ومَن جاهَدَهم بلسانه فهو مؤمنٌ ، ومن جاهَدَهم بقلبه فهو مؤمنٌ ، ليس وراءَ ذلك من الإيْمانِ حَبَّةُ خردلٍ)[٣].

■ وقال ﷺ : **(إنَّ أُناسًا من أمتِي يأتون بعدِي ، يودُّ أحدُهم لو اشترى رؤيتِي بأهلِه ومالِه)[٤].**

■ وقال ﷺ : **(أشدُّ أُمَّتِي لِي حُبًّا قومٌ يكونون بعدي ، يودُّ أحدُهم أنه فَقَدَ أهلَه ومالَه وأنه رآنِي)[٥].**

حواريُّو الرَّسول ﷺ : مَن يأخُذُون بسُنَّته ، ويتقيَّدون بأمرِه ، وهم أنصارُ سنَّته ، يودُّ أحدُهم لوِ اشترى رؤيتَه بأهلِه ومالِه وولدِه ، وهم أعلى الناسِ هِمَّةً فِي اتِّباعِ هَديِه ، وحثِّ الناس على التمسُّكِ بسُنَّتِه ، وذمِّ أهلِ البدعِ والتنفِيرِ منهم .

---

(١) **الْحَوَارِيُّ** : الناصر .

(٢) **الْخُلوف** -بضم الخاء-: أتباعُ السُّوء .

(٣) رواه أحْمد ومسلم .

(٤) **حسن** : أخرجه الحاكم عن أبِي هريرة ، وحسَّنه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (٢٠٠٨) .

(٥) **صحيح** : رواه أحْمد فِي « المسند » عن أبِي ذرٍّ ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (١٠٠٣) .

قال تعالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصَّف : ١٤] .

« هذا الموضعُ الكريمُ الذي يرفعُهمُ اللّهُ إليه ، وهل أرفعُ من مكانٍ يكونُ فيه العبدُ نصيرًا للربِّ ؟! إن هذه الصفةَ تَحملُ من التكريم ما هو أكبرُ من الجنَّة والنعيم .. ﴿ كُونوا أَنصارَ اللهِ ﴾ .. فما أجدرَ أتباعَ مُحمدٍ ﷺ أن ينتدِبوا لِهذا الأمرِ الدائم ، كما انتدب الحواريُّون للأمرِ الموقوت ! » .

وفِي هذا استنهاضُ هِمَّة المؤمنين بالدِّين الأخير ، الأُمناءِ على منهجِ اللهِ فِي الأرض ، وورثةِ العقيدة والرِّسالةِ الإلَهيَّة ، المختارَينَ لِهذه المهمَّة الكبرى ، استنهاضُ هِمَّتِهم لنُصرةِ اللهِ ونصرةِ دينه .. فما أطعَمَه من مذاقٍ ! وما أعظمَها من مهمَّةٍ ! وما أعلاها من هِمَّة !! أن تتَّبعَ ، وتقودَ الناس إلَى الاتباع .

■ عن أنسٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**يأتي على الناس زمانٌ ، الصابرُ فيهم على دينِه كالقابضِ على الْجَمْرِ**)[١] .

■ وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ مِن ورائِكم زمانَ صبرٍ ، للمتمسِّكِ فيه أجرُ خَمسينَ شهيدًا منكم**)[٢] .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (٧٨٧٩) ، و« الصحيحة » (٩٥٥) .

(٢) صحيح : رواه الطبَراني فِي « الكبير » ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (٢٢٣٠) .

■ وعن ابن عمرو -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : **(طُوبَى للغرباء ، أُناسٌ صالِحون فِي أُناسِ سَوءٍ كثيرٍ ، مَن يَعصِيهم أكثرُ مِمَّن يُطيعُهم)**[١].

■ وقال ﷺ : **(إنَّ الإسلامَ بدأ غريبًا ، وسيعودُ غريبًا كما بدأ ؛ فطوبَى للغُرباء)**[٢].

■ وفِي روايةِ جابرٍ رضي الله عنه : **(الذين يَصلُحُون إذا فَسَد الناسُ)**[٣].

■ وعن أبِي موسى رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **(مَثَلُ ما بَعثنِي اللّهُ به من الْهُدى والعلمِ ، كمثلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ أرضًا ، فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قَبلَتِ الماءَ ، فأنبَتتِ الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ ، وكانت منها أَجادبُ[٤] أمسكتِ الماءَ ، فنَفَعَ اللّهُ بِها الناسَ ، فشَرِبوا وسَقَوْا وزَرَعُوا ، وأصابَ منها طائفةً أخرى ، إنَّما هي قِيعانٌ[٥] لا تُمسكُ ماءً ، ولا تُنبتُ كَلأً .. فذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دينِ اللّهِ ونَفَعه ما بَعثنِي اللّهُ به ، فعَلِم وعَلَّم ، ومَثَلُ مَن لَم يَرفعْ**

---

(١) صحيح : رواه أحْمد ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » رقم (٣٨١٦) ، و« الصحيحة » رقم (١٦١٩) .

(٢) رواه مسلم وابن ماجه عن أبِي هريرة رضي الله عنه ، والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه ، والطبَرانِي فِي « الكبير » عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس -رضي الله عنهم-.

(٣) صحيح : رواه الإمام أحْمد فِي « المسند » .

(٤) الأجادب : الصَّلبة .

(٥) القِيْعان : الأرض الملساء التِي لا تُنبت .

بذلك رأسًا ، ولَم يَقبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرسِلتُ به)[١].

(١) متفق عليه .

الفصل الثاني

جبالُ الصِّدق والاتباع

* * *

جِبالُ الصِّدقِ والاتِّباع

أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه :

□ انظرْ إِلَى الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول : (لستُ تاركًا شيئًا كان رسولُ الله ﷺ يعملُ بِهِ إلاَّ عَمِلتُ به ، إنِّي أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أَزِيغ) .

عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه :

□ قال -رضوان الله عليه- على المِنبر : (ألاَ إنَّ أصحابَ الرَّأي أعداءُ السُّنن ، أعيَتْهُمُ[1] الأحاديثُ أن يَحفَظوها ، فأفتَوا برأيهم ، فضَلُّوا وأضلُّوا ، ألاَ وإنَّا نَقتدِي ولا نَبتدِي[2]، ونتَّبعُ ولا نبتدع ، ما نَضِلُّ ما تَمسَّكْنا بالأثر) .

□ وقال رضي الله عنه : (اتَّهِموا الرأيَ على الدِّين ، فلقد رأيتُني أردُّ أمرَ رسول الله ﷺ برأيي اجتهادًا ، ووالله ما آلُو عن الحق[3]، وذلك يومَ أبِي جندل[4]، والكُفَّارُ بين يدَيْ رسولِ الله ﷺ وأهلُ مكة ، فقال : **اكتُبُوا** : « **بسم الله الرَّحْمنِ الرحيم** » . فقالوا : إنَّا إذن قد صدَّقْناك بما تقول[5]! ولكنْ اكتب : « باسْمك اللهمَّ » .. فرَضِيَ رسولُ الله ﷺ وأَبيتُ عليهم ، حتَّى قال : **يا عُمَرُ ، تَرَانِي قد رضيتُ وتأبى ؟!..** قال : فرَضيتُ) .

---

(١) **أعيتهم** : أعجزتْهم .

(٢) أي : نقتدي برسولنا متَّبعين ، ولا ننشئُ شرعًا جديدًا مبتدعين .

(٣) أي : ما كنت أريدُ غير الحق لَمَّا عارضته برأيي .

(٤) يقصد به : يوم صلح الحديبية .

(٥) أي : لو فَعَلْنا ذلك لكنَّا قد صدَّقناك فِي دعواك الرِّسالة !.

عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه :

□ قال رضي الله عنه : (أيها الناسُ ، لا تبتدِعوا ، ولا تَنطَّعُوا[١]، ولا تَعَمَّقُوا ، وعليكم بالعتيق[٢]) .

□ وقال رضي الله عنه : (اتَّبعوا آثارَنا ولا تبتدِعوا ، فقد كُفِيتُم) .

□ وقال عمرُو بن زُرارة : (وقف عليَّ ابنُ مسعود- وأنا أَقُصُّ[٣]، فقال : يا عمرُو ، لقد ابتدعتَ بِدعةً ضلالةً ، أو إنك أهدَى من مُحمَّدٍ وأصحابِه !.

فلقد رأيتُهم تفرَّقوا عنِّي ، حتَّى رأيتُ مكانِيَ ما فيه أحدٌ)[٤].

□ وعن سَيَّارٍ أبِي الحَكَم : (أنَّ ابنَ مسعود حُدِّثَ أن أُناسًا بالكوفة يُسبِّحون بالحَصى فِي المسجد ، فأتاهم وقد كَوَّمَ كلُّ رجلٍ منهم بين يديه كَوْمَةَ حَصًى .. فلم يزل يَحصبُهُم[٥] بالحَصى حتَّى أخرجهم من المسجد ، ويقول : لقد أحدثتُم بِدعةً ظَلْمًا[٦]، أو قد فَضَلتُم أصحابَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عِلمًا[٧]!) .

---

(١) التَّنطع : مُجاوزة الحدود الشرعيَّة .

(٢) العَتيق : القديم النفيس .

(٣) أي : أعظ الناس .

(٤) صحيح : رواه الطبَراني فِي «الكبير» بإسنادين ، أحدُهُما صحيحٌ -كما قال المنذري فِي «الترغيب والترهيب»-، وأخرجه الدارمي بنحوه أتَمَّ منه، وصححه الألبانِي فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٧) .

(٥) يَحصبُهم : يرميهم بالحصى .

(٦) ظَلْمًا -بفتح الظاء وسكون اللام-: مظلمة .

(٧) هذا بالطبع استنكارٌ من عبدالله رضي الله عنه .

□ ومَرَّ أيضًا ﷺ برجلٍ يَقُصُّ فِي المسجد على أصحابه وهو يقول : (سبِّحوا عشرًا ، وهَلِّلوا عشرًا ؛ فقال ابنُ مسعود : إنكم لأهدَى من أصحابِ مُحمد ﷺ أو أضلُّ !!.. بل هذه ، بل هذه .. يعنِي أضلَّ) .

□ وعن عَبْدَةَ بنِ أبِي لُبابةَ أن رجلاً كان يَجمعُ الناسَ فيقول : (رَحِم اللهُ مَن قال كذا وكذا مرةً : سبحانَ الله .. فيقول القوم .. فيقول : رحِم اللّهُ من قال كذا وكذا مرةً : الحمد لله .. فيقول القوم .. فمرَّ بِهم عبدُالله بنُ مسعود ﷺ ، فقال : لقد هُدِيتم لِمَا لَم يَهتدِ له نبيُّكم ، أو أنكم لَمُتَمَسِّكُون بذَنَبِ[١] ضلالةٍ !!) .

□ ومرَّ أيضًا ﷺ بامرأةٍ معها تسبيحٌ[٢] تُسبِّحُ به ، فقَطَعه وألقاه .. ثُمَّ مرَّ برجلٍ يُسبِّحُ بِحصًى فضَرَبه برِجله ، ثُمَّ قال : (لقد سَبقتم أو رَكبتُم بدعةً ظَلْمًا ، أو لقد غَلَبتم أصحابَ مُحمَّدٍ ﷺ عِلْمًا !!) .

□ وجاء المسيَّبُ بنُ نُجيدٍ إلَى عبدالله ، فقال : (إنِّي تركتُ فِي المسجد رجالاً يقولون : سبِّحوا ثَلاثَمئةٍ وستِّين ، فقال : قمْ يا علقمةُ ، واشغَلْ عنِّي أبصارَ القوم .. فجاء ، فقام عليهم ، فسمعهم يقولون ، فقال : إنكم لَتمسكُون بأذنابِ ضلالٍ ، أو إنكم لأهدَى من أصحابِ مُحمَّدٍ ﷺ !!.. أو نَحو هذا)[٣].

---

(١) **الذَّنَب** -بفتح الذال والنون-: الذَّيل .

(٢) أي : عنقود جُعلت فيه خَرَزات للتسبيح ، كالسُّبحة فِي أيَّامنا .. وانظر الكلام عليها فِي كتاب (السُّبحة) للشيخ بكر أبو زيد .

(٣) «البدع والنهي عنها» لابن وضَّاح القرطبِي (١٧ : ٢٠ - ط : الصفا) .

نعم يا صاحبَ سواكِ رسولِ الله ﷺ ؛ هذه آنيةُ مُحمَّدٍ ﷺ لَم تَجفَّ ، وثيابُه لَم تَبْلَ !!.

عبدُالله بن عباس ، تُرجُمانُ القرآن رضي الله عنه :

قد كان لتَرجُمانِ القرآن القِدْحُ المُعَلَّى فِي الاتباع .

□ فعن عروةَ بنِ الزبير أنه قال لابن عباس رضي الله عنه : (أضْلَلْتَ الناسَ ! قال : وما ذاك يا عروةُ ؟ قال : تأمرُ بالعُمْرة فِي هؤلاء العَشرِ[1] -وليست فيهنَّ عمرةٌ-! فقال : أوَلاَ تسألُ أُمَّك عن ذلك ؟! فقال عروةُ : فإنَّ أبا بكرٍ وعُمرَ لَم يفعلاَ ذلك . فقال ابنُ عباس : هذا الذي أهلَكَكُم ، والله ما أرى إلاَّ سيُعذِّبُكم ، إنِّي أُحدِّثُكم عن النَّبِيِّ ﷺ ، وتَجيؤون بأبِي بكرٍ وعمرَ !)[2].

□ وعنه رضي الله عنه قال : (أمَا تَخافون أن تُعذَّبوا أو يُخسَفَ بكم أن تقولوا : قال رسولُ الله ﷺ وقال فلان ؟!) .

□ وقال أيضًا رضي الله عنه : (أيها الناس ، توشكُ أن تنْزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ، أقول لكم : قال رسولُ الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر !) .

لله درُّك من طينٍ عُجِن بماء الوحي ، وغُرِس بماءِ الرِّسالة ، فهل يَفوحُ منك إلاَّ مِسكُ الْهُدى وعَنْبَرُ التُّقَى !!.

---

(١) يقصد عشر ذي الحجة .

(٢) صحيح : رواه أحْمد والخطيب فِي «الفقيه والمتفقه» بسند صحيح ، نقله الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد فِي كتابه : « العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون» - طبع مكتبة الغرباء الأثرية .

أبو سعيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه :

□ أخرج الشافعيُّ عن أبِي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه : (أنه لَقِي رجلاً ، فأخبَرَه عن رسول الله ﷺ شيئًا ، فخالَفه ، فقال أبو سعيدٍ : واللهِ لا آوَانِي وإيَّاكَ سقفُ بيتٍ أبدًا) .

عبدُالله بن الْمُغَفّل رضي الله عنه :

□ أخرج الشيخانِ عن عبدالله بن بُريدةَ أن عبدَالله بنَ الْمُغفَّلِ رأى رجلاً يَخذفُ[1]، فنهاه ، وقال : (إنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عن الخَذْف ، وقال : **إنه لا يَصيدُ الصَّيدَ ، ولا يَنكأُ العدوَّ ، ولكنه يَكسِرُ السِّنَّ ، ويَفقأُ العَين .**

فرآه بعد ذلك يَخذفُ ، فقال : أُحدِّثُك عن رسولِ الله ﷺ ثُمَّ تَخذفُ ! واللهِ لا أُكلِّمُك أبدًا) .

عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ رضي الله عنه :

□ أخرج الشيخان عن عمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنه أنه قال : (قال رسولُ الله ﷺ : **الْحَياءُ خَيرٌ كلُّه** .. فقال بُشَيرُ بنُ كعبٍ : إنَّا نَجدُ فِي بعض الكُتب : أن منه سكينةً ووقارًا ومنه ضَعْفًا .. فغَضب عِمرانُ بنُ حُصينٍ حتَّى احْمَرَّت عيناه ؛ وقال : أُحدِّثُك عن رسولِ الله ﷺ وتُعارِضُ فيه !!) .

□ وفِي روايةٍ : (وتُحدِّثُنِي عن صُحُفِك !!) .

□ ولفظُ ابنِ أبِي الدنيا فِي « مكارم الأخلاق » : (قال بُشَيرُ : إنَّ فيه ضَعفًا ،

---

(١) الْخَذْفُ : الرَّمي بالحجارة .. وفِي بعض روايات مسلم أن هذا الرجل كان قريبًا لعبدالله بن المغفل .. قاله الحافظ ابنُ حَجر .

وإنَّ منه لَعجزًا .. فقال عِمرانُ : أُحَدِّثُك عن رسولِ الله ﷺ وتَجيءُ بالمعاريض ! لا أُحَدِّثُك بحديثٍ ما عرفتُك .. فقالوا : يا أبا نُجَيد[١]: إنه طيِّبُ الْهوى .. وإنه .. وإنه[٢]؛ فلم يزالوا به حتَّى سكن) .

الإمامُ القُدوة ، شيخُ الإسلام ، الْمُتعبِّدُ الْمُتهجِّدُ ، الْمُتتبِّعُ للأثر الْمُتشدِّدُ[٣]، أبو عبدالرَّحْمن القُرشِيُّ العَدَويُّ ، عبدُالله بن عمر رضي الله عنه :

ما ناقةٌ أضَلَّتْ فَصيلَها[٤] فِي فلاةٍ من الأرض بأطلَبَ لأثرِهِ من ابنِ عمرَ لرسول الله ﷺ .

□ قال نافعٌ -مولَى ابنِ عمرَ رضي الله عنهما-: (لو نظرتَ إلَى ابنِ عمرَ إذا اتَّبع أثرَ النَّبي ﷺ ، لقلتَ : هذا مَجنونٌ !!) .

□ وعن عاصمٍ الأحولِ ، عمَّن حدَّثه قال : (كان ابنُ عمر إذا رآه أحدٌ ظنَّ أن به شيئًا[٥] مِن تَتَبُّعه آثارَ النَّبيِّ ﷺ) .

□ وعن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما-: (أنه كان فِي طريقِ مكةَ يقول[٦] برأسِ راحلتِه يَثنيها[٧]، ويقول : لعلَّ خُفًّا يقعُ لِي على خُفٍّ) .

---

(١) كُنية عمران -رضوان الله عليه-.
(٢) أي : أخذوا يثنون عليه بأنه رجل صالح .
(٣) أي : المتمسِّكُ بالسُّنة أشدَّ التمسك .
(٤) الفَصيل : ولد الناقة .
(٥) أي : ظنَّ أنَّ فِي عقله شيئًا .
(٦) أي : يأخذ .
(٧) أي : يُميلُها إلَى اليمين أو اليسار .

يعنِي خُفَّ راحلةِ النَّبِي ﷺ[1].

بأبِي وأُمِّي أنت -أبا عبدالرحْمن-؛ هذه -واللهِ- الرُّجولة .. هذا -واللهِ- الاتِّباع .

(لعلَّ خُفًّا يقعُ لِي على خُفٍّ) .. رحِمك اللّهُ يا ابنَ الفاروق .

وهل يُنبتُ الخَطِّيَّ إلاَّ وَشيجُهُ ويُزرَعُ إلاّ فِي منابتِه النَّخلُ !

▫ وعن زيدِ بنِ أسلمَ قال : (رأيتُ ابنَ عمرَ يُصلِّي مَحلولةً أزرارُه ، فسألتُه عن ذلك ؛ فقال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعلُه)[2].

▫ وعن مُجاهدٍ قال : (كنَّا مع ابن عمرَ -رحِمه الله- فِي سفرٍ ، فمرَّ بمكان ، فحاد عنه ، فسُئل : لِمَ فعلتَ ذلك ؟ قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَعَل هذا ؛ ففعلتُ)[3].

▫ وعن ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما-: (أنه كان يأتِي شجرةً بين مكةَ والمدينة فيَقيلُ تَحتَها[4]، ويُخبِرُ أنَّ رسول الله ﷺ كان يفعلُ ذلك)[5].

▫ وعن أنسِ بنِ سيرينَ قال : (كنتُ مع ابن عمرَ -رحِمه الله- بعرفاتٍ ،

---

(١) «الحلية» (١/٣١٠) ، و«السير» (٣/٢٣٧) .

(٢) **صحيح** : رواه ابن خزيْمة فِي «صحيحه» والبيهقي ، وصحَّحه الألبانِي فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٢ ، ٢٣) .

(٣) **صحيح** : رواه أحْمد والبزار ، وقال الحافظ المنذري : «إسناده جيد» ، وصحَّحه الألبانِي فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٣) .

(٤) **يَقيل** : ينام .

(٥) **حسن** : رواه البزار ، وقال المنذري : «إسناده لا بأس به» .

فلمَّا كان حين رَاحَ رُحتُ معه ، حتَّى أتى الإمامَ ، فصَلَّى معه الأُولَى والعصرَ ، ثُمَّ وقفَ وأنا وأصحابٌ لِي حتَّى أفاضَ الإمامُ ، فأفَضْنا معه ، حتَّى انتهى إلَى المَضيقِ دون الْمَأْزِمَينِ[١]، فأناخَ وأنَخْنا[٢] -ونَحن نَحسَبُ أنه يريدُ أن يُصلِّي-، فقال غلامُه الذي يُمسكُ راحلتَه : إنه ليس يريدُ الصلاة ، ولكنه تذكَّر أن النَّبيَّ ﷺ لَمَّا انتهى إلَى هذا المكان قَضى حاجتَه ، فهو يُحبُّ أن يقضيَ حاجته)[٣].

◻ وروى مسلمٌ عن ابن عمرَ -رضي الله عنهما- قال : (سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : **لا تَمنَعوا نساءَكُمُ المساجدَ إذا استأذنوكم**[٤]).

قال سالِمُ بنُ عبدالله : فقال بلالُ بنُ عبدالله[٥]: والله لَنَمْنَعُهُنَّ .

قال سالِمٌ : فأقبلَ عليه عبدُالله ؛ فسَبَّه سبًّا سيئًا[٦] -ما سَمعتُه سَبَّه مثلَه-،

---

(١) **الْمَأْزِمَين** : اسم موضع .. وأصلُ (المأزم) : المَضِيق بين جبلين .

(٢) أي : نَزَلْنا من على النُّوق .

(٣) **صحيح** : رواه أحْمد ، وقال الحافظ المنذري : «رواته مُحتجٌّ بِهم فِي الصحيح» .. وصحَّحه الألباني فِي «الترغيب والترهيب» (١/٢٣) .

(٤) الأصل أن يقال : (استأذنَّكم) بنون النسوة .. قال الإمامُ النووي -رحمه الله-: (هكذا وقع فِي أكثر الأصول (استأذنوكم) ، وفِي بعضها (استأذنَّكم) وهذا ظاهرٌ ، والأول صحيحٌ أيضًا ، وعُوملنَ معاملةَ الذكور لِطَلَبِهِنَّ الخروجَ إلَى مَجلس الذكور .. والله أعلم) .

(٥) يعنِي ولدَ ابنِ عمر .

(٦) لَم يكن الصحابةُ الكرام -عليهم من الله الرضوان- أهلَ بَذَاء وقُحَّة .. وإنَّما المرادُ بالسَّبِّ : أنه عابه وانتهره وزَجَره زجرًا شديدًا علَى فعله .

وقال له[١]: أُخبِرُك عن رسولِ الله ﷺ ، وتقولُ : واللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ[٢]؟!!) .

مُحمَّدُ بنُ سِيْرِين -رحِمه الله-:

□ حَدَّث ابنُ سيرينَ رجلاً بحديثٍ عن النَّبي ﷺ ، فقال له الرجلُ : (قال فلانٌ كذا وكذا .. فقال ابنُ سيرين : أُحدِّثُك عن النَّبي ﷺ ، وتقول : قال فلانٌ وفلانٌ ؟!!.. واللهِ لا أُكلِّمُك أبدًا) .

نَجيبُ بَنِي أُميَّة ، أميرُ المُؤمنين ، مُجدِّدُ الدِّين : عمرُ بنُ عبدالعزيز -رحِمه الله-:

□ قال فيه عروةُ بنُ أُذَينةَ -يَرثِيه-:

وأحييتَ فِي الإسـلام عِلْمًا وسُنَّةً
ولَم تَبتدِعْ حُكمًا منَ الحُكمِ أَسْحَمَا[٣]
ففي كلِّ يـومٍ كنتَ تَهـدِمُ بِدعـةً
وتَبني لنـا مـن سُنَّـةٍ مـا تَهدَّمَا

□ ومن كلامه الذي عُنِي به ويَحفظُه العلماءُ -وكان يُعجبُ مالكًا جدًّا-:

---

(١) فِي بعض الروايات أنه ضربه أيضًا .. قال الإمام النووي : (فيه تعزيرُ المعترضِ على السُّنة والمعارضِ لَها برأيه ، وفيه تعزيرُ الوالدِ ولدَه وإن كان كبيرًا) .. من «شرح صحيح مسلم» .

(٢) نَهيُ الرِّجال عن منع النساء عن المساجد إنَّما هو نَهيُ تنْزيهٍ -وليس نَهيَ تَحريم-، فيجوزُ للرجال منعُ النساء من المساجد مع الكراهة ، وعلى هذا عامةُ العلماء .. انظر : «عودة الحجاب» لشيخنا المقدِّم (٢/٤٨٣)

(٣) **الأسحم** : الأسود .. والسُّحْمة : السَّواد .

قال : (سَنَّ رسولُ الله ﷺ ووُلاةُ الأمرِ من بعده سُنَنًا ، الأخذُ بِها تصديقٌ لكتاب الله ، واستكمالٌ لطاعةِ الله ، وقوَّةٌ على دِينِ الله ، ليس لأحدٍ تغييرُها ولا تبديلُها ، ولا النظرُ فِي شيءٍ خالَفَها ، مَن عمِل بِها مُهتَدٍ ، ومن انتَصَر بِها منصورٌ ، ومَن خالفها اتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين ، وولاَّه اللّهُ ما تولَّى ، وأصلاه جهنَّم -وساءت مصيرًا-) .

□ ولَمَّا بايعه الناسُ صعِد المنبر ، فحمد الله وأثنَى عليه ، ثُمَّ قال : (أيها الناس ، إنه ليس بعد نبيِّكم نبيٌّ ، ولا بعدَ كتابكم كتابٌ ، ولا بعد سُنَّتِكم سُنَّةٌ ، ولا بعدَ أُمَّتكم أُمَّةٌ ، ألاَ وإن الحلالَ -ما أحلَّ اللّهُ فِي كتابه وعلى لسانِ نبيِّه- حلالٌ إلَى يوم القيامة ، ألاَ وإن الحرامَ -ما حرَّم اللّه فِي كتابه وعلى لسان نبيِّه- حرامٌ إلَى يومِ القيامة ، ألاَ وإنِّي لستُ بِمبتدِعٍ ، ولكنِّي متَّبعٌ ، ألاَ وإنِّي لستُ بقاضٍ ولكنِّي مُنفِّذٌ ، ألاَ وإنِّي لستُ بخازنٍ ، ولكنِّي أَضعُ حيثُ أُمرتُ ، ألاَ وإنِّي لستُ بِخَيرِكم ، ولكنِّي أثقلُكم حِملاً ، ألاَ ولا طاعةَ لِمخلوقٍ فِي معصيةِ الخالق) .. ثُمَّ نزل .

□ وعند اللاَّلَكائي (٥٦/١) عن أبِي الْمَلِيح قال : (كتبَ عمرُ بنُ عبدالعزيز بإحياءِ السُّنة وإماتةِ البدعة) .

□ وكتبَ له عَديُّ بنُ أرطاة يستشيرُه فِي بعض القَدَرِيَّة ، فكتب إليه : (أمَّا بعدُ ، فإنِّي أُوصيك بتقوى الله ، والاقتصادِ فِي أمره ، واتِّباعِ سُنَّةِ نبيِّه ﷺ ، وترك ما أحدَثَ الْمُحدثُون فيما قد جرَت سُنَّته وكُفُوا مُؤنَتَه ، فعليك بلزوم السُّنَّة ، فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سَنَّها مَن قد عَرف ما فِي خلافِها من الخطإِ

والزَّلل والحُمقِ والتعمُّقِ ، فارضَ لنفسك بِمَا رَضِي به القومُ لأنفُسهم ، فإنَّهم عن علمٍ وَقَفوا ، وببصرٍ نافذ قد كفُّوا ، وهم كانوا على كشفِ الأمور أقوى ، وبفضلٍ كانوا فيه أحرى ، فلئن قُلتم : « أمرٌ حَدَث بعدَهم » ؛ فما أَحْدَثَه بعدَهم إلاَّ مَنِ اتَّبع غيرَ سُنَنِهم ، ورَغِب بنفسه عنهم ، إنَّهم لَهمُ السابقون ، فقد تكلَّموا منه بِما يكفِي ، ووصفوا منه ما يَشفِي ، فما دونَهم مُقصِّرٌ ، وما فوقَهم مُحسَّرٌ[1] ، لقد قَصَّر دونَهم قومٌ فجَفَوْا ، وطَمَح عنهم آخرُون فغَلَوا ، وإنَّهم بين ذلك لعلى هدًى مستقيم)[2] .

هذا المُجدِّدُ العظيمُ الذي ما كان يبالِي لو غَلَت به وبأهلِه القُدورُ فِي ذات الله عزَّ وجل حتَّى يعيدَ الأمرَ إلَى مَجراه الأول .

□ قال -رحمه الله- فِي أصحاب القَدَرْ : (يستتابُون ، فإن تابوا ، وإلاَّ نُفُوا من ديارِ المسلمين) .

□ وقال -رحمه الله-: (ينبغي لأهل القَدَرِ أن يُتقدَّمَ إليهم فيما أحدَثوا من القَدَر ، فإن كَفُّوا ، وإلا استُلَّتْ ألسنتُهم من أقفِيتهم استلالاً)[3] .

□ وكان عمرُ بن عبدالعزيز يكتبُ فِي كتبه : (إنِّي أُحذِّرُكم ما مالت إليه الأهواءُ والزَّيغُ البعيدة)[4] .

---

(١) مُحسَّر -بفتح السين-: مُحقَّر .. وتصحُّ أن بكسر السين ، فيكون معناها : ناقص .. والله أعلم .

(٢) « الاعتصام » (١/٤٩ ، ٥٠) للشاطبِي ، و« سنن أبِي داود » (٤/٢٠٣) ، و« الشريعة » للآجُرِّي (١/٤٤٣ : ٤٤٥) ، و« الحلية » (٥٣٣٥) .

(٣) « مناقب عمر بن عبدالعزيز » لابن الجوزي ص (٨٣ ، ٨٤) .

(٤) « الاعتصام » (١/٨٦) .

□ وأفحم عمرُ بنُ عبدالعزيز غَيلانَ الدِّمشقيَّ(١)، وألقمه حَجَرًا ، وقال له : (إنك إنْ أَقررتَ بالعلمِ(٢) خُصِمتَ ، وإن جَحَدْتَه كفرتَ ، وإنك أنْ تُقِرَّ به فتُخصَمَ خيرٌ لك من أن تَجحدَ فتكفُر .

ثُم قال له : تقرأ «ياسين» ؟ قال : نعم . فقال : اقرأ : ﴿ يَس * وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ ﴾ إلَى قوله : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فقرأ ، فقال : قِفْ ، كيف ترى ؟ قال : كأنِّي لَم أقرأ هذه الآيات يا أميرَ المؤمنين ! قال : زِدْ .. فقرأ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ١ - ٩] .

قال عمرُ : كيف ترى ؟ قال : كأنِّي لَم أقرأ هذه الآياتِ قطُّ ، وإنِّي لأُعاهِدُ اللّهَ ألاَّ أتكلَّمَ فِي شيءٍ مِمَّا كنتُ أتكلَّمُ فيه أبدًا . قال : اذهب .

فلمَّا ولَّى غَيلانُ قال عمرُ : اللهمَّ ، إنْ كان كاذبًا بِما قال -فِي ادعائه التوبة- فأذِقْه حرَّ السلاح) .

□ وفِي روايةٍ : (اللهمَّ إن كان صادقًا فتُبْ عليه ، وإنْ كان كاذبًا فاجعَلْه آيةً للمؤمنين) .

□ وفِي روايةٍ : (فسَلِّطْ عليه مَن يُمثِّلُ به) .

□ وأظهر غَيلانُ مقالتَه مرةً أخرى بعد موتِ عمر ، فلمَّا وَلِيَ هشامٌ(٣)

---

(١) هو غَيلان القَدَريُّ .

(٢) أي : العلم السابق لله تعالَى بِما سيكون .

(٣) هشام بن عبدالملك .

أرسل إليه ، فقال له : (أليس قد كنتَ عاهدتَ اللّهَ لعمرَ ألاَّ تتكلَّمَ فِي شيءٍ من هذا أبدًا ؟ قال : أَقِلْنِي[(١)]، فواللهِ لا أعودُ . قال : لا أقالَنِي اللّهُ إن أقلتُك .. [ثُم قال لاثنين من عُمَّاله] : اذهبَا ، فاقطعَا يدَيه ورجليه ، واضربا عُنقَه ، واصلباه) .

□ وكتب رجاءُ بنُ حَيْوَةَ إِلَى هشامٍ -أميرِ المؤمنين-: (بَلَغنِي أنه دَخَلَك مِن قِبَلِ غَيلانٍ وصالحٍ[(٢)]، فأُقِرُّ بالله ، لَقَتْلُهما أفضلُ من قَتلِ ألفَينِ من التُّركِ والدَّيْلَم) .

□ قال إبراهيمُ بنُ أبِي عَبْلَةَ : (أصابَ -واللهِ- فيه القضيَّةَ والسُّنَّة ، ولأكتُبَنَّ إليه فلأُحَسِّنَنَّ له)[(٣)].

الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رحِمه الله-:

كان الحسنُ سيِّدَ زمانه علمًا وعملاً .

□ قال -رحِمه الله-: (مَن وَقَّر صاحبَ بدعةٍ ، فقد سعى فِي هدمِ الإسلام)[(٤)].

□ وقال : (لا تَجلسْ إِلَى صحابِ بدعةٍ ، فإنه يُمرِضُ قلبَك ، ويُفسِدُ عليك دينَك) .

---

(١) أَقِلْنِي : اعف عنِّي .

(٢) أي : هل عندك شكٌّ فِي أمر هذين الرجُلين وضلالِهما ؟!.

(٣) « شرح أصول الاعتقاد » للالكائي (٤/٧١٤ : ٧١٧) ، و« الشريعة » للآجري ص (٢٢٩) ، و«الإبانة» لابن بطة (٢/٣٣٤) .

(٤) جاء هذا الكلام مرفوعًا للنبيِّ ﷺ ، وحسَّنه الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد فِي «المنتقى النفيس من تلبيس إبليس» (٣٧) .

الإمامُ الْجَبَل : سُليمانُ بنُ طَرْخَانَ التَّيْمِيُّ -رحِمه الله-:

□ قال عنه سعيدُ بنُ عامرٍ : (مَرِض سليمانٌ التَّيميُّ ، فبكى فِي مرضِه بكاءً شديدًا ، فقيل له : ما يُبكيك ، أتجزعُ من الموت ؟ قال : لا ، ولكنْ مَررتُ على قَدَرِيٍّ فسلّمتُ عليه ، فأخافُ أن يُحاسِبَنِي ربِّي عزَّ وجل عليه)[١].

وإمامُ دارِ الهِجرةِ : مالكُ بنُ أنسٍ -رحِمه الله-:

□ قال -رحِمه الله-: (أكُلَّما جاءنا رجلٌ أجْدَلُ[٢] من رجلٍ ، تَرَكنا ما نزل به جبريلُ على مُحمَّد ﷺ لِجَدَله !!)[٣].

□ وقال : (سَنَّ رسولُ الله ﷺ ووُلاةُ الأمرِ بعدَه سُنَنًا ، الأخذُ بِها اتِّباعٌ لكتاب الله ، واستكمالٌ لطاعة الله ، وقوَّةٌ على دينِ الله ، ليس لأحدٍ تغييرُها ولا تبديلُها ، ولا النظرُ فِي شيءٍ خالَفَها ، مَنِ اهتدى بِها فهو مُهتَدٍ ، ومَنِ استَنصر بِها فهو منصورٌ ، ومَن تَرَكها اتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين ، وولاَّه اللّهُ ما تولَّى ، وأصلاه جهنَّم -وساءت مصيرًا-)[٤].

□ وكان -رحِمه الله- كثيرًا ما يُنشد :

وخيرُ أمورِ الدِّينِ ما كان سُنَّةً ... وشرُّ الأمورِ الُمحدَثاتُ البدائعُ[٥]

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/٢٨) .

(٢) أي : أكثر جدالاً .

(٣) «الحلية» (٦/٣٢٤) ، و«السير» (٨/٩٩) .

(٤) «السير» (٨/٩٨) ، و«الحلية» (٦/٣٢٤) .

(٥) «الاعتصام» (١/٨٥) .

□ وقال عبدُالرحْمن بن مهديٍّ : (سُئل مالكُ بنُ أنسٍ عن السُّنة ، قال : ما لا اسمَ له غيرُ «السُّنة» ، وتلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]) .

وأمَّا ذمُّه البدعَ وأهلَها ، فهو الإمام .

□ قال ابنُ وهبٍ : سَمعتُ مالكًا يقول : (ما آيةٌ فِي كتاب الله أشدُّ على أهل الاختلافِ من أهلِ الأهواء من هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، فأيُّ كلامٍ أبيَنُ[1] مِن هذا ؟) .

□ قال ابنُ وهبٍ : (فرأيتُه يتأوَّلُها لأهل الأهواء) .

□ ورواه ابنُ القاسم ، وزاد : (قال لِي مالكٌ : إنَّما هذه الآيةُ لأهل القِبلة)[2].

□ وقال يَحيي بنُ خَلَفٍ الطَّرَسُوسِيُّ -وكان من الثِّقات-: (كنتُ عند مالك ، فدخل عليه رجلٌ ، فقال : يا أبا عبدالله ، ما تقولُ فيمن يقول : القرآنُ مَخلوقٌ ؟ فقال مالكٌ : زِنديقٌ ، اقتلوه . فقال : يا أبا عبدالله ، إنَّما أَحكِي كلامًا سَمعتُه . قال : إنَّما سَمعتُه منك .. وعَظَّم هذا القولَ)[3].

□ وقال مالكٌ : (القَدَرِيَّةُ لا تُناكِحوهم ، ولا تُصلُّوا خلفَهم)[4].

---

(١) أي : أظهر وأعظم بيانًا .

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (٥٦/١) .

(٣) «الحلية» (٣٢٤/٦ ، ٣٢٥) ، و«السير» (٩٩/٨) .

(٤) « ترتيب المدارك » للقاضي عياض (١٧٦/١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠٢/٨ ، ١٠٣) .

▫ وعن مَعنٍ قال : (انصرف مالكٌ يومًا ، فلَحقه رجلٌ -يقال له : أبو الجُوَيريَّة ، متَّهمٌ بالإرجاء-، فقال : اسْمَعْ منِّي شيئًا أُعلِمْكَ به وأُحاجَّكُ وأُخبرْك برأيي . قال : احذَرْ أن أشهدَ عليك . قال : واللهِ ما أُريدُ إلاَّ الحقَّ ، فإنْ كان صوابًا فقُلْ به ، أو فتكلَّم . قال : فإنْ غلبتَنِي ؟ قال : اتَّبعتَنِي . قال : فإنْ غلبتُك ؟ قال : اتَّبعتُك . قال : فإن جاء رجلٌ فكَلَّمَنا فغَلَبَنا ؟ قال : اتَّبعناه . فقال مالكٌ : يا هذا ، إنَّ اللّه بَعثَ مُحمَّدًا ﷺ بدينٍ واحد ، وأَراك تَتَنقَّلُ)[1].

▫ وقال -رحِمه الله-: (الجدالُ فِي الدين يُنشِئُ المِراءَ ، ويَذهبُ بنورِ العلمِ من القلب ، ويُقسِّيه ، ويُورِّثُ الضِّغْنَ) .

▫ وقال أبو طالبٍ المَكِّيُّ : (كان مالكٌ -رحِمه الله- أبعدَ الناس من مذاهِبِ المتكلِّمين ، وأشدَّ نقضًا للعراقيِّين[2]) .

▫ وقال سفيانُ بنُ عُيينة : (سأل رجلٌ مالكًا ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، كيف استوى ؟ فسكت مالكٌ حتَّى عَلاَهُ الرُّحَضَاءُ[3]، ثُمَّ قال : الاستواءُ منه معلومٌ[4]، والكيفُ منه غيرُ معقولٍ ، والسؤالُ عن هذا بدعةٌ ، والإيْمان به واجبٌ ، وإنِّي لأظُنُّكَ ضالاًّ .. أخرِجوه .

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/١٧٠) ، و«السير» (٨/١٠٦) .
(٢) العراقيين : المرجئة .
(٣) أي : تصبَّب منه العرقُ من هذا السؤال المُنكر .
(٤) أي : معلومٌ معناه اللغوي ؛ فإن (استوى على) معناه : علا وارتفع .

فناداه الرجلُ : يا أبا عبدالله ، والله قد سألتُ عنها أهلَ البصرةِ والكوفةِ والعراق ، فلم أجِدْ أحدًا وُفِّقَ لِمَا وُفِّقْتَ له)(١).

□ وجاء رجلٌ إلَى مالكٍ ، فسأله عن مسألة ، فقال له : (قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال الرجلُ : أرأيتَ لو كان كذا ؟ فقال مالكٌ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣]) .

الإمامُ الرَّبّانِيُّ : ابنُ أبِي ذِئبٍ -رحِمه الله-:

□ قال ابنُ سِماكِ بنِ الفضل الشِّهابِيُّ : (حدَّثني ابنُ أبِي ذئبٍ بِحديثٍ عن رسول الله ﷺ فقلتُ له : يا أبا الحارث ، أتأخذُ بهذا ؟ فضَرب صدري ، وصاح عليَّ صياحًا كثيرًا ، ونال منِّي ، وقال : أُحدِّثُك عن رسولِ الله ﷺ وتقولُ : تأخذُ به ؟! نعم آخُذُ به ، وذلك الفرضُ عليَّ وعلى مَن سَمِعه ، إنَّ اللّه تبارك وتعالَى اختار مُحمَّدًا ﷺ من الناس ، فهداهم به وعلى يَديه ، واختارَ لَهم ما اختاره على لسانه ؛ فعلى الخَلقِ أن يتَّبعوه طائِعين أو داخِرِين ، لا مَخرجَ لِمُسلِمٍ من ذلك .

قال : وما سكتَ حتَّى تَمنَّيتُ أن يسكتَ)(٢).

---

(١) «السير» (٨/١٠٦ ، ١٠٧) ، و«ترتيب المدارك» (١/١٧٠ ، ١٧١) .

(٢) «الحُجَّة فِي بيان المَحجَّة» لقوام السنة إسْماعيل الأصبهانِي (١/٢٤٤ ، ٢٤٥) - دار الراية .

وإمامُ أهلِ الشام ، شيخُ الإسلام : الأوزاعيُّ -رحِمه الله-:

هذا الإمامُ العظيم الذي (أجاب فِي سبعينَ ألفَ مسألةٍ بالأثر) !!.. وكأنَّ لَحمَه ودمَه سِيطَ[١] بالاتِّباع فلا يَعْدُوهُ .

□ قال ابنُ عُيَينة : (كان الأوزاعيُّ والثوريُّ بِمنًى ، فقال الأوزاعيُّ للثوريِّ : لِمَ لا ترفعُ يَدَكَ فِي خفضِ الرُّكوع ورفعه ؟ فقال : حَدَّثَنا يَزيدُ ابنُ أَبِي زياد[٢].. فقال الأوزاعيُّ : رَوَى لك الزهريُّ ، عن سالِمٍ ، عن أبيه عن النَّبِيِّ ﷺ[٣]، وتعارضُنِي بيزيدَ رجلٍ ضعيفٍ ، وحديثُه مُخالفٌ للسُّنة ؟! فاحْمرَّ وجهُ سُفيانَ ، فقال الأوزاعيُّ : كأنك كرهتَ ما قلتُ ؟ قال : نعم . فقال : قمْ بنا إلَى المَقامِ[٤] نَلتَعِنُ أَيُّنا على الحق .. فتبسَّم سفيانُ لَمَّا رآه قدِ احتدَّ)[٥].

---

(١) سِيطَ : مُزِج وخُلِط .

(٢) وتَمام الأثر : عن عبدالرحْمن بن أبِي ليلى ، عن البَراء ﷺ : (أن رسولَ الله ﷺ كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلَى قريب من أُذنيه ، ثُم لا يعود) .. رواه أبو داود (٧٤٩) ، وإسنادُه ضعيف ، كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط فِي «السير» (١١٢/٧) ، وكذا الشيخ الألبانِي فِي «سنن أبِي داود» (٧٤٩) .

(٣) يقصد حديث عن ابن عمر -رضي الله عنهما- (أن رسولَ الله ﷺ كان يرفعُ يديه حَذْوَ مَنكِبَيهِ إذا افتتح الصلاة ، وإذا كبَّر للركوع ، وإذا رفع رأسَه من الركوع -رفعهما كذلك أيضًا-، وقال : سَمع الله لِمن حَمده ، ربَّنا ولك الحمد .. وكان لا يفعلُ ذلك فِي السجود) .. رواه الجماعة .

(٤) مقام إبراهيم .

(٥) «السير» (١١٢/٧ ، ١١٣) .

سبحان الله !! بِمثلِ الأوزاعيِّ حَفِظ اللّهُ الأرض .. يَحتدُّ من أجلِ السُّنة على جبلِ السُّنة والاتِّباع : الثوريِّ !!.

□ قال الأوزاعيُّ : (عليك بآثارِ مَن سلف -وإن رفضَك الناس-، وإيَّاك وآراءَ الرجال -وإن زَخرفوا لك القول-، فإن الأمر يَنجلي وأنت على طريقٍ مستقيمٍ) .

□ وقال : (العِلمُ ما جاء عن أصحابِ مُحمَّدٍ ﷺ ، وما لَم يَجِئْ عنهم فليس بعلمٍ)[1].

□ وقال -رحِمه الله-: (ما ابتَدع رجلٌ بدعةً إلاَّ سُلب الوَرَع)[2].

وأميرُ الْمُؤمِنين فِي الْحديث : سُفيانُ الثوريُّ ، جبلٌ فِي الاتِّباعِ والدَّعوة إليه -رحِمه الله-:

□ قال عنه بِشرُ بنُ الحارثِ الحافِي : (كان الثوريُّ عندَنا إمامَ الناس) .

□ وقال : (سفيانُ فِي زمانه كأبِي بكرٍ وعمرَ فِي زمانِهما) .

□ قال الثوريُّ -رحِمه الله-: (استوصُوا بأهلِ السُّنة خيرًا ؛ فإنَّهم غرباء) .

□ وقال : (مَن أصغى بسَمعِه إلَى صاحب بدعةٍ -وهو يعلمُ-، خَرج مِن عِصمةِ الله ، ووُكِلَ إلَى نفسه) .

□ وقال : (من سَمِع ببدعةٍ فلا يَحكِها لِجُلسائه ، لا يُلْقِها فِي قلوبِهم) .

□ قال الذهبِيُّ فِي «السِّير» (٧/٢٦١) : (قلتُ : أكثرُ أئمَّة السلف على هذا التحذير ؛ يرَون أنَّ القلوبَ ضعيفة ، والشُّبهَ خَطَّافةٌ) .

---

(١) «السير» (٧/١٢٠) .

(٢) «السير» (٧/١٢٥) .

□ قال رجلٌ لسفيان : (رجلٌ يُكذِّبُ بالقَدَر ، أأُصَلِّي وراءَه ؟ قال : لا تُقدِّموه ، قال : هو إمامُ القرية ، ليس لَهم إمامٌ غيرُه ! قال : لا تُقدِّموه ، لا تُقدِّموه .. وجَعَل يَصيح) .

□ وقال سفيانُ : (البدعةُ أحبُّ إلَى إبليسَ من المعصية ، المعصيةُ يُتابُ منها ، والبدعةُ لا يُتابُ منها)[1].

□ وقال بِشرُ بنُ منصورٍ : (سَمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول -وسأله رجلٌ فقال : على بابِي مسجدٌ ، إمامُه صاحب بدعةٍ ؟-، قال : لا تُصلِّ خلفَه . قال : تكونُ الليلةُ المَطيرةُ[2] وأنا رجلٌ كبير ؟ قال : لا تُصلِّ خلفه) .

□ وقال له رجلٌ : (أوصِنِي .. فقال : إيَّاك والأهواءَ ، إيَّاكَ والخُصومةَ ، إيَّاك والسلطانَ) .

□ وقال -رحِمه الله-: (لا يستقيمُ قولٌ إلاَّ بعملٍ ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ إلاَّ بنيَّةٍ ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ إلاَّ بِموافقةِ السُّنة)[3].

□ وقال يوسُفُ بنُ أسباط : (قال لِي سفيانُ : يا يوسف ، إذا بَلَغَكَ عن رجلٍ بالمشرق أنه صاحبُ سُنَّة ، فابعث إليه السلام ، وإذا بَلَغَكَ عن آخرَ بالمغرِبِ أنه صاحبُ سُنَّةٍ ، فابعث إليه السلام ، فقد قَلَّ أهلُ السُّنةِ والجماعة)[4].

---

(١) «الحلية» (٢٦/٧) .
(٢) المَطِيرة : شديدة المطر .. و«مَطِير» على وزن «فَعِيل» صيغةُ مبالغة .
(٣) «الحلية» (٣٢/٧) .
(٤) «الحلية» (٣٤/٧) .

وشيخُ الإسلام : عبدُالله بنُ الْمُبَارك -رحِمه الله-:

□ قال -رحِمه الله-: (لِيَكنْ مَجلسُك مع المساكين ، وإيَّاك أن تَجلسَ مع صاحبِ بدعة)[1].

والإمامُ الرَّبَّانِيُّ : أبو إسحاقَ الفَزَارِيُّ -رحِمه الله-:

الإمامُ الذي أدَّب أهلَ الثَّغْر ، وعَلَّمهمُ السُّنة ، وكان يأمرُ وينهى ؛ وإذا دخل الثَّغْرَ رجلٌ مبتدعٌ أخرجه .

□ قال ابنُ عيينة : (ما أعلمُ أحدًا من أهل الإسلام أجدَى وأدفعَ عن أهلِ الإسلام من أبِي إسحاقَ الفَزَاريِّ)[2].

□ نعم والله ، (فقد كان الفزاريُّ عظيمَ الغَنَاء فِي الإسلام) -كما قال أبو حاتِمٍ-، وكم ذَبَّ عن السُّنة !.

□ يُروى أنَّ هارونَ الرَّشيدَ أَخذ زنديقًا ليقتلَه ، فقال الرجل : (أين أنتَ من ألفِ حديثٍ وضعتُها ؟ قال : فأين أنت -يا عدوَّ الله- من أبِي إسحاقَ الفزاريِّ وابنِ الْمُبارَكِ يتخلَّلانِها ، فيُخرجانها حرفًا حرفًا !!) .

وسيِّدُ شبابِ أهل البصرة ، فتَى الفتيان ، وسيِّدُ العُبَّادِ والزُّهبان .. الْمُنوَّرُ بالاتِّباع والإيْمان : أيوبُ السِّختيانِيُّ -رحِمه الله-:

□ قال -رحِمه الله-: (إذا حَدَّثتَ الرجلَ بسُنَّةٍ ، فقال : دعْنا من هذا ، وأنبِئنا عن القرآن ، فاعلمْ أنه ضالٌّ) .

---

(١) «السير» (٨/٣٩٩) .
(٢) «الجرح والتعديل» لابن أبِي حاتِم (١/٢٨٣) .

◻ وقال سَلاَّمُ بنُ أبي مُطيعٍ : (رأى أيوبُ رجلاً من أصحابِ الأهواء فقال : إنِّي لأعرفُ الذِّلَّةَ فِي وجهه .. ثُمَّ تلا : ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ، ثُمَّ قال : هذه لكلِّ مُفترٍ) .

◻ وكان يسمِّي أصحابَ الأهواء « خوارج » .. ويقول : (إنَّ الخوارجَ اختلفوا فِي الاسم ، واجتَمعوا على السَّيف)[1] .

◻ وقال -رحِمه الله-: (إنَّ الذين يتمنَّون موتَ أهلِ السُّنة يريدُون أن يُطفِؤوا نورَ اللهِ بأفواههم) .

◻ وعن سَلاَّمِ بنِ أبِي مُطيعٍ قال : (قال رجلٌ من أهلِ الأهواء لأيوبَ : أُكَلِّمُك كلمةً . قال : لا ، ولا نصفَ كلمةٍ) .

◻ وفِي رواية : (يا أبا بكرٍ ، أسألُك عن كلمةٍ ؟.. فولَّى وهو يقول : ولا نصفَ كلمة .. مرَّتين) .

◻ وقال أيوبُ -رحِمه الله-: (ما ازداد صاحبُ بدعةٍ اجتهادًا ، إلاَّ ازداد منَ اللهِ بُعدًا) .

ناصرُ السُّنَّة : الإمامُ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ -رحِمه الله-:

◻ قال أحْمدُ بنُ حنبلٍ عن الشافعي : (لقد كان يَذُبُّ عن الآثار) .

◻ وقال الرَّبيعُ بنُ سليمان : (قال لِي الشافعيُّ : قد أعطيتُك جُملةً تُغنيك -إن شاء الله-: لا تَدَعْ لرسول الله ﷺ حديثًا أبدًا ، إلاَّ أن يأتِيَ عن رسول الله ﷺ خلافٌ ، فتَعملَ بِما قلتُ لك فِي الأحاديث إذا اختلفت) .

---

(١) « الحلية » (٣/٩) ، و« السير » (٦/٢١) .

□ وقال الشافعيُّ : (إذا وجدتُم فِي كتابِي خلافَ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ ، فقولوا بسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ ، ودعُوا ما قلتُ) .

□ وقال : (إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبِي ، وإذا صحَّ الحديثُ فاضرِبوا بقولِي عُرضَ الحائط)[١].

□ وقال : (إذا وجدتُم عن رسول الله ﷺ خلافَ قولِي ، فخُذوا بالسُّنة ، ودعُوا قولِي ؛ فإنِّي أقولُ بِها) .

□ وقال : (كلُّ مسألةٍ تكلَّمتُ فيها صَحَّ الخبرُ فيها عن النَّبيِّ ﷺ عند أهلِ النقلِ بِخلافِ ما قلتُ ، فأنا راجعٌ عنها فِي حياتِي وبعد موتِي) .

□ وقال : (كلُّ حديثٍ [صحَّ] عن النَّبِي ﷺ فهو قولِي ، وإن لَم تسمعوه منِّي)[٢].

□ وقال : (كلُّ ما قلتُ ، وقال النَّبِيُّ ﷺ خلافَ قولِي -مِمَّا يصحُّ-، فحديثُ النَّبِي ﷺ أولَى ، ولا تُقلِّدُونِي) .

□ وقال الرَّبيعُ بنُ سُليمان : (سَمعتُ الشافعي يقول -ورَوَى حديثًا ، فقال له رجلٌ : تأخذُ بِهذا يا أبا عبدالله ؟-، فقال : متَى رَويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخُذْ به ، فأشهدُكم أنَّ عقلي قد ذهب) .

□ وقال الحُميديُّ : (سأل رجلٌ الشافعيَّ بِمصرَ عن مسألةٍ ، فأفتاه وقال : قال النَّبِي ﷺ كذا .. فقال الرجل : أتقول بِهذا ؟ قال : أرأيتَ فِي وَسَطي

---

(١) «السير» (١٠/٣٥) .
(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٤٧٣) ، و«السير» (١٠/٣٥) .

زُنَّارًا[1]؟ أتراني خرجتُ من الكنيسة ؟! أقول : قال النَّبِيُّ ﷺ ، وتقول لِي : أتقولُ بِهذا ؟! أَروِي عن رسولِ اللّه ﷺ ولا أقول به ؟!)[2].

▫ وقال الرَّبيعُ بن سليمان : (سَمعتُ الشافعيَّ يقول –وسأله رجلٌ عن مسألة–، فقال : رُوي عن النَّبي ﷺ أنه قال كذا وكذا . فقال له السائل : يا أبا عبدالله ، أتقول بهذا ؟ فارتعدَ الشافعيُّ ، واصفرَّ لونُه ، وقال : ويْحَك ! أيُّ أرضٍ تُقِلُّنِي ، وأيُّ سَماءٍ تُظِلُّنِي إذا رَوَيتُ عن رسولِ الله ﷺ شيئًا فلم أَقُلْ به ؟!!.. نعم ، على الرأس والعَينين ، على الرَّأس والعينين)[3].

▫ وقال : (كلُّ متكلِّمٍ عن الكتاب والسُّنة فهو الجِدُّ ، وما سواه هَذَيانٌ) .

▫ وقال : (لا يُقال : لِمَ ؟ –للأصل–، ولا : كيف ؟) .

ويعنِي بالأصل : (القرآن والسُّنة) .

▫ وقال الشافعي : (لَم أسْمعْ أحدًا نَسَبَته العامَّةُ –أو نَسب نفسَه إِلَى علم– يُخالِفُ فِي أنَّ فَرْضَ اللهِ : اتِّباعُ أمرِ رسول الله ﷺ والتسليمُ لِحُكمه ؛ فإنَّ اللهَ لَم يَجعل لأحدٍ بعدَه إلاَّ اتِّباعَه ، وإنَّه لا يَلزَمُ قولٌ بكلِّ حالٍ إلاَّ بكتابِ اللهِ أو سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وإنَّ ما سواهُما تَبَعٌ لَهما .

وإنَّ فَرضَ اللهِ علينا –وعلى مَن بعدَنا وقبلَنا– فِي قبول الخبر عن رسول الله

---

(١) الزُّنّار : حزامٌ يلبسُه النصارى على أوساطهم .

(٢) « مناقب الشافعي » (٤٧٤) ، و« الحلية » (٩/١٠٦) ، و« توالي التأسيس فِي مناقب الشافعي مُحمَّد بن إدريس » للحافظ ابن حجر (٦٣) .

(٣) « مناقب الشافعي » (٤٧٥) .

ﷺ : واحدٌ[1]، لا يُختلَفُ فيه أنه الفرضُ .. وواجبٌ قبولُ الخبر عن رسولِ الله ﷺ) .

□ وقال الرَّبيعُ بنُ سليمان : (قال لِي الشافعيُّ : اسقِني قائمًا ، فإن النَّبِيَّ ﷺ شرِب قائمًا) .

□ قال سالِمٌ : قالت عائشة -رضي اللّه عنها-: (طَيَّبتُ رسولَ الله ﷺ بيدي) .

□ قال سالِمٌ : (وسُنَّةُ رسولِ الله ﷺ أحقُّ أن تُتَّبع) .

□ قال الشافعيُّ : (وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون من أهل العلم ؛ فأمَّا ما تذهبون إليه من تركِ السُّنة لغيرها ، وتركِ ذلك الغيرِ لرأيِ أنفسِكم ، فالعلمُ إذن إليكم ، تأتون منه ما شئتم ، وتَدَعون منه ما شئتم !)[2].

□ وقال أيضًا -رحِمه الله-: (مَن تَبِعَ سُنةَ رسولِ الله ﷺ وافقتُه ، ومن غَلِط فترَكها خالفتُه .. صاحِبي الذي لا أُفارِقُه اللازِمُ الثابتُ على سُنَّة رسولِ الله ﷺ -وإن بَعُد-، والذي أفارقُ : مَن لَم يَقبل سُنَّةَ رسولِ الله ﷺ -وإن قَرُب-)[3].

□ وقال -رحِمه الله-: (لولا أصحابُ المَحابر لَخَطَبَتِ الزَّنادقةُ على المنابر) .

□ وقال قُتيبةُ بنُ سعيدٍ : (مات الثوريُّ ومات الورع ، ومات الشافعيُّ

---

(١) خبر (إنَّ) .

(٢) «الأم» للشافعي (٧/٢٠٠) ، و«المناقب» (١/٤٨٤) .

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/٤٨٥) .

وماتتِ السُّنن ، ويَموت أحْمدُ وتَظهرُ البِدع)[(١)].

◻ وكان -رحِمه الله- شديدًا على المبتدعة ، دائبَ التحذير من البدعِ .

◻ قال يونُسُ بن عبدالله : (قال الشافعيُّ : قال صاحبُنا الليثُ بنُ سعد : لو رأيتُ صاحبَ هوًى يَمشِي على الماء ما قبِلتُه .. فقال الشافعيُّ : أمَا إنَّه قد قصَّر ، [بل] لو رأيتُه يَمشي فِي الهواء ما قبلتُه)[(٢)].

◻ وقال : (لأَنْ يَلقَى اللّهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ -ما خلا الشِّركَ باللّه- خيرٌ من أنْ يلقاه بشيءٍ من الأهواء) .. أي البدع .

◻ وقال : (لقدِ اطَّلعتُ من أهل الكلام على شيءٍ ، واللهِ ما توهَّمتُه قطُّ ، ولأن يُبتلى المرءُ بِجميعِ ما نَهى اللّهُ عنه -ما خلا الشِّركَ باللّه- خيرٌ من أن يبتليَه اللّهُ بالكلام) .

◻ ودخل حَفْصٌ الفَرْدُ -وكان الشافعيُّ يسميِّه المنفرد- على الشافعيِّ فكلَّمه ، ثُمَّ خرج فقال : (لأنْ يلقَى اللّهَ العبدُ بذنوبٍ مِثلِ جبالِ تِهامةَ خيرٌ له من أنْ يلقاه باعتقادِ حرفٍ مِمَّا عليه هذا الرَّجلُ وأصحابُه) .

وكان حفصٌ يقول بِخلق القرآن ؛ وكفَّر الشافعيُّ حفصًا الفَرْد .

◻ قال الرَّبيع : (لقيتُ حَفصًا الفردَ ، فقال : أراد الشافعيُّ قتلي) .

◻ وقال الشافعيُّ : (ما ارتَدى[(٣)] أحدٌ بالكلام فأفلح) .

---

(١) «السير» (١٠/٤٦) ، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/٢٥٠) .

(٢) «مناقب الشافعي» (٤٥٣) .

(٣) مِن لُبس الرِّداء .. والمراد : ما اشتَغل .

□ وقال : (لو علِم الناسُ ما فِي الكلام والأهواء لَفَرُّوا منه كما يفرُّون من الأُسْد) .

□ وقال : (ما شيءٌ أبغضَ إلَيَّ من الكلامِ وأهلِه) .

□ وقال : (حُكمي فِي أهل الكلام حُكمُ عُمرَ فِي صَبِيغٍ[1])[2] .

□ وقال : (حُكمي فِي أهلِ الكلام أن يُضرَبوا بالجريد ، ويُحمَلوا على الإبل ، ويُطافَ بِهم فِي العشائر ، يُنادَى عليهم : هذا جزاءُ مَن ترك الكتاب والسُّنَةَ وأقبلَ على الكلام) .

□ وقال : (مذهبِي فِي أهل الكلام تقنيعُ[3] رؤوسهم بالسِّياط ، وتشريدُهم فِي البلاد) .

□ قال الذهبِيُّ : (هذا النَّفَسُ الزَّكِيُّ متواترٌ عن الشافعيِّ) .

□ وسُئل الشافعيُّ عن شيءٍ من الكلام ، فغضب ، وقال للسائل : (سَلْ عن هذا حفصًا الفَردَ وأصحابَه -أخزاهم اللّه-) .

□ وقال الشافعيُّ للرَّبيع : (يا ربيعُ ، اقبَلْ منِّي ثلاثًا : لا تَخوضَنَّ فِي

---

(١) «صَبِيغ» على وزن «عَظِيم» .. والبعض قال : «صُبَيغ» بالتصغير .. انظر المصادر فِي الحاشية التالية .

(٢) انظر قصة عمر مع صَبيغ فِي «سنن الدارمي» (١/ح١٤٦ - بتحقيق الشيخ حسين الداراني) ، وانظر : «الاعتصام» للإمام الشاطبِي بتحقيق الشيخ مشهور حسن (١/١٣٠) .. والقصة لَها أصلٌ صحيح -كما قال الشيخ مشهور حسن-.

(٣) التَّقنيع : التغطية .. والمراد : متابعةُ الضرب .

أصحابِ رسول الله ﷺ[١]، فإنَّ خَصْمَكَ النَّبيُّ ﷺ غدًا[٢]، ولا تَشتغِلْ بالكلام ، فإنِّي قد اطَّلَعتُ من أهل الكلام على التعطيل) .

□ وزاد المُزَنِيُّ : (ولا تشتغِلْ بالنجوم) .

□ ودخل الشافعيُّ على المأمون وعند بِشْرٌ المَرِيْسِيُّ ، فقال أميرُ المؤمنين للشافعيِّ : (أتدري مَن هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ! قال : هذا بشرٌ المَرِيسيُّ ؛ فقال الشافعيُّ لبِشرٍ : أدخلَكَ اللّهُ أسفلَ السَّافلين مع فرعونَ وهامانَ وقارون) .

□ قال الرَّبيعُ : (انْحدَرَ علينا الشافعيُّ من درجتِه يومًا وهم يتجادلون فِي القَدَر ، فصاح : إمَّا أن تقوموا عنَّا ، أو تُجاوِرُونا بِخيرٍ) .

□ ولَمَّا نَقض إبراهيمُ بنُ إسْماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ[٣] كلامَ الشافعيِّ فِي « تثبيت خبر الواحد » قال الشافعي : (ابنُ عليَّةَ ضالٌّ ، قد جَلَس عند باب الضَّوَالٌّ يُضِلُّ الناسَ) .

□ وقال المُزَنِيُّ : (كنتُ أنظرُ فِي الكلام قبل أن يَقدَمَ الشافعيُّ ، فلمَّا قَدِم أتيتُه ، فسألتُه عن مسألةٍ من الكلام ، فقال لِي : تدري أين أنتَ ؟ قلتُ : نعم ، فِي مسجدِ الفُسطاط ! قال : أنت فِي « تاران »[٤] تَلطِمُك أمواجُه .

---

(١) أي : لا تتحدَّثْ فيما جرى بينهم من فتن .

(٢) أي : إن طعنتَ فيهم خاصَمَكَ النَّبيُّ ﷺ عند الله سبحانه غدًا .

(٣) وهو من المُعتزلة .

(٤) **تاران** : موضعٌ فِي بَحر القَلزم (الأحْمر) ، لا تكادُ تَسلَمُ منه سفِينةٌ من عُنف أمواجه .. ويقصد الشافعيُّ أنه وضع نفسه فِي بَحرٍ مُهلِكٍ .

ثُمَّ ألقى عليَّ مسألة فِي الفقه ، فأجبتُ ، فأدخلَ شيئًا أفسَدَ جوابِي ، فأجبتُ بغير ذلك ، فأدخل شيئًا أفسدَ جوابِي ، فجعلتُ كلَّما أجبتُ بشيءٍ أفسده ، ثُمَّ قال لِي : هذا الفقهُ الذي فيه الكتابُ والسُّنةُ وأقاويلُ الناس ، يَدخُلُه مثلُ هذا ، فكيف الكلامُ فِي رب العالَمِين الذي فيه الزَّلَلُ الكثير ؟!.. فتركتُ الكلامَ ، وأقبلتُ على الفقه)[1].

◻ وفِي روايةٍ أخرى : قال المُزَنِيُّ : (قلتُ : إن كان أحدٌ يُخرِجُ ما فِي ضَميري ، وما تَعلَّقَ به خاطري من أمرِ التوحيد[2] فالشافعيُّ .. فصرتُ إليه وهو فِي مسجدِ مصر ، فلمَّا جَثَوتُ[3] بين يديه ، قلتُ : هَجَس فِي ضميري مسألةٌ فِي التوحيد ، فعلمتُ أن أحدًا لَم يَعلَمْ عِلمَك ، فما الذي عندك ؟ فغضب ، ثُمَّ قال : أتدرِي أين أنت ؟ قلتُ : نعم . قال : هذا الموضعُ الذي أغرقَ اللّه فيه فرعونَ ، أبَلَغَك أن رسول الله ﷺ أمرَ بالسؤال عن ذلك ؟ قلتُ : لا . قال : هل تكلَّم فيه الصحابة ؟ قلتُ : لا . قال : تدري كم نَجمًا فِي السماء ؟ قلتُ : لا . قال : فكوكبٌ منها ، تَعرفُ جنسَه ، طلوعَه ، أُفولَه ، مِمَّ خُلق ؟ قلتُ : لا ، قال : فشيءٌ تَراه بعينِك فِي الخَلق لستَ تعرفُه ، تتكلَّمُ فِي علمِ خالقه ؟!.

ثُمَّ سألنِي عن مسألةٍ فِي الوضوء ، فأخطأتُ فيها ، ففرَّعها على أربعةِ أوجُه ، فلم أُصِبْ فِي شيءٍ منه ، فقال : شيءٌ تَحتاجُ إليه فِي اليومِ خَمسَ

---

(١) «السير» (١٠/٢٦ ، ٣١ ، ٣٢) .
(٢) يقصد من الشبهات التي تَعلَّمها من الكلام .
(٣) أي : جلست على ركبَتَيَّ .

مرَّاتٍ تَدَعُ عِلمَه ، وتتكلَّفُ علمَ الخالق ؟! إذا هَجَس فِي ضميرك ذلك ، فارجع إلَى الله ، وإلَى قوله تعالَى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، فاستَدلَّ بالمخلوقِ على الخالق ، ولا تكلَّفُ عِلمَ ما لا يَبلُغُه عَقلُك .. قال : فتُبتُ)(١).

□ قال أحْمدُ بنُ حنبل : (إنَّ اللّه يُقيِّضُ للناس فِي رأسِ كلِّ مئةٍ مَن يُعلِّمُهم السُّنَنَ ، ويَنفِي عن رسولِ الله ﷺ الكَذبَ .. فنظَرْنا ، فإذا فِي رأس المئةِ عمرُ بنُ عبدالعزيز ، وفِي رأس المِئتَينِ الشافعيُّ)(٢).

شَيخُ الْمُحَدِّثين ، وقامعُ البِدَع : يَزيدُ بنُ هارون –رحِمه الله–:

انظرْ إلَى قامع البدع الذي يَخشاهُ ويرهبُه المأمون .

□ قال ابنُ الجوزي : (كان هارونُ الرَّشيد يقول : بَلَغَنِي أن بِشرَ بنَ غِياث يقول : القرآنُ مَخلوقٌ ، ولِله عليَّ إنْ أظفرَنِي به لأقتُلَنَّهُ قتلةً ما قتلتُها أحدًا .

قال أحْمدُ : فكان بشرٌ متواريًا أيام هارونَ نَحوًا من عشرين سنةً حتَّى مات هارون ، فظهر ودعا إلَى الضلالة ، وكان من المِحنة ما كان .

فلمَّا تُوُفِّيَ الرشيدُ كان الأمرُ كذلك فِي زمنِ الأمين ، فلمَّا تَولَّى المأمونُ خالَطَه قومٌ من المعتزلة ، فحَسَّنوا له القولَ بِخَلقِ القرآن ، وكان يتردَّدُ فِي حَملِ الناس على ذلك ، ويراقبُ بقايا الأشياخ ، ثُمَّ قَوِيَ عزمُه على ذلك ، فحَمَلَ الناسَ عليه .

---

(١) «السير» (١٠/٢٦ ، ٣١ ، ٣٢) .

(٢) «السير» (١٠/٤٦) .

قال ابنُ أكثَمَ : قال لنا المأمون : لولا مكانُ يزيدَ بنِ هارونَ لأظهرتُ أن القرآن مَخلوقٌ . فقال له بعضُ جُلسائه : يا أميرَ المؤمنين ، ومَن يزيدُ حتَّى يُتَّقَى ؟ فقال : ويْحك ! إنِّي أخافُ أن أُظهِرَه ، فيَردَّ عليَّ ، فيختلفَ الناس ، فتكونَ فتنة ، وأنا أكرهُ الفتنة .. فقال الرجلُ : فأنا أُخبِّرُ ذلك منه ؟ فقال له : نعم .. فخرج إلَى واسطٍ ، فجاء إلَى يزيدَ ، فدخل عليه المسجد ، وجلس إليه ، فقال له : يا أبا خالدٍ ، إنَّ أميرَ المؤمنين يُقرِؤُك السلامَ ، ويقول لك : إنِّي أُريدُ أن أُظهِرَ أنَّ القرآنَ مَخلوقٌ . فقال : كذبتَ على أمير المؤمنين ، لا يَحمِلُ الناسَ على ما لا يعرفونه ، فإن كنتَ صادقًا فاقعد إلَى المَجلس ، فإذا اجتمع الناسُ فقل .

فلمَّا أن كان الغدُ اجتمع الناسُ ، فقام ، فقال : يا أبا خالدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنك ، إن أميرَ المؤمنين يُقرِؤُك السلام ، ويقول لك : إنِّي أردتُ أن أُظهِرَ أنَّ القرآنَ مَخلوقٌ ، فما عندك فِي ذلك؟ قال : كذبتَ على أميرِ المؤمنين ، أميرُ المؤمنين لا يَحمِلُ الناسَ على ما لا يعرفونه وما لَم يَقُلْ به أحدٌ .

ثُم قدِم الرجلُ على المأمون ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كنتَ أعلمَ ، كان من القصة كَيتٌ وكَيت .. فقال له : ويْحك تَلعَّبَ بك)[1].

فانظر إلَى هذا الشيخ الأثريِّ الذي يَخافُ أميرُ المؤمنين جنابَه ، ولا يستطيعُ إظهار البدعة خوفًا منه ! انظر إليه وهو يتلعَّبُ بِحاشيةِ وخواصِّ أميرِ المؤمنين ، ويقمعُ البدعةَ على ملإٍ من الناس !!.

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» لابن الجوزي (٣٨٥ ، ٣٨٦) .

مُعلّمُ الخيرِ ، وإمامُ أهلِ السُّنة : الإمامُ أحْمدُ بنُ حنبل -رحمه اللّه-:

رَحِم اللّهُ ابنَ حنبل ؛ ما قام أحدٌ بالسُّنة وللسُّنة مثلما قام ، ويَكفيهِ شرفًا ثباتُه ودفاعُه عن القرآنِ وعقيدةِ أهلِ السُّنة .

□ يقول عليُّ بنُ المَدِينيِّ : (إنَّ اللّهَ عزَّ وجل أعزَّ هذا الدِّينَ برجُلَين ليس لَهما ثالثٌ إلَى يومِ القيامة ، بأبِي بكرٍ الصِّدِّيقِ يومَ الرِّدَّة ، وأحْمدَ بنِ حنبلٍ يومَ المحنة .. وقد كان لأبِي بكرٍ الصِّدِّيقِ أصحابٌ وأعوانٌ ، وأحْمدُ ليس له أعوانٌ ولا أصحابٌ) .

□ وقال المُزَنِيُّ : (أحْمدُ بنُ حنبلٍ يومَ المِحنَة ، وأبو بكرٍ يومَ الرِّدَّة ، وعمرُ يومَ السَّقيفة[1]، وعُثمانُ يومَ الدَّار[2]، وعليٌّ يوم صِفِّينَ[3]) .

فبُورِكَ مولــودًا وبــورِك ناشئًا ... وبُورِك كهــلاً من أمينٍ مُعدَّلِ

وبُورِك مقبوضــًا وبُــورِك مُلحَدًا ... وبورِك مبعوثـًـا إلَى خيرِ مَنَزَّلِ

وبعدُ فإنَّ السُّنَّةَ اليــومَ أصبحتْ ... مُعزَّزةً حتَّــى كــأنْ لَــم تُذلَّلِ

---

(١) أي : سقيفةُ بني سَاعدَة .. وهو اليوم الذي اجتَمع فيه الأنصارُ لاختيار خليفة للنبيِّ ﷺ ، وهَمُّوا أن يُبايعوا سعد بن عبادة ؓ ، لكنَّ اللّهَ تعالَى أرسلِ إليهم أبا بكر وعمر ، وحَدَثت مناقشة انتهت ببيعة أبِي بكر ؓ خليفةً للمسلمين ، وحديث السقيفة فِي المسند والصحيحين .

(٢) أي : يوم قتله مَحبوسًا فِي داره ؓ ، حيث عَزم على أتباعه بألاَّ يُقاتلوا الخارجين عليه والذين أرادوا قتله دَرءً للفتنة .

(٣) يوم صِفِّين : اليوم الذي جرى فيه القتال الدامي بين جيش العراق بقيادة عليٍّ ؓ وبين جيش الشام بقيادة معاوية ؓ .

تصولُ وتسطـــو إذ أُقيـــم منارُها ... وحُطَّ منارُ الإفكِ والزُّورِ من عَلِ

ووَلَّى أخو الإبداعِ فِي الدِّين هاربًا ... إِلَى النارِ يَهوِي مدبرًا غيرَ مُقبلِ

□ قال أبو عُميرِ الطَّالْقانيُّ : (سَمعتُهم يقولون : أحْمدُ بن حنبل قُرَّةُ عينِ المسلمين والإسلام) .

□ وقال أبو حاتمٍ الرَّازي : (إذا رأيتَ الرجلَ يُحبُّ أحْمدَ بنَ حنبل ، فاعلمْ أنه صاحبُ سُنَّةٍ ؛ وهو المحنةُ بيننا وبين أهلِ البدع) .

□ وقال أبو الحسن الْهَمْدانِيُّ : (أحْمدُ بنُ حنبلٍ مِحنةٌ ، به يُعرَفُ المسلمُ من الزِّنديق)[1] .

تعالَ -يا أخي- إِلَى الإمام الذي لو كان فِي بنِي إسرائيل لكان آيةً ، وإِلَى تَمسُّكه بالسُّنة والأثر :

□ يقول ابنُ الجوزي : (كان ﷺ شديدَ الاتِّباع للآثار ، حتَّى إنه بَلَغنا عن أبِي الحُسين بنِ الُمنادي أنه قال : استأذن أحْمدُ زوجتَه فِي أن يتسرَّى طلبًا للاتباع ، فأذنت له ، فاشترَى جاريةً بثَمَنٍ يسيرٍ ، وسَمَّاها «رَيْحانة» ، استنانًا برسولِ الله ﷺ) .

□ وقال الحسنُ بنُ أيوب البغدادي : (قيل لأبِي عبدالله -أحْمدَ بنِ حنبل-: أحياكَ اللّهُ -يا أبا عبدالله- على الإسلام ، قال : والسُّنة) .

□ وقال عبدُالَملِك الَميمُونِيُّ : (ما رأتْ عينِي أفضلَ من أحْمدَ بنِ حنبلٍ ، وما رأيتُ أحدًا من الُمحدِّثين أشدَّ تعظيمًا لِحُرمات الله عزَّ وجل وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ -إذا صَحَّت عنده-، ولا أشدَّ اتِّباعًا منه) .

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» .

□ وقال أبو بكرٍ الأثرمُ : (سَمعتُ أبا عبدالله -أحْمدَ بنَ حنبل- يقول : إنَّما هو السُّنَّةُ والاتِّباعُ ، وإنَّما القياسُ أن يَقيسَ على أصلٍ ، وأمَّا أن تَجِيءَ إلَى الأصلِ فتَهدمَه ثُمَّ تقولَ : هذا قياسٌ ؛ فعلى أيِّ شيءٍ كان هذا القياس ؟!) .

□ وقال المَرُّوذِيُّ : (قال لِي أحْمدُ : ما كتبتُ حديثًا عن النَّبيِّ ﷺ إلاَّ وقد عمِلتُ به ، حتَّى مَرَّ بِي فِي الحديث أن النَّبِي ﷺ احتَجَم ، وأعطى أبا طَيبةَ دينارًا ؛ فأعطيتُ الحَجَّامَ دينارًا حين احتجمتُ) .

□ وقال المَرُّوذِيُّ أيضًا : (قلتُ لأِبي عبدالله : مَن مات على الإسلام والسُّنة مات على خيرٍ ؟ فقال لِي : اسكت ، مَن مات على الإسلام والسُّنة مات على الخيرِ كلِّه)[١].

□ وقال أبو داود : (قلتُ لأحْمد : الأوزاعيُّ هو أتْبعُ أم مالكٌ ؟ قال : لا تُقلِّدْ دينَك أحدًا مِن هؤلاء ، ما جاء عن النَّبِيِّ ﷺ وأصحابِه فخُذْ به .. ثُمَّ التابعون بعدُ الرَّجلُ فيهم مُخَيَّرٌ) .

□ وقال الإمامُ أحْمد أيضًا : (الاتِّباعُ أن يتَّبعَ الرجلُ ما جاء عن النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه ، ثُمَّ هو من بعدُ مع التابعين مُخيَّرٌ) .

□ وقال أيضًا : (لا تُقلِّدْنِي ، ولا تُقلِّدْ مالكًا ، ولا الشافعيَّ ، ولا الأوزاعيَّ ، ولا الثوريَّ ، وخُذْ من حيثُ أخذوا) .

□ وقال : (مِن قلَّةِ فِقهِ الرجل أن يُقلِّدَ دينَه الرِّجالَ) .

□ قال ابنُ القيم : (ولأجل هذا لَم يؤلِّفِ الإمامُ أحْمدُ كتابًا فِي الفقه ،

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (٢٢٩ : ٢٣٤) .

وإنَّما دَوَّن أصحابُه مذهبَه من أقوالِه وأفعالِه وأجوبتِه وغيرِ ذلك)[١].

□ وقال الإمام أحْمد -رحِمه الله-: (مَن عَظَّم أصحابَ الحديثِ عَظُمَ فِي عين رسولِ الله ﷺ ، ومَن حَقَرَهم سَقَط من عينِ رسول الله ﷺ ؛ لأنَّ أصحابَ الحديث أحبارُ رسول الله ﷺ) .

□ وقال الفَضلُ بنُ أحْمدَ الزَّبِيدِيُّ : (سَمعتُ أحْمدَ بنَ حنبلٍ يقول -وقد أقبل أصحابُ الحديث وبأيديهمُ المَحابرُ-، فأومأ إليها ، وقال : هذه سُرُجُ الإسلام) .

□ وقال أبو عِمرانَ المالكيُّ : (رأى أحْمدُ بنُ حنبلٍ أصحابَ الحديث -وقد خرجُوا من عند مُحدِّثٍ ، والمَحابرُ بأيديهم-، فقال أحْمدُ : إن لَم يكونوا هؤلاء الناسَ[٢]، فلا أدري من الناس ؟!) .

□ وقال عمرُ بنُ بَكّار القافلانيُّ : (سَمعتُ أحْمدَ بنَ حنبلٍ يقول : إنْ لَم يكن أصحابُ الحديث الأبدالَ[٣]، فمن يكونُ ؟!) .

□ وقال أيضًا -رحِمه الله-: (مَن رَدَّ حديثَ رسولِ الله ﷺ ، فهو على شَفَا هَلَكَة)[٤].

أخي ، لقد كان يومُ موتِ أحْمدَ نصرًا لأهل السُّنة .. فما ظَنُّك برجلٍ نَصَرَ السُّنةَ حتَّى فِي يوم موته !! فكيف نَصرُه للسُّنة فِي حياته ؟!.

---

(١) «إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار» ، لصالِح ابن مُحمَّد الفلاَّني (١١٣) .

(٢) يقصد : خيرةَ الناس .

(٣) **الأبدال** : أئمَّة الناس الذين يَخلُفُ بعضُهم بعضًا .

(٤) «مناقب الإمام أحْمد» .

□ قال عبدُالله بنُ أحْمد : (سَمعت أبِي يقول : قولُوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يومُ الجنائز)[١].

ولَمَّا مات -رحِمه الله- كانت جَنازتُه أكبَرَ جنازةٍ فِي تاريخ الإسلام .

□ قال عبدُالوهَّاب الورَّاق : (ما بَلَغنا أنَّ جَمْعًا[٢] كان فِي الجاهليةِ والإسلام مِثلُه ، حتَّى بَلَغَنا أن الموضعَ مُسِحَ وحُزِرَ[٣] على التصحيح ، فإذا هو نَحوٌ من ألفِ ألفٍ ، وحَزَرْنا على السُّورِ نَحوًا من سِتِّينَ ألفَ امرأةٍ ؛ وفَتح الناسُ أبوابَ المنازل فِي الشوارع والدُّروب ، ينادُون : مَن أراد الوضوء) .

□ وقال أبو زُرْعةَ : (بَلَغَنِي أن المتوكِّلَ أَمر أن يُمسَحَ الموضعُ الذي وقف عليه الناسُ ، حيثُ صُلِّي على أحْمدَ بنِ حنبل ، فبَلَغ مَقامَ ألفِ ألفٍ[٤] وخَمْسمِئَةِ ألفٍ) .

□ وقال مُحمَّدُ بنُ إبراهيم البُوشَنجيُّ : (صَلَّوْا على أحْمدَ بنِ حنبلٍ فِي المصلَّى ، وظَهر اللعنُ على الكَرَابِيسيِّ ؛ فأُخبرَ بذلك المتوكِّلُ ، فقال : مَن الكَرَابِيسيُّ ؟ فقيل : إنه رجلٌ أَحدث قولاً لَم يَتقدَّمْه أحدٌ .. فأَمَره [المتوكِّلُ] بلزومِ بيته حتَّى مات) .

□ وقال جَعفرُ بنُ مُحمدٍ النَّسَوِيُّ : (شهدتُ جنازةَ أحْمدَ بنِ حنبلٍ وفيها بَشَرٌ كثيرٌ ، والكَرابيسِيُّ يُلعَنُ لعنًا كثيرًا بأصواتٍ عالية ، والمَرِيسِيُّ أيضًا) .

---

(١) انظر كتابنا : «سكب العبرات» (١/٥٥٥) .
(٢) يقصد الجَمْعَ الذي حَضر جنازة الإمام .
(٣) حُزِرَ -بالحاء ، ثُم الزاي ، ثُم الراء-: حُسِبَ .
(٤) يعنِي : مليون .

□ وقال عبدُالوهَّاب الورَّاقُ : (أظهرَ الناسُ فِي جنازةِ أحْمدَ بنِ حنبلٍ السُّنَّةَ والطَّعنَ على أهل البدع ، فسَرَّ اللّهُ المسلمين بذلك على ما عندهم من المُصيبة ؛ لِمَا رأَوْا من العزِّ وعلوِّ الإسلام ، وكَبَتَ اللّهُ أهلَ البدعِ والزَّيغِ والضَّلالة)[١].

لله درُّك -يا ابنَ حنبلٍ- من إمامٍ لأهل السُّنة .. بأبِي هو وأمي ، وما كان أعمقَ فهمَه لعقيدةِ أهل السنة !!.

□ يقول -رحِمه الله-: (لا يكونُ صاحبُ الكلام -إن أصابَ كلامُه السُّنة- مِن أهل السُّنة حتَّى يدَعَ الجدلَ ويُسَلِّمَ)[٢].

□ وهو نَفْسُ المَحكيِّ عن ابن المَدِينيِّ : (الكلامُ فِي القَدَرِ وغيرِه مِن السُّنة مكروهٌ ، ولا يكون صاحبُه -وإن أصابَ السُّنَّةَ بكلامه- مِن أهل السنة حتَّى يَدَعَ الجدلَ ، ويُسَلِّمَ ، ويؤمنَ بالإيْمان) .

نعم ، إنَّ مَن خاض فِي شيءٍ من علم الكلام لا يُعتَبَرُ من أهل السُّنة -وإنْ أصاب كلامُه السُّنة- حتَّى يَدَعَ الجدلَ ويُسلِّمَ للنصوص ، فلم يشترطوا موافقةَ السُّنة فحسب ، بل التَّلَقِّيَ والاستمدادَ منها ، فمَن تَلَقَّى من السُّنة ، فهو من أهلِها -وإنْ أخطأ-، ومَن تَلَقَّى من غيرها فقد أخطأ -وإنْ وافقَها فِي النتيجة[٣]-.

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (٥٠٦ ، ٥٠٧) .

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/١٥٧) .

(٣) «منهج الأشاعرة فِي العقيدة» للدكتور سفر الحوالِي .

انظر -رحمك الله- إلَى شِدَّةِ اتِّباع الإمامِ أحْمد :

اختفى أحْمدُ أيامَ الواثقِ عند إبراهيمَ بنِ هانئٍ .

□ قال إبراهيم : (اختفى عندي أحْمدُ بنُ حنبل ثلاثةَ أيام ، ثُمَّ قال : اطلُبْ لِي موضعا حتَّى أتَحوَّلَ إليه . قلتُ : لا آمَنُ عليك يا أبا عبدالله !!. فقال : افعَلْ ، فإذا فعلتَ أَفَدْتُكَ .

فطلبتُ له موضعًا .. فلمَّا خرج قال لِي : اختفَى رسول الله ﷺ فِي الغارِ ثلاثةَ أيامٍ ثُمَّ تَحوَّل ، وليس ينبغي أن يُتَّبعَ رسولُ اللّه ﷺ فِي الرَّخاء ويُترَكَ فِي الشِّدة)[1].

□ للهِ درُّك إمامَ أهلِ السُّنة :

ولابنِ حنبلٍ الصِّدِّيقِ نورُ هُدى   حتَّى القيامة مِثلَ البدرِ فِي الغَسَقِ
وفَضلُه بين أهلِ الفضلِ مُشتَهِرٌ   وإصْبَعَاهُ منَ الزِّنديقِ فِي الْحِدَقِ

۞ إعراضُه عن أهل البدع ، وذمُّه لَهم :

قال أبو إسْماعيل -مُحمَّدُ بنُ إسْماعيل-: (كنتُ أنا وأحْمدُ بنُ الحسن التِّرمذيُّ عند أحْمدَ بنِ حنبل ، فقال له أحْمدُ بن الحسن : يا أبا عبداللّه ، ذَكَروا لابن أبِي قُتَيلةَ بِمكَّةَ أصحابَ الحديث فقال : قومُ سَوءٍ .. فقام أحْمدُ وهو يَنفضُ ثوبَه ، وقال : زِنديقٌ زِنديقٌ زنديق .. ودخلَ بيتَه) .

وقال صالِحُ بنُ أحْمد : (جاء الحِزَاميُّ إلَى أبِي -وقد كان ذَهب إلَى ابن أبِي دُوَاد-، فلمَّا خرج إليه ورآه : أغلق الباب فِي وجهه ودخل) .

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (٤٣٠) .

□ وقال أبو داودَ السِّجِسْتانيُّ : (قلت لأبي عبدالله : أرى رجلاً من السُّنة مع رجلٍ من أهل البدع ، أترك كلامَه ؟ قال : لا ، تُعلمُه أنَّ الذي رأيتَه معه صاحبُ بدعةٍ ، فإنْ تركَ كلامَه ، وإلاَّ فألْحِقْهُ به ؛ قال ابنُ مسعودٍ : المَرءُ بخِدْنِه[1]) .

□ وقال الحسنُ بن ثواب : (قال لِي أحْمد بنُ حنبل : ما أعلمُهم فِي زمانٍ أحوجَ منهم إلَى طلبِ الحديث من هذا الزمان . قلتُ : ولِمَ ؟ قال : ظهرت بِدَعٌ ، فمَن لَم يكن عنده حديثٌ وقع فيها) .

لله درُّك يا إمامُ ، ما أفطَنَك !!.

□ قال حسَّانُ بنُ عطيَّةَ : (ما ابتَدع قومٌ بِدعةً فِي دينِهم إلاَّ نَزَع اللّهُ مِن سُنَّتِهم مثلَها ، ثُمَّ لا يُعيدُها إليهم إلَى يومِ القيامة) .

□ وسُئل أحْمدُ بنُ حنبل عن الوَساوسِ والخَطَرات ، فقال : (ما تَكَلَّمَ فيها الصحابةُ ولا التابعون) .

□ وقال أبو القاسم النَّصْراباذيُّ : (بلغنِي أن الحارث الْمُحاسِبِيَّ تَكَلَّمَ فِي شيءٍ من الكلامِ ، فهَجَره أحْمدُ بنُ حنبل ، فاختَفى فِي دارٍ ببغدادَ ومات فيها ، ولَم يُصَلِّ عليه إلاَّ أربعةُ نَفرٍ) .

□ وأرسل الإمامُ أحْمدُ إلَى المتوكِّل : (إنَّ أهلَ البدعِ والأهواء لا يَنبغي أن يُستعانَ بِهم فِي شيءٍ من أمورِ المسلمين ، فإنّ فِي ذلك أعظمَ الضَّرر على الدِّين ، مع ما عليه رأيُ أميرِ المؤمنين -أطال اللّهُ بقاءه- من التمسُّك بالسُّنة

(١) **الْخِدْن** -بكسر الخاء وسكون الدال-: الصاحب .

والمخالفةِ لأهل البدع)[١].

□ وقال الإمامُ أحْمدْ -رحِمه الله-: (قبورُ أهلِ السُّنة من الفُسَّاقِ رَوضةٌ من رياضِ الجنة ، وقبورُ أهلِ البِدع من الزُّهَّادِ حفرةٌ من حُفَرِ النار)[٢].

❁ ثَباتُ الإمامِ أحْمدَ بنِ حنبل إمامِ العُلماء الرَّبَّانيِّين :

ذلكم الجبلُ الذي أعطَى المَجهودَ من نفسه .

□ قال أبو غالبٍ بنُ بنتِ معاوية : (ضُرب أحْمدُ بالسِّياطِ فِي الله ، فقام مَقامَ الصِّدِّيقين -فِي العشر الأواخرِ من رمضانَ سنةَ عشرين ومئتين-) .

■ وعن أنسٍ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**يأتِي على الناس زمانٌ ؛ الصابرُ فيهم على دينه كالقابضِ على الجمرِ**)[٣].

■ وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**إنَّ مِن ورائكم زمانَ صَبرٍ ، للمتمسِّكِ فيه أجرُ خَمسينَ شهيدًا منكم**)[٤].

أُخذ أحْمدُ بنُ حنبلٍ فِي مِحنةِ خلقِ القرآن أيامَ المأمون ، ليُحملَ إلَى المأمون ببلاد الروم ، وأُخذ معه أيضًا مُحمَّدُ بنُ نُوحٍ مقيَّدَينِ ، ومات المأمونُ قبل أن يلقاه أحْمدُ ، فرُدَّ أحْمدُ بنُ حنبل ومُحمَّدُ بنُ نوحٍ فِي أقيادهِما ، فمات مُحمَّدُ بنُ نُوحٍ فِي الطريق ، ورُدَّ أحْمدُ إلَى بغدادَ مقيَّدًا) .

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (٢٣٣) .

(٢) «مناقب الإمام أحْمد» (٢٣٦ : ٢٤١) .

(٣) صحيح : رواه الترمذي ، وصحَّحه الألباني فِي «صحيح الجامع» رقم (٧٨٧٩) ، و«الصحيحة» رقم (٩٥٥) .

(٤) صحيح : رواه الطبراني ، وصحَّحه الألباني فِي «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣٤) .

□ ودَخل على الإمام أحْمدَ بعضُ حُفَّاظِ الحديث بالرَّقَّةِ وهو مَحبوسٌ ، فجَعلوا يُذاكِرونه ما يُروى فِي «التَّقِيَّة» من الأحاديث ، فقال أحْمدُ : (وكيف تصنعونَ بِحديث خَبَّابٍ : **إنَّ مَن كان قبلَكم كان يُنشَرُ أحدُهم بالْمِنشارِ ، ثُمَّ لا يَصُدُّه ذلك عن دينِه؟!**[1]) ، فيَئِسوا منه .

□ قال الإمامُ أحْمدُ : (كنتُ أُصلِّي بأهل السجنِ وأنا مقيَّدٌ) .

ولَمَّا مات المأمون رُدَّ أحْمدُ إلَى بغدادَ ، فسُجِنَ إلَى أن امتَحَنه المعتصم .

□ قال أبو بكر المَرُّوذِيُّ : (لَمَّا سُجن أحْمدُ بنُ حنبل ، جاء السَّجَّانُ ، فقال له : يا أبا عبدالله ، الحديثُ الذي رُوي فِي الظَّلَمة وأعوانِهم صحيحٌ ؟ قال : نعم . قال السَّجَّانُ : فأنا من أعوانِ الظَّلَمة ؟ قال أحْمدُ : أعوانُ الظَّلَمة من يأخذُ شَعْرَك ، ويَغسِلُ ثوبَك ، ويُصلِحُ طعامَك ، ويَبيعُ ويشترِي منك ، فأما أنت فمِن أنفُسِهم)[2].

لله درُّ ابنِ حنبل ، وضعُوا فِي رجله أربعةَ قُيودٍ ، وهو إمامُ أهل السُّنة !!.

□ لَمَّا أَمر المعتصمُ بِحَمْلِ أحْمدَ إليه —وكان قد سجَنوه فِي رمضانَ سنة تِسعَ عشْرةَ فِي دارِ إسحاقَ بنِ إبراهيم–، دخل عليه إسحاق ، فقال : (يا أحْمدُ ، إنَّها واللهِ نَفسُك ، إنه لا يَقتُلُك بالسَّيف ، إنه قد آلَى[3] إنْ لَم تُجبْه أن يضرِبَك ضربًا بعد ضربٍ ، وأن يُلقِيَكَ فِي موضعٍ لا ترى فيه الشمسَ) .

---

(١) رواه أحْمد والبخاري وأبو داود .

(٢) «مناقب الإمام أحْمد» (٣٩٧) .

(٣) آلَى : أقسم .

□ وجِيءَ إلَى أحْمدَ بدابَّةٍ ، فحُمل عليها -وعليه الأقياد-، وكاد غيرَ مرةٍ أن يَخرَّ على وَجهِه لِثِقَلِ القيود ، فجِيءَ به إلَى دار المعتصِم ، وأدخلوه فِي حُجرةٍ ، وأدخلوه فِي بيت ، وأُقفل البابُ عليه ، وذلك فِي جوف الليل ، وليس فِي البيت سِراجٌ ، فلمَّا كان الغدُ ، أخرجوه إلَى الخليفة ليناظرَه أحْمدُ ابن أبِي دُوَاد ، والمعتصمُ يقول : (واللهِ لئن أجابَنِي لأُطلقَنَّ عنه بيدي ، ولأَركَبَنَّ إليه بِجُندي ، ولأَطَأَنَّ عَقبَه .. ثُمَّ قال : يا أحْمدُ ، واللهِ إنِّي عليك لَشفيقٌ ، وإنِّي لأُشفقُ عليك كشَفَقتِي على هارونَ ابنِي ، ما تقول ؟ فقال الإمام : أعطُونِي شيئًا من كتاب الله عزَّ وجل أو سُنَّةِ رسولِه .. ومرَّةً أخرى يقولُ المعتصمُ لأحْمد : ما كنتَ تعرفُ صالحًا الرَّشيديَّ ؟ قال أحْمدُ : قد سَمعتُ باسْمِه . قال : كان مؤدِّبِي ، وكان فِي ذلك الموضعِ جالسًا -وأشار إلَى ناحية من الدار-، فسألتُه عن القرآن فخالفَنِي ؛ فأَمرتُ به ، فوُطِئَ ، وسُحِبَ) .

وبعد ثلاثةِ أيامٍ من المناظرة ، والإمامُ أحْمدُ يُفحِمُ المبتدعة ، قال المعتصم : (العُقَابَينِ[1] والسِّياط) .. فجِيء بِهم .

□ قال إبراهيمُ البُوشنجيُّ : (ذَكروا أن المعتصمَ رَقَّ فِي أمرِ أحْمدَ لَمَّا عُلِّق فِي العُقابَينِ ، ورأى ثبوتَه وتصميمَه وصلابتَه فِي أمره ، حتَّى أغراه ابنُ أبِي دُوَاد ، وقال له : إنْ تركتَه قيل : إنك تركتَ مذهبَ المأمون ، وسَخِطتَ قولَه .. فهاجه ذلك على ضربِه) .

---

(١) **العُقابان** : خشبتان يَستندُ عليهما المضروبُ أثناءَ الضَّرب .

□ وقال الإمام أحْمدُ : (لَمَّا جِيءَ بالسِّياط نَظر إليها المعتصم ، فقال : ائتُونِي بغيرها ، فأُتِيَ بغيرها ، ثُمَّ قال للجَلاَّدِين : تقدَّموا .. فجعل يتقدَّمُ إلَيَّ الرجلُ فيَضربُنِي سوطَينِ ، فيقول له المُعتصِمُ : شُدَّ -قطع الله يدك-.. ثُمَّ يتنحَّى ، ثُمَّ تقدَّمَ الآخَرُ ، فضَربِني سوطَينِ ، وهو فِي كلِّ ذلك يقول لَهم : شُدُّوا -قطع الله أيديَكم-.. فلمَّا ضُربتُ تسعةَ عشَرَ سوطًا قام إلَيَّ المعتصمُ ، فقال : يا أحْمدُ ، علامَ تقتلُ نفسَك ، إنِّي -واللهِ- عليك شفيقٌ ؟! قال : فجعل عُجَيفٌ يَنْخَسُنِي بقائمِ سيفِه ، وقال : أتريدُ أن تغلبَ هؤلاء كلَّهم ؟ وجَعل بعضُهم يقول : ويلَك ! الخليفةُ على رأسك قائمٌ !.. وجعل عبدُالرحْمن يقول : ويْحك يا أحْمد ! مَن صَنع مِن أصحابك فِي هذا الأمر ما تصنعُ ؟! وجعل المعتصمُ يقول : ويْحَك يا أحْمدُ ! أجِبْنِي إلَى شيءٍ لك فيه أدنَى فَرَجٍ حتَّى أُطلق عنك بيدِي !.. فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أعطُونِي شيئًا من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- أو سُنَّة رسولِه حتَّى أقولَ به .

قال : فرجع فجلس ، فقال للجلاَّدِين : تقدَّموا .. فجعل الجَلاَّدُ يتقدَّمُ ويضربُنِي سوطَينِ ويتنحَّى -وهو فِي خلالِ ذلك يقول : شُدَّ -قطعَ الله يدك-؛ فذهب عقلي ، فأفقتُ بعد ذلك ، فإذَا الأقيادُ قد أُطلقت عنِّي ، فقال رجلٌ ممَّن حَضَر : إنَّا كَبَبْنَاكَ على وجهك ، وطَرَحْنا على ظهرِك باريَّةً[1]، ودُسناك .. قلتُ : ما شعُرتُ بذلك .. وأَتَوْنِي بسَوِيقٍ[2]، فقالوا لِي : اشرَب وتقيَّأ . فقلت : لستُ أفطرُ .

---

(١) الباريَّة : الحصيرة .
(٢) السَّوِيق -بفتح السين وكسر الواو-: شرابٌ يُصنع من القمح والشعير .

ثُمَّ جِيء بِي إلَى دارِ إسحاقَ بنِ إبراهيم ، فحضَرَتْ صلاةُ الظهر ، فتقدَّمُ ابنُ سَمَاعَة فصَلَّى ، فلما انفَتَل[١] من الصلاة ، قال لِي : صَلَّيتَ والدمُ يسيلُ فِي ثوبك ؟! فقلتُ : قد صَلَّى عمرُ وجُرحُهُ يَثعَبُ دمًا)[٢].

ثُمَّ خُلِّي عنه ، فصار إلَى منْزله ، وكان مُكْثُه فِي السجن منذُ أُخِذ وحُمِل إلَى أن ضُرِب وخُلِّي عنه : ثَمَانيةً وعشرين شهرًا .

□ قال بعضُ الجلاَّدِين -الذين ضَربوا الإمامَ أحْمد-: (لقد بَطَل أحْمدُ الشُّطَّارَ[٣]، واللهِ لقد ضربتُه ضربًا لو أُبرِكَ[٤] لِي بعيرٌ ، فضربتُه ذلك الضربَ ، لَنَقَبْتُ عن جَوفِه !) .

□ وقال شاباصُ التائب -أحدُ الجلاَّدين-: (لقد ضربتُ أحْمدَ بنَ حنبل ثَمانين سوطًا ، لو ضربتُه فِيلاً لَهَدَّتْه) .

يرحمُ اللّهُ إمامَ أهلِ السنة ، للهِ درُّه ودرُّ أمٍّ أنْجبَتْه ، فأَوحَدَتْ به !.

□ قال عليُّ بنُ المَدِينِيُّ : (إنَّ اللهَ أعزَّ الإسلامَ برجُلين -لا ثالثَ لَهما-: أبو بكرٍ يومَ الرِّدَّة ، وأحْمدُ بنُ حنبلٍ يومَ المِحنة ، بل إنَّ أبا بكرٍ كان له أعوانٌ ، ولَم يكن لأحْمدَ بن حنبلٍ أعوانٌ) .

□ قال ابن الجوزي : (هذا رجلٌ هانت عليه نفسُه فِي الله ، فبَذَلَها ، كما هانت على بلالٍ نفسُه .

---

(١) انفتل : انصرف .
(٢) «مناقب الإمام أحْمد» (٤٠٥ : ٤٠٧) .
(٣) الشَّاطر : الخبيث الماكر .. والمعنَى : أنه صَبَر أشدَّ الصبر وأعظمَه .
(٤) أبرِكَ : أُجلس .

وقد رُوِّينا عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنه كانت نفسُه عليه فِي الله تعالَى أهونَ من نفسِ ذبابٍ .. وإنَّما تَهونُ عليهم أنفسُهم لِتَلَمُّحِهِمُ العواقبَ ، فعُيونُ البصائر ناظرةٌ إلَى المآل -لا إلَى الحال-، وشدَّةُ ابتلاء أحْمدَ دليلٌ على قوَّةِ دينه ، لأنه قد صحَّ عن النَّبِي ﷺ أنه قال : (**يُبتلَى الرجلُ على حسبِ دينه**)[1].

فسبحانَ من أيَّده وبَصَّره ، وقوَّاه ونصره !!) .



(١) رواه أحْمد والشيخان وغيرهم .



الفصل الثالث

قافلةُ النور تأمرُ بالمعروف وتنهَى عن المُنكر فتبتلى

* * *



قافلةُ النُّور تأمرُ بالْمعروف وتَنهى عن الْمُنكر فتُبتَلى

قد ضَرب الرَّبَّانيُّون الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المُنكرِ أروعَ الأمثلة بالقيامِ بالحقِّ ، وألاَّ تأخذَهم فِي اللهِ لَومةُ لائمٍ .

وكم للرَّبَّانيين على مَدارِ التاريخ من مواقفَ أنصعَ من ضوءِ النَّهار !.. بَيَّض اللهُ وجوهَهم كما بيَّضوا وجهَ التاريخ .. وكانوا شامةَ الحُسن فيه .

۞ ذِكرُ بعضِ مَن قُتل وحُرِقَ من الصالحين :

□ قال ابن الجوزي : (وما زال الناسُ يُبتَلَون فِي الله تعالَى ويَصبِرون ، وقد كانتِ الأنبياءُ تُقتل ، وأهلُ الخير فِي الأُممِ السابقة يُقتَلون ويُحرَقون ، ويُنشَرُ أحدُهم بالمِنشار وهو ثابتٌ على دينه ، وقد سُمَّ نبيُّنا ﷺ ، وسُمَّ أبو بكر ، وقُتل عمرُ وعثمانُ وعليٌّ ، وسُمَّ الحسنُ ، وقُتل الحُسَينُ بنُ عليٍّ ، وابنُ الزبير ، والضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ ، والنُّعمانُ بنُ بَشير ، وصُلب خُبَيبُ بنُ عديٍّ .

وقَتل الحَجَّاجُ عبدَالرحْمن بنَ أبِي ليلى ، وعبدَالله بنَ غالب الحُدَّانِيَّ ، وسعيدَ بنَ جُبير ، وأبا البَخْترِيَّ الطائيَّ ، وكُمَيلَ بنَ زياد ، وحُطَيطًا الزَّيات ، وماهانَ الحنفِيَّ -وصَلَبَه- ، وصَلَب قبلَه ابنَ الزبير .

وقَتل الواثقُ أحْمدَ بن نصرٍ الخُزاعيَّ وصَلَبَه .

۞ فأمَّا مَن ضُرب من كبارِ العُلماء :

– فعبدُالرَّحْمنِ بنُ أبِي ليلى : ضَرَبه الحَجَّاجُ أرْبَعمئَة سوطٍ ، ثُمَّ قتله .

– وخُبيبُ بنُ عبدالله بن الزبير : ضَرَبه عمرُ بنُ عبدالعزيز بأمرِ الوليد مئةَ سَوطٍ .. فكان عمرُ إذا قيل له : أبشِرْ . قال : وكيف بِخُبيبٍ على الطريق ؟!.

- وأبو الزِّناد : ضَرَبه بنو أُميَّة .

- وأبو عَمرِو بنُ العلاء : ضربه بنو أُميَّةَ خَمْسَمِئَةِ سوطٍ .

- ورَبيعةُ الرَّأي : ضربه بنو أُميَّة .

- وعَطِيَّةُ العَوْفِيُّ : ضربه الحَجَّاجُ أَرْبَعَمِئَةِ سَوطٍ .

- ويَزيدُ الضَّبِّيُّ : ضربه الحَجَّاجُ أربَعَمِئَةِ سوطٍ .

- وثابتٌ البُنَانِيُّ : ضَرَبه ابنُ الجارود خليفةُ بنُ زياد .

- وعبدُالله بنُ عونٍ : ضربه بلالُ بنُ أبِي بُردةَ سبعين سوطًا .

- ومالكُ بنُ أنس : ضَرَبه المنصورُ سبعينَ سوطًا فِي يَمينِ المُكْرَه ، وكان مالكٌ يقول : «لا تلزمُه اليمينُ» .

- وأبو السَّوَّارِ العَدَوِيُّ ، وعُقبةُ بنُ عبدالغافر : ضُرِبَا بالسِّياط .

ولأحْمدَ بنِ حنبلٍ فِي هؤلاء الأئمَّةِ أُسوةٌ)[1].

□ دخلَ الحارثُ بنُ مسكينٍ على الإمام أحْمد ، فقال له : (أخبَرَنِي يوسفُ بنُ عمرَ بنِ يزيدَ ، عن مالكِ بنِ أنسٍ : أن الزهريَّ سُعِي به حتَّى ضُرب بالسِّياط ، فقيل لِمالكٍ بعد ذلك : إنَّ الزُّهريَّ قد أُقيم للناس وعُلِّقت كتبُه فِي عُنقه .. فقال مالكٌ : قد ضُرب سعيدُ بنُ المسيَّبِ بالسِّياط ، وحُلِق رأسُه ولِحيتُه ، وضُرب أبو الزِّنادِ بالسِّياط ، وضُرب مُحمَّدُ بنُ المنكدرِ وأصحابٌ له فِي حَمَّامٍ بالسِّياط .

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (٤٢٢ ، ٤٢٣) .

قال : وقال عمرُ بنُ عبدالعزيز : لا تَغبِطوا أحدًا لَم يُصِبْه فِي هذا الأمرِ أذًى .. فأُعجب أحْمدُ بقول الحارث)[1].

□ وقيل للشافعي : (يُبتلى الرجلُ خيرٌ له أم يُمكَّنُ ؟ قال : لا يُمكَّنُ حتَّى يبتلَى) ..

ضربُوا ابنَ حنبل بالسِّياطِ بظُلمِهم   بَغيًا فثُبِّتَ بالثَّباتِ الأنورِ
قال الْمُوفَّقُ حين مُدِّدَ بينَهم   مَدَّ الأديْمِ مع الصَّعيدِ القَرقرِ :
إنِّي أموتُ ولا أبوءُ بفَجْرةٍ   تَصلَى بوائقُها مَحلَّ الْمُفترِي

لله درُّه !!..

هانت عليه نفسُه فِي دينه   ففَدى الإمامُ الدِّينَ بالجُثمانِ
لله ما لَقِيَ ابنُ حنبلَ صابرًا   عَزمًا وينصرُه بلاَ أعوانِ

□ قال بِشرٌ الحافِي -رحِمه الله-: (إنَّ ابنَ حنبل طارَ بِحظِّها وغَنائها فِي الإسلام) .

□ وقال إسحاقُ بنُ راهويه : (لولا أحْمدُ بنُ حنبل وبَذلُ نفسِه لِمَا بَذَلَها له ؛ لَذَهب الإسلامُ) .

□ وعن أبِي هَيثمٍ العابد قال : (كنتُ عند بشرِ بن الحارث ، فجاءه رجلٌ ، فقال : قد ضُرب أحْمدُ بنُ حنبل إلَى الساعة سبْعةَ عشرَ سوطًا .. فمَدَّ بِشرٌ رِجلَه ، وجَعل ينظرُ إلَى ساقه ويقول : ما أقبحَ هذا السَّاقَ ألاَّ يكونَ القَيدُ فيه نُصرةً لِهذا الرَّجل !) .

---

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (٤٢١ ، ٤٢٢) .

□ وقالوا لبِشرٍ : (ألاَ صنعتَ كما صنع ابنُ حنبل ! فقال : تريدُون منِّي مرتبةَ النبوَّة ! لا يقوَى بدنِي على هذا ، حَفِظَ اللهُ أحْمدَ مِن بَينِ يديه ومِن خلفه ، ومِن فوقِه ومِن تَحتِه ، وعن يَمينِه وعن شِماله) .

□ وقال بِشرٌ : (أُدخِلَ أحْمدُ الكِيرُ ، فخَرج ذهبًا أحْمرَ) .

□ قال عليُّ بنُ خُشْرُم : (فبلغ ذلك أحْمدَ ، فقال : الحمدُ لله الذي رَضَّى بِشرًا بِما صَنَعْنا)(١).

□ وما أروعَ ما كتب مصطفى صادق الرافعي ، بقلمه النيِّر -لله درُّه-:

(كنتُ لا أزال أعجبُ من صبر شيخِنا أحْمدَ بنِ حنبل ، وقد ضُرب بين يدَيِ المعتصمِ بالسِّياط حتَّى غُشي عليه ، فلم يتحوَّلْ عن رأيه !! فعلمتُ الآنَ أنه لَم يَجعلْ فِي نفسه للضرب معنَى الضرب ، ولا عَرف للصبرِ معنَى الصبر الآدميِّ ، ولو هو صَبَر على هذا صَبْرَ الإنسانِ لَجَزِعَ وتَحوَّل ، ولو ضُرِبَ ضَرْبَ الإنسانِ لتَألَّم وتغيَّر ، ولكنه وَضع فِي نفسِه معنَى ثبات السُّنَّة وبقاءِ الدِّين ، وأنه هو الأُمَّةُ كلُّها -لا أحْمدُ بنُ حنبل-، فلو تَحوَّل لَتحوَّلَ الناس ، ولو ابتَدع لابتدعوا ، فكان صَبرُه صَبْرَ أُمَّةٍ كاملةٍ -لا صبرَ فردٍ-، وكان يُضرب بالسِّياط ونفسُه فوق معنَى الضَّرب ، فلو قرَّضوه بالمقاريض ونَشَروه بالمناشير لَمَا نالُوا منه شيئًا ؛ إذ لَم يكن جسمُه إلاَّ ثوبًا عليه ، وكان الرجلُ هو الفِكرَ ليس غير .

هؤلاء قومٌ لا يَرَون فضائلَهم فضائلَ ، ولكنَّهم يرَونَها أماناتٍ قد ائتُمنوا

(١) «مناقب الإمام أحْمد» (١٥٧) .

عليها من الله ، لتبقى بِهم معانيها فِي هذه الدنيا ، فهم يُزرَعون فِي الأُممِ زَرعًا بيد الله تعالَى ، ولا يَملكُ الزَّرعُ غيرَ طبيعته ، وما كان المعتصمُ -وهو يريدُ شيخَنا على غير رأيه وعقيدته- إلاَّ كالأحْمقِ ، يقول لشجرة التُّفاح : أثْمرِي غيرَ التُّفاح !)[١].

الإمامُ أَسَدُ بنُ الفُرَات وشدَّتُه على الْمُعتزلة وأهلِ البدع :

كان -رحمه الله- ذاتَ يومٍ يُقرأُ عليه فِي تفسير المسيَّبِ بنِ شَريكٍ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئذ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ، وسليمانُ الفرَّاءُ الْمعتزِليُّ حاضرٌ ، فقال : من «الانتظار» يا أبا عبدالله[٢]. فأخذ أَسدٌ بتلابيبه ، وأخذ بيدِه الأخرى نَعْلاً ، وقال : يا زِنديقُ ، لَتَقُولَنَّها أو لأُبَيِّضَنَّ بِها عينَيك ، فقال سليمانُ : نعم ، نَنظُرُه[٣].

وقيل : بل ضربه حتَّى أدماه ، وطَرَده من مَجلسه)[٤].

محنةُ الإمامِ سُحنونٍ وتلاميذه فِي مِحنة خَلقِ القرآن ، وثباتُهم حتَّى هُزِمَتِ الْمُعتزلة :

كان المعتزلةُ فِي بادِئ الأمر فِي ذِلَّةٍ وهوان ؛ ولكنَّ اعتناقَ حُكَّامِ القَيروانِ

---

(١) من «وحي القلم» لمصطفى صادق الرافعي .

(٢) وهذا تَحريف للآية : لأن المعنَى الحقيقي لَها : ناظرةٌ لربِّها بعيونها .

(٣) انظر للأهَميَّة فِي معنَى (النظر) : «المدخل المفصَّل إلَى فقه الإمام أحْمد ابن حنبل» ، للعلاَّمة بكر أبو زيد (١٩/١) .

(٤) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» (٣٠٢/٣) - طبع وزارة الأوقاف المغربية .



« الأغالبة » لعقيدتهم عَزَّز جانبَهم ، وأعطاهم قوَّةً ومَنَعةً ونُفوذًا .. وحاولَ الأغالبةُ إرغامَ الناس على اعتناقِ عقيدةِ المعتزلة والقولِ بخَلقِ القرآن ، فلم يُجَارِ[1] المالكيَّةُ بني الأغلبِ في مقالتهم المُمْلاَةِ عليهم من الخلفاء العباسيِّين في بغداد .

وقد نزل بكثيرٍ من المالكيَّة الأذى والضرُّ برفضِهمُ القولَ بخَلقِ القرآن -ولا سيَّما الإمامُ سُحنونُ بنُ سعيدٍ التَّنوخيُّ-، ذلك أنه (لَمَّا تَوَلَّى أحْمدُ بنُ الأغلب إمارةَ القيروان ، أخذَ الناسَ بالمحنة بالقول بخلقِ القرآن ، فجَمع قُوَّادَه وقاضيَه ابنَ أبِي الجَوادِ الحنفيَّ ، ودعا سحنونَ بنَ سعيدٍ ، فقال له : ما تقولُ فِي القرآن ؟ فقال سحنونٌ : أمَّا شيءٌ أبتديه من نفسي فلا ، ولكنِّي سَمعتُ مَن تَعلَّمتُ منه وأخذتُ عنه ، كلُّهم يقولون : « القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخلوقٍ » ، فقال ابنُ أبِي جَواد : كَفَر ، فاقتُلْه -ودَمُهُ فِي عُنقي-.

غيرَ أن الأميرَ أحْمدَ لَم يأخُذْ بِهذا الرأي ، ولكنه حَكم على سحنونَ بالإقامة الجَبريَّةِ فِي منْزله ، ومَنَعه من الفتوى)[2].

ولَمَّا رَفض سحنونُ أن يُصلِّيَ خلفَ ابنِ أبِي الجوادِ -لقوله بخَلقِ القرآن- سَعى به إلَى الأميرِ « زيادة الله بن الأغلب » ، فأمر الأميرُ عاملَه على القيروان بضربِ سُحنونَ خَمْسَمِئَةَ سوطٍ ، وحَلْقِ رأسِه ولِحيته ، ولولا أن الوزيرَ عليَّ ابنَ حُميدٍ بادر إلَى الأمير ، فأقنعه بالعدول عن هذا القرار لَمَا تَخلَّص

---

(١) أي : لَم يوافق .. من المُجاراة فِي الشيء .

(٢) « ترتيب المدارك » (٤/٧١) .

سحنونُ من هذه العقوبة[١].

وقد فَرَّ يَحيَى بنُ عُمرَ الكِنديُّ تلميذُ سحنونَ إلَى « سُوسةَ » من أمامِ ابنِ عبدونٍ القاضي الحنفي بالقيروان لِطَرْدِه العراقيِّينَ من مَجلسه وعدمِ قوله بِخلق القرآن ، وبعثَ ابنُ عبدون يطلُبُه ، وأمر أن يؤتَى إليه مُوثَقًا -إن وُجد-؛ ولكنهم لَم يتمكَّنوا منه ، وظلَّ مُختفيًا بـ « سُوسةَ » حتَّى تُوُفِّي -رحمه الله-[٢].

كما توارَى مُحمَّدُ بنُ سحنونٍ التَّنُوخي المتوفَّى عام (٢٥٦هـ) خوفًا على نفسه من سليمانَ بنِ عِمرانَ قاضي مُحمدِ بن الأغلب ، لِمخالفته له فِي المذهب ورفضِه القولَ بِخَلقِ القرآن ، حتَّى لَجأ إلَى الأمير مُحمدِ بن الأغلب ، فرَفع يدَ سليمانَ عنه ، وأَمَّنَه ، فردَّ سليمانُ غيظَه على أصحابِ ابن سحنونٍ ، فأخذ فُرَاتَ بنَ مُحمدٍ ، وضَرَبه بالسِّياط[٣].

وقد امتُحن كثيرٌ من فقهاءِ المالكيَّة فِي مسألة « خَلق القرآن » ، وأصرُّوا على التمسُّك بالكتابِ والسُّنة والثباتِ على عقيدة السلف ، حتَّى كُتب لَهم النصر ، وهُزمت المُعتزلة .

□ يقول الدكتور حسن أحْمد مَحمود : (فلمَّا امتُحن أهلُ المغرب بِمحنة خلق القرآن ، وتفشَّت آراءُ المعتزلة والقَدَريَّة ، كان المالكيُّون أشدَّ الناس لَهم حربًا ، وأكثرَهم عنفًا فِي مقاومتهم ، وامتُحنوا فِي سبيل الله ، فصَبروا على الإيذاء ، وتَمسَّكوا بالكتاب والسُّنة ، ونافَحوا عنها مُنافحةَ الأبطال ،

(١) المصدر السابق (٤/٦٩ ، ٧٠) .
(٢) المصدر السابق (٤/٣٦٣ ، ٣٦٤) .
(٣) المصدر السابق (٤/٢١٢ ، ٢١٣) .

حتَّى كُتب لَهم الظَّفَرُ ، وأُعِزَّ بِهمُ الإسلامُ ، ورُفع كتابُه وسنَّةُ نبيِّه ، وهُزمت المعتزلة ، حتَّى لَم يَبْقَ لَها بالقيروان رأيٌ ولا أتباعٌ ، ولَم يَجِدِ الأمراءُ مفرًّا من النُّزول على رأيِ المالكية)[1].

□ قال الإمامُ الذهبِيُّ فِي ترجَمة الإمام أبِي سعيد عبدالسلام بنِ حبيبٍ -المعروف بسُحنونٍ-: (قرأتُ فِي تاريخ « القَيْروان » لأبِي بكرٍ عبدالله بنِ مُحمَّدٍ المالكيِّ قال : قال أبو العرب : اجتَمَعتْ فِي سُحنون خِلالٌ قلَّما اجتَمَعت فِي غيره : الفقهُ البارع ، والورعُ الصادق ، والصَّرامةُ فِي الحق ، والزِّهادةُ فِي الدنيا ، والتخشُّنُ فِي الَملْبَس والَمطعَم ، والسَّماحة .. كان ربَّما واصلَ إخوانه بالثلاثين دينارًا ، وكان لا يقبلُ من أحدٍ شيئًا ، ولَم يكن يَهابُ سُلطانًا فِي الحقِّ ، شديدًا على أهل البدع ، انتشرت إمامتُه ، وأجْمَعوا على فضله)[2].

وكذلك عبدُالله بنُ أبِي حسَّان اليَحصُبِيُّ (ت : ٢٢٦هـ) .

□ قال ابنُ فَرحُون فِي ترجَمته : (وكان جَوَادًا ، مفوَّهًا ، قويًّا على المناظرة ، ذابًّا عن السُّنة ، متَّبِعًا لِمذهبِ مالكٍ ، شديدًا على أهلِ البدع)[3].

---

(١) «قيام دولة المرابطين» للدكتور حسن أحْمد مَحمود (٩٣ ، ٩٤) طبع دار الفكر العربِي ، و«السلفية وأعلامها فِي موريتانيا» ، للشيخ الطيب ابن عمر بن الحسين (١٧٨ : ١٨١ - دار ابن حزم) .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦٩/١٢) .

(٣) « الديباج المذهَّب فِي معرفة أعيان علماء المذهب » ، لابن فَرحون (١٣٤- دار الكتب العلميَّة) .

▫ وقال القاضي عياضٌ -رحمه الله- في ترجمة الإمام أبي يوسف -جَبَلة ابنِ حَمود الصَّدفِي- من تلاميذ سحنون (ت : ٢٩٩هـ) : (ذِكرُ شدَّته على أهل البدع ، ومُجانبته إيَّاهم ، وقوَّته في ذات الله عزَّ وجل :

كان -رحمه الله- شديدًا في ذلك ، لا يُداري فيه أحدًا ، ولَم يكن أحدٌ أكثرَ مُجاهدةً منه للروافض وشيَعهم ، فنجَّاه الله منهم .. وكان ينكرُ على مَن خرج من «القَيْروان» إلَى «سُوسةَ» ونَحوها من الثغور ، ويقول : جهادُ هؤلاء أفضلُ من جهادِ الشِّرك)[1].

شيخُ الإسلام : مُحمَّدُ بنُ أسلمَ الطُّوسِيُّ ، أمرُهُ سَماوِيٌّ ، أشدُّ الناس اتِّباعًا ودعوةً إلَى الاتباع :

▫ قال عنه أبو عبدالله الحاكم : (كان من الأبدال المتَّبعين للآثار) .

▫ وقال قَبيصةُ : (كان ابنُ مسعودٍ أشبهَ الناسِ برسولِ الله ﷺ -يعني فِي هديه وسَمْتِه-، وكان عَلْقَمَةُ يُشَبَّهُ بابنِ مسعودٍ فِي ذلك ، ويُشَبَّهُ بعلقمة إبراهيمُ ، وبإبراهيمَ منصورٌ ، وبِمنصورٍ سُفيانُ ، وبسفيانَ وكيعٌ) .

▫ قال الحاكم : (قام مُحمَّدُ بنُ أسلمَ مقامَ وكيعٍ -وأفضلَ من مقامه- لزُهدِه وورعِه وتتبُّعه للأثر)[2].

▫ وقال إسحاقُ بنُ راهُويه -وذَكر فِي حديثٍ رفعه إلَى النَّبيِّ ﷺ ، قال : **(إنَّ الله لَم يكنْ لِيَجمعَ أُمَّةَ مُحمَّدٍ على ضلالةٍ ، فإذا رأيتُمْ الاختلافَ**

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٥ ، ٣٧٦) .
(٢) «السير» (١٢/١٩٦) .

فعليكم بالسَّوادِ الأعظم)[١]-، فقال رجلٌ : (يا أبا يعقوبَ ، مَنِ السَّوادُ الأعظم ؟ فقال : مُحمَّدُ بنُ أسلمَ وأصحابُه ومَن تَبِعه .

ثُمَّ قال : سأل رجلٌ ابنَ المبارك ، فقال : يا أبا عبدالرَّحْمن ، من السَّوادُ الأعظم ؟ فقال : أبو حَمزةَ السَّكُونيُّ .

ثُمَّ قال إسحاقُ : فِي ذلك الزمان -يعنِي أبا حَمزة-، وفِي زماننا مُحمدُ ابنُ أسلمَ ومَن تَبِعه .

ثُمَّ قال إسحاقُ : لو سألتَ الجُهَّالَ : مَنِ السَّوادُ الأعظمُ ؟ لقالوا : جَماعةُ الناس .. ولا يعلمون أن « الجماعة » عالِمٌ متمسِّكٌ بأثر النَّبيِّ ﷺ وطريقِه ، فمَن كان معه وتَبِعَه فهو « الجماعة » ، ومَن خالفه فيه ترك الجماعة .

ثُمَّ قال إسحاق : لَم أسْمع عالِمًا منذ خَمسينَ سنةً كان أشدَّ تَمسُّكًا بأثرِ النَّبِيِّ ﷺ من مُحمَّدِ بنِ أسلمَ)[٢].

□ وقال مُحمَّد بنُ القاسم -خادم مُحمَّد بن أسلم-: (سَمعتُ أبا يعقوبَ المَروَزِيَّ ببغداد ، وقلتُ له : قد صحبتَ مُحمَّدَ بنَ أسلمَ ، وصحبتَ أحْمدَ

---

(١) **قويٌّ بطُرُقه** : أخرجه ابن ماجة ، وإسنادُه ضعيف ، ورواه أبو يعلى الموصلي ، وأبو داود وأحْمد والترمذي وأبو نُعيم والحاكم وأبو مَنده والضياء فِي « المختارة » عن أنس بن مالك وأبِي مالك الأشعري وأبِي بَصْرة وابن عمر وأبِي ذر -رضى الله عنهم-؛ وفِي كلِّها نظر كما قاله العراقي .. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : « لكن بِمجموعها يتقوَّى الحديث » .. انظر هامش « السير » (١٢/١٩٧) .

(٢) « السير » (١٢/١٩٦ ، ١٩٧) ، و« الحلية » (٩/٢٣٨ ، ٢٣٩) .

ابنَ حنبل ، أيُّ الرجلينِ كان عندك أرجحَ أو أكثرَ أو أبصرَ بالدِّين ؟ فقال : يا أبا عبدالله ، لِم تقولُ هذا ؟ إذا ذكرتَ مُحمَّدًا فِي أربعةِ أشياءَ فلا تَقرِنْ معه أحدًا : البَصَرُ بالدِّين ، واتِّباعُ أثَرِ النَّبيِّ ﷺ فِي الدنيا ، وفصاحةُ لسانه بالقرآن والنَّحو .

ثُمَّ قال لِي : نَظر أحْمدُ بنُ حنبل فِي كتاب «الرَّد على الجهميَّة» ، الذي وضعه مُحمَّدُ بنُ أسلم ، فتعجَّب منه ، ثُمَّ قال : يا أبا يعقوب ، رأتْ عيناك مثلَ مُحمَّدٍ ؟ فقلتُ : يا أبا عبدالله ، لا يَغلَطُ رأيُ مُحمَّدٍ من أستاذيه ورجالِه مثله ؟ فتفكَّر ساعةً ، ثُمَّ قال : لا ، قد رأيتُهم وعرفتُهم ، فلم أَرَ فيهم على صفةِ مُحمَّدِ بنِ أسلمَ) .

□ وقال أبو عبدالله : (سألتُ يَحيَى بنَ يَحيَى عن ستٍّ مسائلَ ، فأفتَى فيها ، وقد كنتُ سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ أسلمَ أفتَى فيها بغير ذلك -احتَجَّ فيها بحديثِ النبيِّ ﷺ-، فأخبَرتُ يَحيَى بنَ يَحيَى بفُتيا مُحمَّدِ بنِ أسلمَ فيها ، فقال : يا بُنَيَّ ، أطيعوا أمرَه ، وخُذوا بقوله ، فإنه أبصرُ منا ؛ ألاَ ترى أنه يَحتجُّ بِحديثِ النبِيِّ ﷺ فِي كلِّ مسألةٍ !! وليس ذلك عندنا) .

□ وقال أبو عبدالله : (سَمعتُ إسحاقَ بنَ راهويه -ذاتَ يوم- رَوى فِي ترجيعِ الأذان[١] أحاديثَ كثيرةً ، ثُمَّ روى حديثَ عبدِالله بنِ زيدٍ الأنصاريِّ

(١) ترجيعُ الأذان : أن يُكرِّرَ الشهادتين فقط فِي الأذان أربعَ مرات ، فيكون الأذانُ كالآتي : (اللّهُ أكبرُ اللّهُ أكبرُ ، اللّهُ أكبرُ اللّهُ أكبرُ .. أشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ الله ، أشهد ألاَّ إلهَ إلاَّ الله [بصوتٍ منخفض] .. أشهد ألاَّ إلـه إلاَّ الله أشهـد ألاَّ إلـه إلاَّ الله [بصوتٍ مرتفع] .. =

ﷺ[1]، ثُمَّ قال : يا قومُ ، قد حدَّثْتُكم بِهذه الأحاديث فِي الترجيع ، وليس فِي غيرِ الترجيع إلاَّ حديثٌ واحد ؛ حديثُ عبدالله بن زيد ، وقد أمَرَ مُحمَّدُ بنُ أسلمَ الناسَ بالترجيع ، فقُلتم : « هذا مبتدعٌ ، عامَّةُ أهل بلدِه بالكُورة غوغاء » !.

ثُمَّ قال : احذرُوا الغوغاء ، فإنَّهم قَتَلَةُ الأنبياء .

فلمَّا كان الليلُ دخلتُ عليه ، فقلتُ : يا أبا يعقوبَ ، حدَّثتَ بِهذه الأحاديثِ كلِّها فِي التَّرجيع ، فما لك لا تأمرُ مؤذِّنَك بالترجيع ؟ قال : يا مُغَفَّلُ ، أَلَم تسمعْ ما قلتُ فِي الغوغاء !! إنَّما أخاف الغوغاء ، فأمَّا أمرُ مُحمَّدِ بنِ أسلمَ ، فإنه سَماويٌّ ، كلَّما أخذ فِي شيءٍ تَمَّ له ، ونَحنُ عَبيدُ بطونِنا ، لا يتمُّ لنا أمرٌ نأخذُ فيه ، نَحنُ عند مُحمَّدِ بنِ أسلمَ من السُّرَّاق) .

لا يَعرِفُ قَدْرَ الرِّجالِ إلاَّ الرِّجالُ ، فهذا كلامُ إسحاقَ بنِ راهُويه شيخِ البخاري !!.

= أشهدُ أن مُحمَّدًا رسولُ الله ، أشهد أن مُحمَّدًا رسولُ الله [بصوت منخفض] ، أشهدُ أن مُحمَّدًا رسولُ الله ، أشهدُ أن مُحمَّدًا رسولُ الله [بصوت مرتفع] .. حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الصلاة .. حيَّ على الفلاح ، حيَّ على الفلاح .. الله أكبر الله أكبر .. لا إله إلاَّ الله) .. فتلك تسعَ عشْرةَ كلمةً .. كما ثبت بِها حديثُ أبِي مَحذُورة رضي الله عنه .. رواه الجماعة إلا البخاري .

(١) حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه ليس فيه ترجيعُ الشهادتين كما فِي حديث أبِي مَحذورة السابق ، فيكون الأذان سبعَ عشْرةَ كلمةً فقط .

□ قال أبو عبدالله : (كَتب إلَيَّ أحْمدُ بنُ نصرٍ : أنِ اكتُبْ إلَيَّ بحالِ مُحمَّدِ بن أسلمَ ، فإنه ركنٌ من أركانِ الإسلام) .

□ وقال مُحمَّدُ بنُ أسلمَ لِخادمه عند موته : (يا أبا عبدالله ؛ أنا معك ، وقد علمتُ أن معي فِي قميصي مَن يشهدُ عليَّ ، فكيف ينبغي لِي أن آتيَ الذنوب ؟! إنَّما يعملُ الذنوبَ جاهلٌ ، ينظرُ فلا يرى أحدًا ، فيقول : «ليس يراني أحدٌ ، أذهبُ فأُذنِبُ» .. فأمَّا أنا ، فكيف يُمكنُنِي ذلك وقد علِمتُ أنَّ داخلَ قميصي مَن يشهدُ عليَّ ؟!.

ثمَّ قال : يا أبا عبدالله ، ما لِي ولِهذا الخَلقِ ! كنتُ فِي صُلبِ أبِي وحدي ، ثُمَّ صِرتُ فِي بطنِ أمي وحدي ، ثُمَّ دخلتُ الدنيا وحدي ، ثُمَّ تُقبضُ رُوحي وحدي ، وأدخلُ فِي قبري وحدي ، ويأتِينِي منكرٌ ونكيرٌ فيَسألانِي فِي قبري وحدي ، فإنْ صرتُ إلَى خيرٍ صرتُ وحدي ، وإنْ صرتُ إلَى شرٍّ كنتُ وحدي ، ثُمَّ أوقَفُ بين يدَيِ اللهِ وحدي ، ثُمَّ يوضعُ عَمَلي وذنوبِي فِي ميزانِي وحدي ، وإنْ بُعثتُ إلَى الجنَّة بُعثت وحدي ، وإنْ بُعثتُ إلَى النار بُعثتُ وحدي ، فما لِي وللناس ؟!!.

ثُمَّ تَفكَّر ساعةً ، فوقَعَتْ عليه الرِّعْدةُ[1] حتَّى خَشيتُ أن يَسقط ،ثُمَّ رجعَتْ إليه نفسُه ، ثُمَّ قال : يا أبا عبدالله ، إن هؤلاء قد كَتبوا رأيَ أبِي حنيفة ، وكتبتُ أنا الأثر ، فأنا عندهم على غيرِ طريق ، وهم عندي على غيرِ طريق) .

(١) الرِّعدة : اقشعرارُ البدن واضطرابُه .

□ وقال خادمه : (قال لِي مُحمَّدُ بن أسلمَ : يا أبا عبدالله ، أصلُ الإسلام فِي هذه الفرائض ، وهذه الفرائضُ فِي حرفَين ، ما قال اللهُ ورسولُه : « افعَلْ » ، فهو فريضةٌ ينبغي أن يُفعل ، وما قال اللهُ ورسولُه : « لا تفعلْ » ، فينبغي أن نَنتهيَ عنه ، فتركُه فريضةٌ ، وهذا فِي القرآن ، وفِي فريضة النَّبيِّ ﷺ ، وهم يقرؤونه ، ولكن لا يتفكَّرون فيه ، قد غَلب عليهم حبُّ الدنيا .

ثُمَّ قال : حديثُ عبدالله بن مسعود : (خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا فقال : **هذا سبيلُ الله** ، ثُمَّ خَطَّ خطوطًا عن يَمينه وعن شِماله ، ثُمَّ قال : **هذه سُبُلٌ ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه** ، ثُمَّ قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]) ، وحديثُ عبدالله بن عمرٍو عن النَّبيِّ ﷺ : (**إنَّ بنِي إسرائيل افترَقُوا على اثنتَينِ وسبعين مِلَّةٍ ، وأُمَّتِي تفترقُ على ثلاثةٍ وسبعين ، كلُّها فِي النارِ إلاَّ واحدة** . قالوا : يا رسول الله ، مَن هم ؟ قال : **ما أنا عليه اليوم وأصحابِي**) .

فرجع الحديثُ إلَى واحدٍ ، و(**السبيلُ**) الذي قال فِي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : الذي قال : (**ما أنا عليه وأصحابِي**) ، فدينُ الله فِي سبيلٍ واحد ، فكلُّ عملٍ أوَّله أعرضُه على هذين الحديثين ، فما وافقهما عملتُه ، وما خالفهما تركتُه ، ولو أنَّ أهلَ العلم فَعلوا ، لكانوا على أثرِ النَّبي ﷺ ، ولكنهم فتنَهم حبُّ الدنيا وشهوةُ المال ، ولو كان فِي حديث عبدالله بن عمرٍو الذي قال : (**كلُّها فِي النَّار إلاَّ واحدةٌ**) ، قال : (كلُّها فِي الجنة إلاَّ

واحدة)[١]، لكان ينبغي أن يكون قد تبيَّن علينا فِي خشوعِنا وهُمومِنا وجَميعِ أمورنا ، خوفًا أن نكون مِن تلك (الواحدة) ، فكيف وقد قال : (**كلُّها فِي النار إلاَّ واحدة) ؟!)**[٢].

□ وقال أبو عبدالله[٣]: (ووُلد له ابنٌ ، فدَفع إلَيَّ دراهمَ ، وقال : اشتَرِ كبشَينِ عظيمَينِ ، وغالِ بِهما[٤]، فإنه كلَّما كان أعظمَ كان أفضل .. فاشتريتُ له ، وأعطانِي عشرةَ دراهم فقال : اشترِ به دقيقًا واخبِزْه .. فنَخَلتُ الدقيقَ وخَبَزتُه ، ثُمَّ جئتُ به ، فقال : نَخَلتَ هذا ؟ فأعطانِي عشرةَ دراهمَ أُخَرَ ، وقال : اشتَرِ به دقيقًا ولا تَنخُلْه واخبِزْه .. فخبزتُه ، وحَملتُه إليه ، فقال لِي : يا أبا عبدالله ، إنَّ العقيقةَ سُنَّةٌ[٥]، ونَخلُ الدقيقِ بدعةٌ .. ولا ينبغي أن يكون فِي السُّنة بدعةٌ ، فلم أُحبَّ أن يكون ذلك الخبزُ فِي بيتِي بعد أن يكون بدعةً) .

اللهُ أكبر ! نَخلُ الدقيق مباحٌ ؛ ولكنه يريدُ أن يقتفِيَ أثرَ الرسول ﷺ الذي ما رأى مَنخُلاً قطُّ منذ أنِ ابتَعثه اللهُ[٦].

---

(١) أي : لو قال هذا بدلاً من الجملة السابقة .
(٢) «الحلية» (٩/٢٤١ : ٢٤٤) .
(٣) خادم مُحمَّد بن أسلم .
(٤) أي : ابْحث عن الأغلى ثَمنًا .. والله أعلم .
(٥) وهو قولُ الجُمهور .. ومنهم مَن ذهب إلَى وجوبِها .
(٦) ثبت عن أبِي حازمٍ قال : سألتُ سهلَ بنَ سعد رضي الله عنه ، فقلت : هل أكل رسولُ الله ﷺ النَّقيَّ ؟ فقال سهلٌ : ما رأى رسولُ الله ﷺ النَّقيَّ من حينِ ابتَعثه اللّهُ حتَّى قَبضه اللّهُ .. فقلت : هل كانت لكم =

فرحِم اللهُ شيخَ الإسلام الطُّوسيَّ ، الذي ما علِم بسُنَّة إلاَّ وعملها ، إلاَّ سُنةً واحدةً أعيَتْه ، وهي أن يطوفَ بالبيت راكبًا مثلما طاف رسولُ الله ﷺ بالبيت راكبًا .

سيِّدُ الْحُفَّاظ : أبو زُرْعَةَ الرَّازي -عُبَيدُالله بنُ عبدِالكريم بنِ يزيدَ-:

□ قال يونُسُ بن عبدالأعلى : (أبو زُرعةَ أشهرُ فِي الدنيا من الدنيا) .

□ وقال مُحمَّدُ بنُ يَحيَى : (لا يزالُ المسلمون بِخَيرٍ ما أبقى اللهُ لَهم مِثلَ أبِي زُرعةَ يُعلِّمُ الناسَ ، وما كان اللهُ يترك الأرضَ إلاَّ وفيها مِثلَ أبِي زُرعةَ يُعلِّمُ الناسَ ما جهِلوه) .

□ وقال الصَّاغانِي : (أبو زُرعةَ يُشبَّهُ بأحْمدَ بنِ حنبل)[1] .

وتَحت باب : « ما ذُكر من بُدُوِّ مكاشفةِ[2] أبِي زُرعةَ لأهلِ الرأي ، وإظهارِه السُّنَنَ ومقاساتِه أذى القوم » :

□ كتب ابنُ أبِي حاتِمٍ الرازيُّ فِي « الجرح والتعديل » (٣٤٧/١) يقول : (سَمعتُ أبا زُرعةَ يقول : قال لِي أبو جعفرٍ الْجَمَّالُ : ما لَهم -يعنِي

= فِي عهد رسول الله ﷺ مناخُلُ ؟ قال : ما رأى رسولُ الله ﷺ مُنخُلاً من حين ابتعثه الله حتَّى قبضه الله .. قلت : كيف كنتم تأكلون الشَّعير غيرَ منخولٍ ؟ قال : كنَّا نطحنُه ونَنفُخُه ، فيطيرُ ما طار ، وما بقي ثرَّيناه فأكلناه) .. [صحيح : رواه أحْمد والبخاري وغيرهُما] .

النقيُّ : الدَّقيق المنخول .. ثرَّيناه : بَلَّلناه بالماء .

(١) « السير » (٧٠/١٣ : ٧٤) .

(٢) المراد بالمكاشفة هنا : المناظرةُ والصَّدعُ بالحق .

أصحابَ الرأيِ- سواك) .

□ وقال أبو زرعة : (ما رغبتُ قطُّ فِي سُكنَى «الرَّيِّ» ، وما كاشفتُ القومَ وأنا أريدُ مُزاحَمَتهم فِي دنيا ولا مالٍ ولا فِي ضَيعة ، وقلتُ فِي نفسي : أنا لستُ براغبٍ فِي شيءٍ من هذا ، فأُقاسي إظهارَ السُّنَنِ ، فإن كان كونٌ ، خرجت وهربتُ إلَى «طَرَسوس») .

□ وقال أبو زُرعةَ : (قال لِي السَّرِيُّ بنُ معاذٍ : لو أنِّي قَبِلتُ لأُعطِيتُ مِئةَ ألفِ درهمٍ قبلَ الليلِ فيك وفِي ابنِ مسلمٍ ، مِن غير أن أحبِسَكم ولا أضرِبَكم ، أكثرَ من أن أمنعَكم من الحديث) .

سبحان الله !! هكذا الخوفُ من إظهار السُّنن ونشرِ الاتِّباع .

□ قال الحسنُ بنُ أحْمدَ بنِ الليث : (سَمعتُ أحْمدَ بنَ حنبل -وسأله رجلٌ ، فقال : بالرَّيِّ شابٌّ يقال له : أبو زُرعة-، فغَضب أحْمد ، وقال : تقول : « شاب » ؟! -كالمنكِرِ عليه-؛ ثُمَّ رفع يديه ، وجعل يدعو اللّهَ عزَّ وجلَّ لأبِي زُرعةَ ، ويقول : اللهمَّ انصُرْه على مَن بَغى عليه ، اللهمَّ عافِه ، اللهمَّ ادفَعْ عنه البلاء ، اللهمَّ .. اللهمَّ ، فِي دعاءٍ كثير .

قال الحسن : فلمَّا قدمتُ « الرَّيَّ » حكيتُ ذلك لأبِي زُرعةَ -وحَملتُ إليه دعاءَ أحْمدَ بنِ حنبلٍ له ، وكنتُ كتبتُه عنه ، فكتبه أبو زُرعةَ .

وقال لِي أبو زُرعة : ما وقعتُ فِي بليَّةٍ ، فذكرتُ دعاءَ أحْمدَ ، إلاَّ ظننتُ أنَّ اللّهَ عزَّ وجل يُفرِّجُ بدعائه عنِّي) .

□ وكَتب عبدُالرحْمنِ بنُ عمرَ الأصبهانِيُّ الْمعروف بـــ « رُسْتَه » من

أصبهانَ إِلَى أبِي زُرعةَ : (اعلمْ -رحمك الله- أنِّي ما أكادُ أنساك فِي الدعاء لك -ليلي ونَهاري- أن يُمتَّعَ المسلمون بطولِ بقائك ؛ فإنه لا يزالُ الناس بِخيرٍ ما بَقِيَ مَن يَعرِفُ العلمَ وحَقَّه من باطِله ؛ ولولاك لَذهب العلمُ ، وصار الناسُ إِلَى الجهل .. وقد جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال : (**يَحملُ هذا العلمَ مِن كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه ، يَنفُون عنه تَحريفَ الغالِين ، وانتحالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين**)[١]؛ وقد جَعلك اللهُ منهم ؛ فاحْمَدِ اللّهَ على لذلك ، فقد وجب لله عزَّ وجل عليك الشكرُ فِي ذلك) .

□ وكتبَ إليه إسحاقُ بنُ راهُويه : (اعلم -أبقاك الله- أنِّي كنتُ أسْمعُ من إخواننا القادمين علينا -ومن غيرهم- حالَك وما أنتَ عليه من العلمِ والحِفظِ ، فأُسَرُّ بذلك ، وإنِّي أزدادُ بك كلَّ يومٍ سرورًا ، فالحمدُ لله الذي جعلك مِمَّن يَحفظُ سُنةَ نبيِّه ﷺ ، وهو من أعظمِ ما يَحتاجُ إليه الطالبُ اليوم ، وأحْمدُ بنُ إبراهيمَ لا يزال فِي ذِكرِكَ الجميلِ حتَّى يكادَ يُفرِطُ حبًّا لك ، وإن لَم يكن فيك -بِحمدِ الله- إفراطٌ)[٢].

□ وقال أبو زُرعةَ : (إذا رأيتَ الرجلَ ينتقصُ أحدًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ فاعلمْ أنه زنديقٌ ، وذلك أن الرسولَ ﷺ عندنا حقٌّ والقرآنَ حقٌّ ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسُّننَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ ، وإنَّما يريدون[٣]

---

(١) **حسن بطرقه وشواهده** : وانظر : مفتاح دار السعادة للإمام ابن قيم الجوزية (١/٥٠٠ - ط : دار ابن عفان)

(٢) «الجرح والتعديل» (١/٣٤١ : ٣٤٤) .

(٣) يعنِي أهلَ الضلال .

أنْ يُجَرِّحوا شهودَنا لِيُبطِلوا الكتابَ والسُّنَّةَ .. والجَرْحُ بِهم أولَى ، وهم زنادقةٌ)[١].

□ وقال أبو زرعةَ وأبو حاتمٍ الرَّازي : (مذهبُنا واختيارُنا وما نعتقدُه ونَدِينُ اللّهَ به[٢]: تركُ النظر فِي موضعِ البدع .. وتركُ رأي المُلَبِّسينَ المُمَوِّهِينَ المُزخرِفِين .. وتركُ النظرِ فِي كُتب الكَرابيسيِّ .. وتركُ مُجالسةِ مَن وضعَ الكتبَ بالرأي بلا آثارٍ) .

□ وكانا يقولانِ : (لا يُفلِحُ صاحبُ كلامٍ أبدًا) .

□ وقال أبو زرعةَ : (هؤلاء المتكلِّمون ، لا تكن منهم بسبيلٍ ، فإنَّ آخرَ أمرِهم يرجعُ إلَى شيءٍ مكشوفٍ ينكشفون عنه ، وإنَّما يتموَّهُ[٣] أمرُهُم سَنَةً أو سَنَتين ، ثُمَّ ينكشفُ ، فلا أرى لأحدٍ أن يناضِلَ[٤] عن أحدٍ من هؤلاء ، فإنَّهم إن يُهتَكوا يومًا قيل لِهذا المناضِلِ : أنت من أصحابه[٥]، وإنْ طُلِبَ يومًا طُلِب هذا به[٦].. فلا ينبغي لِمَن يَعقِلُ أن يَمدحَ هؤلاء)[٧].

---

(١) « الكفاية » للخطيب ص(٤٩) .
(٢) أي : نتعبَّدُ اللّهَ به ونتقرَّبُ به إليه .
(٣) من التمويه : أن يَخدَعُ الغافلين .
(٤) يُناضل : يدافع .
(٥) أي : من أصحاب هذا المبتدع .
(٦) أي : إن قُبض على المبتدع جِيءَ بصاحبه أيضًا .
(٧) « الضعفاء » للبرذعي (٥٥٣) ، و« تاريخ بغداد » (٣٧٣/٨) ، و« طبقات الشافعية » (٢٨٥/٢) .

□ وسُئل أبو زرعةَ عن كُتب الحارث المُحاسِبِيِّ ، فقال : (إيَّاك وهذه الكتبَ ، هذه كُتبُ بِدَعٍ وضلالات ، عليك بالأثر ، تَجدُ فيه ما يُغنِي عن هذه الكتب ، فقيل له : فِي هذه الكتب عِبْرةٌ . فقال : مَن لَم يكنْ له فِي كتابِ الله عبرةٌ ، فليس له فِي هذه الكتب عِبرةٌ ، بَلَغَكم أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ وسُفيانَ الثوريَّ والأوزاعيَّ والأئمَّةَ المتقدِّمين صنَّفوا هذه الكتبَ فِي الخَطَرات والوساوسِ وهذه الأشياء ؟!.. هؤلاء قومٌ خالفوا أهلَ العلم ، فأتَوْنا مرةً بالحارث المُحاسِبِيِّ ، ومرةً بعبدِالحليم الدُّبَيليِّ ، ومرةً بِحاتِمٍ الأصمِّ ، ومرةً بشَقيقٍ البَلْخِيِّ[1]!!.. ما أسرعَ الناسَ إلَى البدع !!)[2].

□ وقال أبو زُرعة : (إذا رأيتَ الكوفِيَّ يطعنُ على سُفيانَ الثوريِّ وزَائدةَ ، فلا تشكَّ أنه رافضيٌّ ، وإذا رأيتَ الشاميَّ يطعنُ على مكحولٍ والأوزاعيِّ ، فلا تشكَّ أنه ناصبِيٌّ ، وإذا رأيتَ الخُرَسَانِيَّ يَطعَنُ على عبدالله بنِ المبارك ، فلا تشكَّ أنه مُرجِئِيٌّ ، واعلمْ أن هذه الطوائفَ كلَّها مُجمعةٌ على بُغضِ أحْمدَ بنِ حنبلٍ ؛ لأنه ما منهم أحدٌ إلاَّ وفِي قلبه منه سَهمٌ لا بُرْءَ منه)[3].

وانظر -رحِمك الله- إلَى حِرصِ أبِي زُرعةَ على نشرِ السُّنة ، ولو عندَ الاحتضار !! :

□ قال أحْمدُ بنُ إسْماعيل -ابنُ عمٍّ أبِي زُرعةَ-: (سَمعتُ أبا زُرعةَ

(١) حاتم الأصمُّ وشقيق البلخي أثنَى عليهما الذهبِيُّ وغيره .
(٢) « الضعفاء » للبرذعي و« تاريخ بغداد » للخطيب (٨/٢١٥) ، و« تلبيس إبليس» (١٦١) .
(٣) «طبقات الحنابلة» (١/١٩٩ ، ٢٠٠) .

يقول فِي مرضِه الذي مات فيه : اللهمَّ ، إنِّي أشتاقُ إلَى رؤيتك ، فإنْ قال لِي : بأيِّ عملٍ اشتقتَ إلَيَّ ؟ قلتُ : برحْمتِك يا ربِّ)[1].

فبيَّنَ الرُّؤيةَ والرَّجاءَ .

□ وقال البَرْذَعِيُّ فِي كتابه «الضعفاء» (٥٦٩ ، ٥٧٠) : (سألتُه -يعني أبا زرعة- عن نَصرِ بنِ عليٍّ الجَهضَميِّ ، فقال : اتَّقِ اللّه ، ذاك زَفَّانٌ[2] يَجتمعُ بالليل مع هؤلاء المُغَبِّرينُ ، يَزْفَنُ ويرقُصُ معهم .

قال : فضربتُ على ما كتبتُ عنه) .

والتغبيرُ : هو الغناءُ بالأشعار الزُّهدية والضربُ على المَخَادِّ مع ذلك الغناء ، وهذا قال فيه الشافعيُّ : (أرى الزنادقةَ وضعوا هذا التغبيرَ ليصدُّوا الناسَ عن ذكر الله) .

وانظر -رحِمك الله- إلَى هذه الحكاية التِي تدلُّ على شدَّةِ اتِّباعِ أبِي زرعة ، وهي حكايتُه مع يَحيَى بنِ معاذٍ الرَّازيِّ -وكان سليمَ الاعتقادِ يَقُصُّ ويَعِظُ ، أثنَى عليه الجمعُ الغفيرُ من العلماء-:

□ قال البَرذعيُّ فِي كتابه «الضعفاء» (٥٦٥) : (شهِدتُ أبا زرعةَ ، وأتاه أبو العباسِ الْهِسِنْجَانِيُّ ، فكَلَّمه أن يُقيلَ يَحيَى بنَ معاذ ، فقال : إنه يقول : أنا على مذهبك ، وأنا رجلٌ نوَّاحٌ ، أنوحُ وأنوح .. فقال أبو زُرعةَ : إنَّما النَّوحُ لِمَن يدخلُ بيته ، ويُغلِقُ بابه ، وينوحُ على ذنوبه ، فأمَّا مَن يَخرُجُ إلَى

---

(١) «الجرح والتعديل» (٣٤٦/١) .

(٢) **الزَّفَّان** : الرَّقَّاص .

«أصبهان وفارس»، ويَجولُ فِي الأمصار فِي النَّوح ، فإنَّا لا نقبلُ هذا منه .. هذا من فِعلِ المُستأْكِلَة ، الذين يطلُبون الدَّراهم والدنانير .. ولَم يَقبَلْهُ)[1].

□ قال أبو حاتمٍ الرازي : (علامةُ أهل البدع : الوقيعةُ فِي أهل الأثر .

وعلامةُ الزنادقة : تسميتُهم أهلَ الأثر : «حَشْوِيَّة» ، يُريدون إبطالَ الآثار عن رسولِ الله ﷺ .

وعلامةُ الجَهميَّة : تسميتُهم أهلَ السُّنة : «مُشبِّهةٌ» و«نابتةٌ» .

وعلامةُ القَدَريَّة أن يسمُّوا أهلَ السنة : «مُجْبِرة» .

وعلامةُ المُرجِئة تسميتُهم أهلَ السُّنة : «مُخالفة» و«نُقصانيَّة» .

وعلامةُ الرَّافضة تسميتُهم أهلَ السُّنة : «ناصبة» .

وكلُّ هذا أمُّ عُصباتٌ مُعصَّبات .. ولا يلحقُ أهلَ السُّنةِ إلاَّ اسمٌ واحدٌ ، ويستحيلُ أن تَجمَعَهم هذه الأسْماءُ) .

□ وروى الإمامُ اللالَكَائيُّ عن ابن أبِي حاتمٍ الرازيَّ قوله : (سَمعتُ أبِي وأبا زُرعةَ يأمران بهجرانِ أهلِ الزَّيغ والبِدع ، يُغلظَانِ فِي ذلك أشدَّ التغليظ ، ويُنكِرانِ وضعَ الكتب برأيٍ فِي غيرِ آثارٍ ، ويَنهَيانِ عن مُجالسة أهل الكلام والنظرِ فِي كُتب المتكلِّمين ، ويقولانِ : لا يفلحُ صاحبُ كلامٍ أبدًا)[2].

قال اللالَكائيُّ : (وبه نقول) .

---

(١) ورواه ابن الجوزي فِي كتاب «القصاص» (١٢٢) .

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٢٠٢/١) .

زَينُ الأُمة ، وأميرُ المؤمنين فِي الحديث : الإمامُ البُخاريُّ :

□ قال له مسلمٌ : (أشهدُ أنه ليس فِي الدنيا مثلُك) .

أبو عبدالله البخاريُّ إمامُ أهلِ خُراسانَ وسيِّدُهم ، كتبَ إليه أهل بغداد :

المسلمون بِخيرٍ ما بَقِيتَ لَهم وليس بعدَك خيـــرٌ حين تُفقَدُ

□ قال عنه الحسينُ بنُ مُحمدٍ السَّمرقنديُّ : (كان لا يَشتغلُ بأمورِ الناس ، كلُّ شُغلِه كان فِي العلم) .

كان -رحِمه الله- جَبَلاً فِي الاتباع ، ومَن مِثلُه والناسُ كلُّهم مُحتاجون لعلمِه وحديثِه ؟!.

□ يقول -رحِمه الله-: (لا أعلمُ شيئًا يُحتاجُ إليه إلاّ وهو فِي الكتاب والسُّنة ، فقال له مُحمَّدُ بنُ أبِي حاتِمٍ : يُمكنُ معرفةُ ذلك كلِّه ؟ قال : نعم) .

□ وقال أيضًا : (كنتُ بنَيسابورَ أجلسُ فِي الجامع ، فذهب عمرُو بنُ زُرارةَ وإسحاقُ بنُ راهُويه إلَى يعقوبَ بنِ عبدالله والِي نَيسابور ، فأخبَروه بِمكانِي ، فاعتذرَ إليهم ، وقال : مذهبُنا أنه إذا رُفع إلينا غريبٌ لَم نعرِفه حَبَسناه حتَّى يظهرَ لنا أمره ؛ فقال له بعضُهم : بلغنِي أنه قال لك : لا تُحسِنُ تصلِّي ، فكيف تَجلس ؟ فقال : لو قيل لِي شيءٌ من هذا ما كنتُ أقومُ من ذلك المَجلسِ حتَّى أروِيَ عشَرةَ آلافِ حديثٍ فِي الصَّلاة خاصَّةً)[1].

هذا -واللهِ- الشَّرف !!.

---

(١) «السير» (١٢/٤١٢) .

رحِمَ اللهُ البخاريَّ ، فقد كان رأسًا فِي السُّنةِ والأثر ؛ ومَن أراد سَبْرَ غَورِ الإمام فلْينظرْ إلَى «صحيح البخاري» ، و«خَلْق أفعال العباد» .

□ وقال مُحمَّدُ بنُ العباس الفِرَبْرِيُّ : (أملى عليَّ أبو عبدالله يومًا حديثًا كثيرًا ، فخاف مُلالِي ، فقال : طِبْ نفسًا ، فإن أهلَ الملاهي فِي ملاهيهم ، وأهلَ الصناعات فِي صناعاتِهم ، والتُّجَّارَ فِي تجاراتِهم ، وأنت مع النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه)[1].

□ وقال البخاريُّ : (نظرتُ فِي كلام اليهود والنصارى والمَجوس ، فما رأيتُ أحدًا أضلَّ فِي كُفرهم من الجهميَّة ، وإنِّي لأستجهلُ مَن لا يُكفِّرُهم !) .

الإمامُ القدوة ، شيخُ أهلِ السُّنة والْجماعة فِي عصره : البَرْبَهَارِيُّ[2] أبو مُحمدٍ الْحسنُ بنُ عليٍّ بنِ خَلَف :

الشديدُ على أهلِ البدع .. صاحبُ المقاماتِ العظيمة فِي ذلك .

□ قال أبو عبدالله الفقيه : (إذا رأيتَ البغداديَّ يُحبُّ أبا الحسن بنَ بشَّارٍ وأبا مُحمَّدٍ البَرْبَهاريَّ ، فاعلم أنه صاحبُ سُنَّةٍ)[3].

□ وقال أبو يَعلى : (شيخُ الطائفة[4] فِي وقته ، ومُتقدِّمُها فِي الإنكار على أهل البدع والمُبايَنةِ لَهم باليدِ واللسان) .

---

(١) «السير» (١٢/٤٤٥) .

(٢) نسبةً إلَى (بَرْبَهار) ، وهي الأدوية التِي تُجلب من الْهند .

(٣) «طبقات الحنابلة» لأبِي يعلى (٢/٥٨- دار المعرفة) .

(٤) يقصد الحنابلة .

□ وقال ابنُ الجوزي : (جَمَع العلمَ والزهد ، وكان شديدًا على أهل البدع) .

□ وقال الذهبيُّ في « السِّير » (١٥/٩٠ : ٩٢) : (كان قوَّالاً بالْحقِّ ، داعيةً إلَى الأثر ، لا يَخافُ فِي اللهِ لَومةَ لائمٍ) .

□ وقال في « العبَر » : (شيخُ الحنابلة بالعراق ، قالاً ، وحالاً ، وحلالاً ، وكان له صَيتٌ عظيمٌ وحُرمةٌ تامَّةٌ) .

□ وقال ابنُ كثيرٍ : (العالِمُ الزاهد ، الفقيهُ الحنبليُّ ، الواعظُ .. كان شديدًا على أهل البِدع والمعاصي ، وكان كبيرَ القَدْرِ ، تُعظِّمُه الخاصَّةُ والعامَّةُ)[1].

□ وقال ابنُ رجب : (شيخُ الطائفة فِي وقته ، ومُتقدِّمُها فِي الإنكار على أهلِ البدع والمباينةِ لَهم باليد واللسان)[2].

لقد كان -رحِمه الله- شديدًا على أهل البدع والأهواء ، منابذًا لَهم باليد واللسان ، وكان مَوقفُه منهم يدلُّ على الصَّرامةِ والشدَّة ، غَيرةً منه على السُّنة أن يُحاوِلَ النَّيلَ منها كلُّ بِدْعِيٍّ مارقٍ ، فموقفُه يُعدُّ أُنْموذجًا رائعًا لِمواقفِ أهلِ السُّنة من أهلِ البدعِ والضلال .

□ قال -رحِمه الله-: فِي كتابه القيِّم « شرح السُّنة » : (اعلَموا أن الإسلامَ هو السُّنة ، والسُّنَّةَ هي الإسلام ، ولا يقومُ أحدُهُما إلاَّ بالآخَرِ) .

□ وقال : (واعلم -رحِمك الله- أن الدِّينَ إنَّما جاء مِن قِبَلِ اللهِ تبارك

(١) « البداية والنهاية » لابن كثير (١١/٢١٣) .

(٢) « طبقات الحنابلة » (٢/١٨) ، و« المنهج الأحْمد » (٢/٢٦) ، و« ذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب - دار المعرفة .

وتعالَى ، لَم يُوضَعْ على عقولِ الرِّجال وآرائهم ، وعِلمُه عند الله وعند رسوله ، فلا تَتَّبِعْ شيئًا بِهواك ، فتمرُقَ من الدِّين ، فتخرجَ من الإسلام ، فإنه لا حُجَّةَ لك ، فقد بيَّن رسولُ الله ﷺ لأُمَّته السُّنَّةَ ، وأوضحَها لأصحابه ، وهمُ السَّوادُ الأعظم ، والسَّوادُ الأعظم : الحقُّ وأهلُه .

واعلمْ أن الناس لَم يبتدِعوا بدعةً قطُّ حتَّى تركَوا من السُّنةِ مثلَها ، فاحذَرِ المُحدَثَاتِ من الأمور ، فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، والضَّلالةُ وأهلُها فِي النار .

واحذَرْ صِغارَ المُحدَثاتِ من الأمور ، فإنَّ صغيرَ البدعِ يعودُ حتَّى يصيرَ كبيرًا ، وكذلك كلُّ بدعةٍ أُحدِثت فِي هذا الأمَّة ، كان أوَّلُها صغيرًا يُشبهُ الحقَّ ، فاغترَّ بذلك مَن دَخَل فيها ، ثُمَّ لَم يستطعِ الخروجَ منها ، فعظُمت وصارت دِينًا يُدانُ بِها ، فخالَفَ الصِّراطَ المستقيمَ ؛ فخرجَ من الإسلام) .

□ وقال : (انظر -رحِمك الله- لكلِّ من سَمعتَ كلامَه من أهل زمانك خاصَّةً ، فلا تعجَلَنَّ ، ولا تَدخُلَنَّ فِي شيءٍ منه حتَّى تسألَ وتنظر : هل تكلَّمَ به أصحابُ رسول الله ﷺ ، أو أحدٌ من العلماء ؟ فإنْ وجدتَ فيه أثرًا عنهم فتمسَّكْ به ، ولا تُجاوِزْه لشيءٍ ، ولا تَختَرْ عليه شيئًا فتسقطَ فِي النار .

واعلمْ أن الخروجَ من الطريق على وجهين :

أحدهُما : رجلٌ قد زَلَّ عن الطريق -وهو لا يريدُ إلاَّ الخيرَ-، فلا يُقتدَى بزلَّته ؛ فإنك هالكٌ .

والثانِي : رجلٌ عاندَ الحق ، وخالفَ مَن كان قبلَه من المتَّقين ، فهو ضالٌّ

مضلٌّ ، شيطانٌ مريدٌ فِي هذه الأُمَّة ، حقيقٌ على مَن يعرفُه أن يُحذِّرَ الناسَ منه ، ويُبيِّنَ للناس قصَّتَه ، لئلاَّ يقعَ أحدٌ فِي بدعته فيهلِكَ .

واعلمْ -رحِمك الله- أنه لا يتمُّ إسلامُ عبدٍ ، حتَّى يكون متَّبعًا مصدِّقًا مسلِّمًا ، فمَن زَعم أنه قد بَقِي شيءٌ من أمرِ الإسلام لَم يَكفُوناه أصحابُ مُحمَّد ﷺ ، فقد كذَّبهم ، وكفى به فُرقةً وطعنًا عليهم ، وهو مُبتدعٌ ضالٌّ ، مُحدِثٌ فِي الإسلام ما ليس فيه .

واعلم -رحِمك الله- أنه ليس فِي السُّنة قياسٌ ، ولا يُضرَبُ لَها الأمثال ، ولا تُتَّبعُ فيها الأهواء ، وإنَّما هو التصديقُ بآثارِ رسول الله ﷺ بلا كيفٍ ، ولا شرحٍ ، ولا يقال : لِمَ ؟ وكيف ؟.

والكلامُ والخصومةُ والجِدالُ والمِراءُ : مُحدَثٌ ، يقدحُ الشكَّ فِي القلب -وإنْ أصاب صاحبُه الحقَّ والسُّنة-.

واعلم -رحِمك الله- أن الكلامَ فِي الربِّ تعالَى مُحدَثٌ ، وهو بدعةٌ ضلالةٌ ، ولا يُتَكلَّمُ فِي الربِّ إلاَّ بِما وَصف به نفسَه فِي القرآن ، وما بيَّن رسولُ الله ﷺ لأصحابه .

وإذا سَمعتَ الرجلَ يطعنُ على الآثار ولا يقبلُها ، أو ينكرُ شيئًا من أخبارِ رسولِ اللَّه ﷺ ، فاتَّهِمْه على الإسلام ؛ فإنه رجلٌ رديءُ القول والمذهب ، وإنَّما طَعَن على رسولِ الله ﷺ وأصحابه ، لأنه إنَّما عَرَفْنا اللَّهَ ، وعَرَفْنا رسولَ الله ﷺ ، وعَرَفْنا القرآنَ ، وعَرَفْنا الخيرَ والشرَّ ، والدنيا والآخرة ، بالآثار .

واعلم -رحمك الله- أنه ما كانت زَندقةٌ قطُّ ولا كُفرٌ ، ولا شكٌّ ولا بدعةٌ ، ولا ضلالةٌ ، ولا حَيرةٌ فِي الدِّين ؛ إلاَّ منَ الكلام وأهلِ الكلام والجدلِ والمراءِ والخصومة .

والعجبُ ، كيف يَجترئُ الرجلُ على المراءِ والخصومة والجدال ، والله تعالَى يقول : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ﴾ [غافر : ٤] !! فعليك بالتسليم والرِّضا بالآثار وأهلِ الآثار ، والكَفِّ والسكوت .

واعلمْ أنه لَم تَجِئْ بدعةٌ قطُّ إلاَّ من الْهَمَجِ الرَّعَاع أتباعِ كلِّ ناعقٍ[1]، يَميلون مع كلِّ ريحٍ ، فمَن كان هكذا ، فلا دِينَ له .. قال اللهُ تبارك وتعالَى : ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [الجاثية : ١٧] .

وقال تعالَى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٣] ؛ وهم علماءُ السُّوء وأصحابُ الطمع والبدع .

واعلمْ أنه لا يزالُ الناسُ فِي عِصابةٍ[2] من أهلِ الحقِّ والسُّنة ، يَهدِيهمُ الله ويَهدي بِهم غيرَهم ، ويُحيي بِهمُ السُّنَنَ ، فهم الذين وصفَهمُ اللهُ تعالَى مع قِلَّتهم عند الاختلاف ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ، فاستثناهم فقال : ﴿ فَهَدَى اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

---

(١) الرَّعاع -بفتح الراء-: كلُّ ناقصٍ تافهٍ .. والناعق : الداعي .

(٢) العِصابة : الجماعة .

وقال رسولُ اللهِ ﷺ : (**لا تزالُ عِصابةٌ من أمَّتي ظاهِرِينَ على الحقِّ ، لا يضرُّهم مَن خَذَلَهم ، حتَّى يأتِيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهِرون**)[1].

واعلم -رحِمك الله- أنَّ مَن قال فِي دين الله برأيه وقياسِه وتأويلِه -مِن غير حُجَّةٍ من السُّنةِ والجماعة-، فقد قال على اللهِ ما لا يَعلم ، ومَن قال على الله ما لا يعلمُ ، فهو من المتكلِّفِين .

ومَنِ اقتَصر على سُنَّة رسولِ الله ﷺ وما كان عليه أصحابُه والجماعة ، فَلَجَ[2] على أهلِ البدع كلِّهم ، واستراحَ بَدَنُه ، وسَلِم له دينُه -إن شاء الله-.

ومَن عَرف ما تركَ أصحابُ البدع من السُّنة ، وما فارقُوا فيه ، فتَمسَّكَ به ، فهو صاحبُ سُنةٍ وصاحبُ جَماعة ، وحقيقٌ أن يُتَّبعَ وأن يُعانَ وأن يُحفَظَ ، وهو مِمَّن أوصى به رسولُ الله ﷺ .

وإيَّاك والنظرَ فِي الكلامِ والجلوسَ إلَى أصحابِ الكلام .

وكلُّ علمٍ ادَّعاه العبادُ مِن علمِ الباطن ، لَم يوجَدْ فِي الكتاب وفِي السنة ، فهو بدعةٌ وضلالةٌ ، ولا ينبغي لأحدٍ أن يعملَ به ولا يدعوَ إليه .

وإذا سَمعتَ الرجلَ يطعنُ على الآثار ، أو يردُّ الآثار ، أو يريدُ غير الآثار ، فاتَّهِمْه على الإسلام ، ولا تشكَّ أنه صاحبُ هوًى مبتدِعٌ .

وإذا رأيتَ الرجلَ جالسًا مع رجلٍ من أهلِ الأهواء ، فحَذِّرْه وعرِّفْه ، فإنْ جَلس معه -بعدما عَلِمَ- فاتَّقِه ، فإنه صاحبُ هوًى .

---

(١) رواه أحْمد والبخاري وغيرهُما .
(٢) فَلَج : ظفر وفاز .

وإذا سَمعتَ الرجلَ تأتيه بالأثر ، فلا يريدُه ، ويريدُ القرآن[1]، فلا شكَّ أنه رجلٌ قد احتوى على الزَّندقة .

واعلم أنه مَن تناوَلَ أحدًا من أصحاب مُحمَّدٍ ﷺ ، فاعلمْ أنه إنَّما أرادَ مُحمدًا ﷺ ، وقد آذاه في قبرِه .

وإذا ظَهر لك من إنسانٍ شيءٌ من البدع ، فاحذَرْه ، فإنَّ الذي أخفى عنك أكثرَ مِمَّا أظهر .

رأى يونُسُ بنُ عُبيدٍ ابنَه ، وقد خرج من عند صاحبِ هوًى ، فقال : « يا بُنَيَّ ، من أين جئتَ ؟ قال : مِن عند فلانٍ . قال : يا بُنَيَّ ، لأَنْ أراكَ خرجتَ من بيت خُنثَى أحبُّ إليَّ مِن أن أراك تَخرجُ من بيت فلانٍ وفلانٍ ، ولأَنْ تَلقى اللَّهَ -يا بُنَيَّ- زانيًا فاسقًا سارقًا خائنًا ، أحبُّ إلَيَّ مِن أن تلقاه بقولِ فلانٍ وفلانٍ » .

ألاَ ترى أن يونسَ بنَ عُبيدٍ قد علم أن الْخُنثى لا يُضِلُّ ابنَه عن دينه ، وأن صاحبَ البِدعة يُضلُّه حتَّى يَكفُرَ !! .

ولا تطلُبْ مِن عندك حِيلةً تردُّ بها على أهل البدع ، فإنك أُمرتَ بالسكوتِ عنهم ، ولا تُمكِّنْهم من نفسك ، أمَا علمتَ أنَّ مُحمَّدَ بنَ سِيرينَ -في فضله- لَم يُجبْ رجلاً من أهل البدعِ في مسألةٍ واحدة ، ولا سَمع منه آيةً من كتاب الله عزَّ وجل ، فقيل له ، فقال : أخافُ أن يُحرِّفَها ، فيَقعَ في قلبِي شيءٌ ؟!) .

(١) أي : لا يَقبلُ الحُجَّة من السُّنة ، ويريدُها من القرآن فقط .

▫ وقال : (قال بشرُ بن الحارث : الإسلامُ هو السُّنة ، والسُّنةُ هي الإسلام .

وقال الفضيلُ : إذا رأيتُ رجلاً من أهل السنة ، فكأنَّما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإذا رأيتُ رجلاً من أهل البدع ، فكأنَّما أرى رجلاً من المنافقين .

وكان ابنُ عَونٍ يقول عند الموت : السُّنَّةَ السُّنةَ ، وإيَّاكم والبدع .. حتَّى مات .

وقال أحْمدُ بن حنبل : مات رجلٌ من أصحابِي ، فرُئي فِي المنام ، فقال : قولوا لأبِي عبدالله : عليك بالسُّنة ، فإنه أولَ ما سألنِي اللهُ سألنِي عن السُّنة .

وقال أبو العالية : مَن مات على السُّنةِ مستورًا ، فهو صدِّيقٌ .

وقال الفُضيل بنُ عياضٍ : مَن جلس مع صاحب بدعةٍ فِي طريقٍ ، فجُزْ فِي طريقٍ غيره .

وقال : مَن عظَّم صاحبَ بدعةٍ ، فقد أعان على هدمِ الإسلام ، ومَن تبسَّم فِي وجهِ مبتدعٍ ، فقد استَخَفَّ بِما أنزل اللهُ عزَّ وجل على مُحمَّد ﷺ ، ومَن زَوَّج كريْمتَه من مبتدعٍ ، فقد قَطع رحِمها ، ومَن تَبِع جنازةَ مبتدعٍ ، لَم يزَلْ فِي سَخَطِ الله حتَّى يرجع .

وقال : إذا عَلِم اللهُ مِن الرجل أنه مُبغضٌ لصاحب بدعة ، غَفَر له وإنْ قلَّ عَمله-، ولا يكونُ صاحبُ سُنَّة يُمالئُ صاحبَ بدعةٍ إلاَّ نِفاقًا ، ومَن أعرضَ بوجهه عن صاحبِ بدعةٍ ، ملأَ اللهُ قلبَه إيْمانًا ، ومَنِ انتَهر صاحبَ بدعةٍ ، أَمَّنه اللهُ يومَ الفزعِ الأكبر ، ومَن أهان صاحبَ بدعةٍ ، رَفعه اللهُ فِي الجنة مئةَ درجةٍ .

فلا تكن صاحبَ بدعةٍ في الله أبدًا)[١].

□ وقال البَرْبهاريُّ : (مَثَلُ أصحاب البدعِ مَثَلُ العقارب ، يدفنُون رؤوسَهم وأبدانَهم في التراب ، ويُخرِجون أذنابَهم ، فإذا تَمكَّنوا لَدَغوا ، وكذلك أهلُ البدع ، هم مُختَفون بين الناس ، فإذا تَمكَّنوا بَلَغوا ما يريدون)[٢].

وما فَتِئَ أهلُ الأهواء والبدعِ المعادُون له يؤلِّبُون السلطان ، ويَغيظون قلبَه عليه ، حتَّى أَمر الْخليفة « القاهر » وزيرَه « ابنَ مُقلة » في سنة (٣٢١) بالقبض على البَرْبهاريِّ وأصحابه ، فاستَتَر البَربَهاريُّ ، وقُبض على جَماعةٍ من كبارِ أصحابه ، وحُملوا إلَى البصرة ، وعاقبَ اللهُ ابنَ مُقلةَ على فعله هذا ، بأن أسخَطَ القاهرَ عليه ، وعَزَلَه عن الوزارة ، وطَرَح في دارِه النار ، وحُبس ، وخُلِعَ ، وسُمِلت عيناه[٣].

ثُمَّ تفضَّل اللهُ ، وأعاد للبَربَهاريِّ حشمتَه .

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثِمئَةٍ ازدادت حشمةُ البَربَهاريِّ ، وعَلَت كلمتُه ، وظهر أصحابُه ، وانتشَروا في الإنكارِ على المبتدعة ، حتَّى إن البَربَهاريَّ لَمَّا اجتاز بالجانب الغربيِّ ، فعَطَس ، فشَمَّتَه أصحابُه ، فارتفعت ضجَّتُهم حتَّى سَمِعها الخليفةُ وهو في رَوزَنَةٍ[٤]، فسأل عن الحالِ ، فأُخبِرَ بِها ، فاستهولَها .

---

(١) « شرح السنة » للبربَهاري ، تَحقيق خالد الردادي - مكتبة الغرباء .

(٢) « طبقات الحنابلة » (٢/٤٤) .

(٣) سَملُ العين : حَرقُها بِحديدة مُحماة .

(٤) الرَّوزنة : الكُوَّة أو النافذة .

ولَم تَزَلِ المبتدعةُ يُثقِلون قلبَ «الراضي» على البَربَهاريِّ ، حتَّى نودي : «ألاَّ يَجتمعَ من أصحاب البَربَهاريِّ نَفْسان» ، فاستتر البَربَهاري -رحِمه اللّه-.

□ قال ابنُ الجوزي عن البَربَهاريِّ : (جَمع بين العلمِ والزهد ، وصَحِب المَرُّوذِيَّ ، وسهلاً التُّستَرِيَّ ، وكان البَربَهاريُّ شديدًا على أهل البدع ، فما زالوا يُثقِلون قلبَ السلطان عليه .. وكان ينْزِلُ بباب مُحوَّل[١]، فانتقل إلَى الجانب الشرقيِّ ، واستَتَر عند أخت تُوزُون[٢]، فبَقِي نَحوًا من شهر ، ثُمَّ أخذه قيامُ الدَّم ، فمات ، فقالتِ المرأةُ لخادمها : انظرْ مَن يُغسِّلُه -وأغلقتِ الأبوابَ حتَّى لا يَعلمَ أحدٌ-، فجاء الغاسلُ فغَسَّله ، ووقف يصلِّي عليه وحدَه ، فاطَّلَعَتْ -من الرَّوزن-، فإذا الدارُ مُمتلئةً رجالاً بثيابٍ بيضٍ وخُضرٍ ، فاستدعتِ الخادمَ ، وقالت : ما الذي فعلتَ ؟! فقال : يا سيِّدتِي ، رأيتِ ما رأيتُ ؟! قالت : نعم . قال : هذه مفاتيحُ الباب ، وهو مُغلَقٌ . فقالت : ادفِنُوه فِي بيتِي ، وإذا مِتُّ فادفنونِي معه .

فدفنوه فِي دارِها ، وماتت بعدَه ، فدُفنت هناك .

وقال ابنُ الزَّاغُونِي : كُشف قَبرُ أبِي مُحمَّدٍ البَرْبَهاريِّ ؛ وهو صحيحٌ لَم يَرِمَّ[٣]، وظَهر من قبرِه روائحُ الطِّيب حتَّى ملأت مدينةَ السلام)[٤].

ولا تعجبْ -يا أخي-، فهاك كلامَ الإمامِ أحْمدَ -إمامِ أهلِ السنة-:

---

(١) اسم موضع .
(٢) أحدُ القوَّاد الأتراك ، خَلع عليه (المتَّقي) ، وجعله أميرَ الأمراء .
(٣) أي : لَم يأكله الدود .
(٤) «مناقب الإمام أحْمد» (٦١٨ ، ٦١٩) ، و«السير» (١٩/٩٠ : ٩٢) .

(قبورُ أهلِ السُّنةِ من الفُسَّاقِ رَوضةٌ من رياضِ الجنة ، وقبورُ أهلِ البدعِ من الزُّهَّادِ حفرةٌ من حُفَرِ النار)[١].

فكيف بقبورِ أئمَّةِ أهل السنة مِمَّن لَهمُ القَدَمُ العالِي فِي الاتِّباع ، وحَملِ الناسِ عليه -كالبَرْبَهاريِّ-؟!.

شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة ، مُجدِّدُ زمانِه ، وقامعُ الْمُبتدِعين :

حاملُ رايةِ الدعوة إِلَى الكتابِ والسُّنة ، وإرجاعِ الإسلام إِلَى منابعه الصحيحة فِي القرن السابعِ الْهِجريِّ .

نَصَرَ السُّنَّةَ بأوضح حُجَجٍ وأبْهرِ براهين ، وأُوذِي فِي ذات الله من المخالِفين ، وأُخيف وسُجن فِي نصرِ السُّنَّة الْمُحمَّديَّة ، حتَّى أَعلى اللّهُ منارَه .

- قال الحافظُ ابنُ سيِّد الناس : (كان يستوعبُ السننَ والآثارَ حفظًا) .

- وقال ابنُ الزَّمَلْكَانِيُّ عنه : (ما رأينا فِي عصرِنا هذا من تَستجلِي النبوَّةَ الْمُحمديَّةُ وسُنُنُها من أقوالِه وأفعاله إلاَّ هذا الرجلَ ، يشهدُ القلبُ الصحيحُ أنَّ هذا هو الاتِّباعُ حقيقةً) .

- وقال الحافظُ المزِّيُّ : (ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بكتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ، ولا أتبعَ لَهما منه)[٢].

دعا شيخُ الإسلام إِلَى الرجوع إِلَى الكتاب والسُّنةِ فِي عقائدِ الدِّينِ وأصولِه وفروعه .

(١) «مناقب الإمام أحْمد» ص(٢٣٩) .
(٢) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (١٢٩) - المكتب الإسلامي .

□ قال -رحِمه الله-: (ولْيُعلَمْ أنه ليس أحدٌ من الأئمَّة المقبولين عند الأُمَّة قَبولاً عامًّا يتعمَّدُ مُخالفةَ رسولِ الله ﷺ بشيءٍ من سُنَّته -لا دقيقٍ ولا جليل-؛ فإنَّهم متَّفِقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوبِ اتِّباعِ الرسول ﷺ ، وعلى أنَّ كلَّ أحدٍ من الناس يؤخَذُ من قوله ويُتركُ إلاَّ رسولَ الله ﷺ) .

□ وقال : (وليس لأحدٍ أن يعارِضَ الحديثَ الصَّحيحَ عن النَّبِيِّ ﷺ بقولِ أحدٍ من الناس ، كما قال ابنُ عباسٍ -رضى الله عنهما- لرجلٍ سأله عن مسألة ، فأجابه فيها بحديثٍ ، فقال له : قال أبو بكرٍ وعمرُ -رضى الله عنهما- [كذا] ، فقال ابنُ عباسٍ -رضى الله عنهما-: يوشِكُ أن تنْزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ؛ أقولُ : قال رسولُ الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكرٍ وعمرُ !!) .

□ وقال -رحِمه الله-: (قد ذَمَّ اللهُ فِي القرآن مَن عَدَلَ عن اتِّباعِ الرُّسلِ إلَى ما نشأ عليه من دينِ آبائه ، وهذا هو التقليدُ الذي حرَّمه اللهُ ورسولُه ، وهو أن يُتَّبَعَ غيرُ الرَّسول فيما خالفَ فيه الرَّسولُ .. وهذا حرامٌ -باتِّفاقِ المسلمين- على كلِّ أحدٍ ؛ فإنه لا طاعةَ لِمخلوقٍ فِي معصيةِ الخالق ، والرسولُ طاعتُه فرضٌ على كلِّ أحدٍ من الخاصَّة والعامَّةِ فِي كلِّ وقتٍ وكلِّ مكانٍ ، فِي سرِّه وعلانيته ، وفِي جَميع أحواله) .

□ وقال -رحِمه الله-: (قد أوجبَ اللهُ طاعةَ الرَّسول على جَميعِ الناسِ فِي قريبٍ من أربعينَ موضعًا من القرآن ، وطاعتُه طاعةٌ لله) .

□ وقال : (التقليدُ الْمُحرَّمُ بالنصِّ والإجْماع : أن يعارَضَ قولُ الله ورسولِه بِما يُخالفُ ذلك ، كائنًا مَن كان المخالفُ لذلك) .

□ وقال : (إنَّ اللَّهَ سبحانه لَمَّا ذَكَر حالَ مَن يقولُ على الله بلا علمٍ بل تقليد السَّلف[1]، ذَكر حالَ مَن يكتمُ ما أنزل اللهُ من البيِّناتِ والْهُدَى مِن بعدِ ما بيَّنه للناس فِي الكتاب ، فقال : ﴿ إنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

فهذا حالُ مَن كَتَم علمَ الرسول ، وذلك حالُ مَن عَدَلَ عنها إلَى خلافِها ، والعادلُ عنها إلَى خلافِها يدخلُ فيه مَن قَلَّدَ أحدًا من الأوَّلين والآخِرين فيما يعلمُ أنه خلافُ قولِ الرسول ﷺ ، سواءٌ كان صاحبًا ، أو تابعًا ، أو أحدَ الفقهاء ، أو غيرَهم .

ومَنِ ادَّعى إجْماعًا يُخالفُ نصَّ الرسولِ ﷺ ، مِن غير نصٍّ يكونُ موافقًا لِمَا يدَّعيه ، واعتقدَ جوازَ مُخالفة أهلِ الإجْماعِ للرسول برأيهم ، وأنَّ الإجْماعَ يَنسخُ النصَّ -كما تقولُه طائفةٌ من أهل الكلام والرَّأي- فهذا من جنسِ هؤلاء) .

□ وقال -رحِمه الله-: (وكثيرٌ من الفقهاء المتأخِّرين -أو أكثرهم- يقولون : إنَّهم عاجِزون عن تلقِّي جَميعِ الأحكام الشرعية من جهةِ الرسول ، فيَجعلون نصوصَ أئمَّتهم بِمنْزلةِ نصِّ الرسول ، ويُقلِّدونَهم .. ولا ريبَ أن كثيرًا من الناس يَحتاجُ إلَى تقليدِ العلماء فِي الأمور العارضة التِي لا يستقلُّ هو بِمعرفتها .

---

(١) يقصد : أسلافَه الماضين .

ومِن سالِكي طريقِ الإرادةِ والعبادةِ والفقرِ والتصوُّف مَن يَجعلُ شيخَه كذلك ، بل قد يَجعلُه كالمعصوم !! ولا يتلقَّى سلوكَه إلاَّ عنه ، ولا يتلقَّى عن الرسولِ سلوكَه ، مع أن تلقِّي السلوكِ عن الرسولِ أسهلُ من تلقِّي الفروعِ المتنازَعِ فيها ، فإنَّ السلوكَ هو الطريقُ التي أمرَ اللهُ بها ورسولُه من الاعتقاداتِ والعباداتِ والأخلاق ، وهذا كلُّه مبيَّنٌ فِي الكتابِ والسُّنة ؛ فإنَّ هذا بِمنْزلةِ الغذاءِ الذي لابدَّ للمؤمن منه ، ولِهذا جَميعُ الصحابة يعلمُون السلوكَ بدلالةِ الكتاب والسنة والتبليغِ عن الرسول ، ولا يَحتاجونَ فِي ذلك إلَى فقهاء الصحابة) .

□ إلَى أن قال : (ولكنَّ كثيرًا من أهل العبادة والزِّهادة أعرضَ عن طلبِ العلم النبويِّ الذي يَعرفُ به طريقَ الله ورسولِه ، فاحتاج لذلك إلَى تقليدِ شيخٍ ، وفِي السلوك مسائلُ تنازَعَ فيها الشيوخُ ، لكن يوجدُ فِي الكتاب والسُّنة النصوصُ الدَّالَّةُ على الصوابِ فِي ذلك ما يفهمُه غالبُ السَّالكين ، فمسائلُ السلوك من جنسِ مسائلِ العقائد ، كلُّها منصوصةٌ فِي الكتاب والسُّنة ؛ وإنَّما اختَلف أهلُ الكلام لَمَّا أعرَضوا عن الكتابِ والسُّنة ، فلمَّا دخلُوا فِي البِدع وقع الاختلافُ .

وهكذا طريقُ العبادة ، عامَّةُ ما يقعُ فيه من الاختلافِ إنَّما هو بسببِ الإعراضِ عن الطريق المشروع ، فيَقعُون فِي البدع ، فيَقعُ فيهمُ الخلافُ .

وهكذا الفقهُ ، إنَّما وقع فيه الاختلافُ لَمَّا خَفِيَ عليهم بيانُ صاحبِ الشَّرع) .

❁ مُحاربتُه للبدعِ والعقائدِ الْمُخالفةِ للكتاب والسُّنة ، وجهادُه الدَّائمُ ضدَّ المبتدعة :

□ قال عنه الحافظُ ابنُ عبدالْهادي : (قامعُ المبتدعين) .

□ وقال : (كان -رحِمه الله- سيفًا مسلولاً على المخالفين ، وشَجًى[١] فِي حلوقِ أهلِ الأهواء المبتدِعين)[٢].

□ وقال الشيخُ كمالُ الدِّين ابنُ الزَّمَلْكانِي : (ناصرُ السُّنة ، قامعُ البدعة ، حُجَّةُ اللهِ على عبادِه فِي عصره ، رادُّ أهلِ الزَّيغ والعناد) .

□ وقال عنه أيضًا : (قامعُ المبتدعِين ، ومُحيي السُّنة)[٣].

□ وقال عنه أحْمدُ بن شيخ الحزامِيِّين : (مُحيي السُّنة ، وقامع البدعة ، ناصرُ الحديث)[٤].

□ وقال عنه أحْمدُ بنُ فضلِ اللهِ العُمَري : (وأخْمدَ من أهل البدعِ كلَّ حديثٍ وقديم ، ولَم يكن منهم إلاَّ مَن يَجفُلُ[٥] عنه إجفالَ الظَّليم ، ويتضاءلُ لديه تضاؤلَ الغريم)[٦].

---

(١) الشَّجى : الغُصَّة فِي الحلق .
(٢) «العقود الدرِّية فِي مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن عبدالهادي (٧) - مكتبة المؤيَّد .
(٣) «الرد الوافر» (١٠٨ ، ١٠٩) .
(٤) «الرد الوافر» (١٣٠) .
(٥) يَجفُل : يهرب .
(٦) «الرد الوافر» (١٤٧) .

□ وقال عنه الحافظُ ابنُ حجر : (ومِن أعجب العجب أنَّ هذا الرجلَ كان أعظمَ الناس قيامًا على أهل البدع من الرَّوافض والحُلوليَّة والاتِّحادية ، وتصانيفُه فِي ذلك كثيرةٌ شهيرة ، وفتاويه فيهم لا تدخلُ الحَصر)[١].

□ وقال بدرُ الدِّين العَينِيُّ : (السيفُ الصارمُ على المبتدعة) .

□ وقال أيضًا : (وكان سيفًا صارمًا على المبتدعة)[٢].

□ وقال العلاَّمة التَّفَهْنِيُّ : (لا تأخذُه فِي الحقِّ لومةُ لائم ، قائمٌ على أهلِ البدع)[٣].

وقد أسهَبْنا فِي ذِكرِ مواقفه مع دجاجلةِ الرِّفاعية .

□ يقول ابنُ تيميَّة فِي «الحَمَوِيَّة» : (من المُحال أن يكون الرسولُ ﷺ قد عَلَّم أُمَّتَه كلَّ شيءٍ حتَّى الخِراءة[٤]، وقال : (**تركتُكم على المَحَجَّة البيضاءِ ، ليلُها كنهارِها**[٥]**، لا يزيغُ عنها بعدِي إلاَّ هالكٌ**)[٦]، وقال -فيما صحَّ عنه أيضًا-: (**ما بَعَث اللّهُ من نبِيٍّ إلاَّ كان حقًّا عليه أن يدُلَّ أُمَّتَه على خيرِ ما يعلمُه لَهم ، وينهاهم عن شرِّ ما يعلمُه لَهم**)[٧].

---

(١) المصدر السابق (٢٤٨) .
(٢) المصدر السابق (٢٦٢) .
(٣) المصدر السابق (٢٥٤) .
(٤) **الْخِراءة** : اسمٌ لكيفيَّة قضاء الحاجة .. والحديثُ بذلك ثابتٌ عند الجماعة إلا البخاري .
(٥) أي : واضحةٌ جليَّةٌ لا تشتبهُ أبدًا .
(٦) **صحيح** : رواه أحْمد وابن ماجة .
(٧) رواه أحْمد ومسلم والنسائي وابن ماجة .

وقال أبو ذرٍّ ﷺ : (لقد تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وما طائرٌ يُقَلِّبُ جَناحَيه فِي السماء إلاَّ ذَكَر لنا منه علمًا)[١].

وقال عُمر بن الخطاب ﷺ : (قام فينا رسولُ الله ﷺ مقامًا ، فذَكَر بَدْءَ الخَلقِ ، حتَّى دخلَ أهلُ الجنَّة منازلَهم ، وأهلُ النار منازلَهم ، حَفِظ ذلك مَن حَفِظه ، ونَسِيَه مَن نَسِيه)[٢].

مُحالٌ مع هذا ، ومع تعليمِهم كلَّ شيءٍ لَهم فيه منفعةٌ فِي الدِّين -وإنْ دَقَّ- أن يتركَ تعليمَهم ما يقولونه بألسنتِهم ، ويعتقدونه بقلوبِهم فِي ربِّهم ومعبودِهم ربِّ العالَمين) .

□ وقال : (إنَّ هؤلاء المبتدِعين الذين يُفضِّلون طريقةَ الخَلَفِ من المتفلسفة -ومن حذَا حَذْوَهم- على طريقِ السلف[٣]، إنَّما أُتوا من حيثُ إنَّ طريقةَ السلف هي مُجرَّدُ الإيْمان بألفاظ القرآن والحديثِ من غير فقه لذلك[٤]، بِمنْزلة الأمِّيِّين الذين قال اللهُ فيهم : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة : ٧٨])[٥].

□ ويقول أبو حفصٍ البَزَّارُ -تلميذُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة- عن مُحاربته للبدع : (وأمَّا ما خصَّه اللهُ تعالَى به من معارضةِ أهلِ البِدَعِ فِي بدعتِهم ،

(١) صحيح : رواه الإمام أحْمد فِي «المسند» ، وصحَّحه الشيخ شعيب .
(٢) رواه البخاري .
(٣) أي : يُفضِّلون طريق الفلاسفة وأتباعهم على طريق السلف .
(٤) أي : فِي اعتقاد هؤلاء المبتدعة .
(٥) «العقود الدريَّة» (٧٦) .

وأهلِ الأهواء فِي أهوائهم ، وما أَلَّفَه فِي ذلك مِن دَحضِ أقوالِهم ، وتزييفِ أمثالِهم وأشكالِهم ، وإظهارِ عِوَارِهم وانتحالِهم ، وتبديدِ شَملِهم ، وقطعِ أوصالِهم ، وأجوبتِه على شُبَهِهِمُ الشيطانيَّة ، ومعارضتِهم النفسانيَّة للشريعةِ الحنيفيَّةِ المُحمَّدية ، بِما مَنَحه اللهُ تعالَى من البصائرِ الرَّحْمانيَّة ، والدلائلِ النَّقليَّة ، والتوضيحاتِ العقليَّة ، حتَّى انكشفَ قناعُ الحق ، وبانَ -فيما جَمَعه فِي ذلك وألَّفه- الكذبُ من الصِّدق ، حتَّى لو أنَّ أصحابَها أحياءٌ ووُفِّقوا لغيرِ الشقاء ، لأذعنُوا له بالتصديق ، ودخلوا فِي الدِّين العتيق) .

لقد تصدَّى ابنُ تيميَّة للفِرَقِ المنحرفةِ عن الكتاب والسُّنة القائمةِ فِي عصره :

- فدَحَض مناهجَ الفلاسفة والمتكلِّمين ، وبيَّن أنَّهم أبعدُ الناس عن معرفةِ الأمورِ الإلَهيَّة .
- وردَّ على الأشاعرة وتأويلِهم ، وكان لَهم منه أوفرُ نصيب .
- وردَّ على القَدَريَّة والشِّيعة .
- وأفحمَ النصارى فِي كتاب «الجَوابُ الصحيح لِمَنْ بَدَّل دينَ المسيح» .
- وهاجم ضُلاَّلَ الصوفِيَّة والاتِّحاديةِ وأصحابَ وحدةِ الوجود .. فردَّ على ابنِ الفارض ، وابن عربِيٍّ ، والعفِيفِ التِّلمسانِيِّ ، والصَّدْرِ القُونَوِيِّ ، وابنِ سبعين ، وألف «الفرقانَ بين أولياء الرحْمن وأولياءِ الشيطان» .
- وتصدَّى للأحْمديَّة والرِّفاعيَّة .
- وقام شيخُ الإسلام بتحدِّي هؤلاء الصوفية الذين يزعُمون الدخولَ فِي

النِّيران ، وضَرْبهم أنفُسَهم بالسيوف والسِّهام ، وحَمْلَهُمُ الحيَّاتِ والثعابين ، وغيرَها من أنواع المَخارق .

تحدَّاهم أنه يدخلُ معهمُ النار -التِي يزعمون دخولَهم فيها-، وأنَّها تَحرِقَهم -إن شاء الله- ولا تَحرِقه ، شريطةَ أن يَغسلوا أنفسَهم أولاً بالخَلِّ ، وذلك لإزالة دُهنِ الضفادعِ الذي يَدهنُون به أنفسَهم حتَّى لا تؤثِّرَ فيهمُ النارُ ، فلمَّا كشفَ حِيَلهم وتَحدَّاهم -وكان ذلك بِمَحْضَرِ السلطان- تراجَعوا عن ذلك ، وظَهر كذِبُهم ومَخاريقُهم .

وقد كان للشيخ استقلالُه فِي أخذ الفقه من الكتاب والسنة ، واختار ما ترجَّح بالكتاب والسنة ، وجَهَر به مِن دون أن يباليَ بالذي قال خلافَه من الأئمَّة السابقين ، فهو تابعٌ للدليل ، يدورُ معه حيث دار .

▫ يقول تلميذُه أبو حفصٍ البَزَّار : (كان لا يذكرُ رسولَ الله ﷺ إلاَّ ويُصلِّي ويسلِّمُ عليه ، ولا -واللهِ- ما رأيتُ أحدًا أشدَّ تعظيمًا لرسول الله ﷺ ، ولا أحرصَ على اتِّباعه ونصرِ ما جاء به منه ، حتَّى إذا أوردَ شيئًا من حديثه فِي مسألة ، ويرى أنه لَم يَنْسَخْه شيءٌ غيرُه من حديثٍ ، يعملُ به ويقضِي بِمُقتضاه ، ولا يلتفتُ إلَى قول غيرِه من المخلوقين -كائنًا من كان-؛ وقال رضي الله عنه : كلُّ قائلٍ إنَّما يُحتجُّ لقولِه -لا به[1]-، إلا اللهُ ورسولُه)[2].

▫ وقال ابنُ الوردي : (له باعٌ طويلٌ فِي معرفةِ مذاهبِ الصحابةِ والتابعين ،

---

(١) أي : نبحثُ عن دليلٍ على صدقه ، فلا يؤخذ بِمجرَّد قوله .

(٢) «الأعلام العليَّة» (٢٩) .

قَلَّ أن يتكلَّمَ فِي مسألةٍ إلاَّ ويذكرُ فيها مذاهبَ الأربعة ؛ وقد خالفَ الأربعةَ فِي مسائلَ معروفةٍ ، وصنَّف فيها[1]، واحتجَّ لَها بالكتاب والسُّنة) .

□ ثُمَّ قال : (وبَقِيَ سنينَ لا يُفتِي بِمذهبٍ معيَّن ، بل بِما قام الدليلُ عليه عنده .. ولقد نصرَ السُّنَّةَ المَحضةَ ، واحتَجَّ لَها ببراهينَ ومقدِّماتٍ وأمورٍ لَم يُسبَقْ إليها)[2].

وقبلَ أن نذكرَ طيِّبَ قولِ الشيخ عماد الدين الواسطي فِي شيخه -شيخِ الإسلام ابن تيمية-، نذكر ما قاله ابنُ كثير ، من أنَّ الواسطيَّ كان فِي أول الأمرِ من الفقهاء المتكلِّمين ، وكان يغلبُ عليه الجَدَلُ والكلامُ والرأيُ ، فلمَّا انتَقل من مصرَ إلَى بغداد ، والتقى بأهلِها وعلمائِها ، وتوسَّعَتْ مداركُه ، وحاسبَ نفسه ، وَجَدها فارغةً من الطمأنينة ، فتَرَك سبيلَ الفقهاء المتكلِّمين ، واتَّجه إلَى التصوُّفِ ، واقتَرب مِن المتصوِّفة ، فلمَّا رأى ما رأى عندهم من الغرائب تكدَّر طبعُه ، وقرَّر السفرَ إلَى دمشق ، وحضر مَجلسَ شيخِ الإسلام ابنِ تيميَّة ، وكان الدَّرسُ الأوَّلُ عن المتكلِّمين والفلاسفةِ وعن فَقدِهِمْ طمأنينةَ القلب ، وأنَّ مشاهيرَهمُ اعترفُوا بِهذا ، وشهِدوا على أنفسِهِم بالاضطراب والحَيرَةِ اللذَينِ سببُهما الكلامُ والفلسفة .

□ يقول الشيخ عماد الدين ما معناه : (إن شيخَ الإسلام استمرَّ فِي كلامِه ، وأوضح أن الدواءَ الناجعَ لأمراض القلبِ ، والسبيلَ الوحيدَ لِنيلِ طمأنينتِه ،

---

(١) أي : المسائل التِي ترجَّحت عنده .

(٢) «تاريخ ابن الوردي» (٢/٤٠٦ : ٤١٣) .

هو التمسُّكُ بِما جاء فِي كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ ، فانقشعَ الظلامُ ، وزالت الحَيرةُ ، ووجدتُ نورَ الحقيقة الذي كنتُ حيرانَ من أجلِه) .

□ قال : (فلمَّا اطَّلَعَ شيخُ الإسلام على أحوالي ، أوصانِي بقراءةِ السيرة النبوية ؛ فإنَّها الوصفةُ الكافيةُ الشافيةُ من جَميع أمراض القلوب) .

□ ولقد كتب الشيخُ عمادُ الدين الواسطيُّ فِي الثَّناء على ابن تيميَّة -ووصى تلامذته به- رسالة سَمَّاها : « التذكرة والاعتبار ، والانتصار للأبرار » ، وسَمَّى فيها بعضَ تلامذةِ ابن تيميَّة : (عمرَ بنَ عبدالله بنِ شُقير ، ومُحمَّدَ ابنَ عبدالأحد ، ومُحمَّدَ بن المنجي ، ومُحمَّدَ بن مُحمَّد بن الصائغ ؛ وغيرَهم من اللائذين بِحضرة شيخهم وشيخِنا السيِّد الإمام ، الأُمَّة الْهُمام ، مُحيي السُّنة ، وقامعُ البدعة ، ناصرُ الحديث ، مفتِي الفِرَق ، الفائقُ عن الحقائق ، وموصِلُها بالأصولِ الشرعية للطالب الذائق ، الجامعُ بين الظاهر والباطن ، فهو يَقضِي بالحقِّ ظاهرًا وقلبُه فِي العُلا قاطن ، أُنموذجُ الخلفاء الراشدين ، والأئمَّة المهديِّين ، الذين غابت عن القلوبِ سِيَرُهم ، ونَسِيَتِ الأُمَّةُ حَذوَهم وسُبُلَهم ، فذكَّرَهم بِها الشيخ ؛ فكان فِي دارِسٍ[1] نَهجِهم سالكًا ، ولِمَوَاتِ[2] حَذوِهم مُحيِيًا ، ولأَعِنَّة[3] قواعدهم مالكًا : الشيخُ الإمامُ تقيُّ الدِّين أبو العباس ، أحْمدُ بنُ عبدالحليم بن عبدالسلام بنِ تيميَّة ، أعاد الله علينا بركتَه ، ورفع إلَى مدارجِ العُلا درجتَه ، وأدامَ توفيقَ السادةِ المبدُوءِ بذِكرهِم وتسديدَهم ، وأجزلَ لَهم حظَّهَم ومزيدَهم .

---

(١) الدَّارس : المختفي . (٢) المَوَات : ما مات عند الناس .

(٣) الأعنَّة : لِجام الفرس الذي يُقاد به .

السلامُ عليكم -معشرَ الإخوان- ورحْمةُ الله وبركاته ، جعَلَنا اللهُ وإياكم مِمَّن ثَبت على قَرْعِ أبوابِ الحقِّ جأشُه ، واحتَسب لله ما بَذَله من نفسه فِي إقامة دينِه ، وما احتوشَته من ذلك وَحَاشةٌ ، واحتذَى حذوَ السُّبَّقِ الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، والذين لَم تأخذهم فِي الله لَومةُ لائمٍ) .

ويُوصي إخوانَه من تلامذةِ الشيخ بالمواظبةِ على الاتباع ونَبذِ الابتداع ، ويُثنِي عليهم بدعوتِهم ودعوةِ شيخِهمُ ابنِ تيميَّة إلَى السُّنَّة .

□ فيقول : (وبعدَ ذلك الحَظوةُ فِي هذه الدار بلقاءِ رسولِ الله ﷺ غَيبًا فِي غيبٍ ، وسرًّا فِي سرٍّ ، بالعكوفِ على معرفة أيَّامه وسُنَنه واتِّباعها .. فتبقى البصيرةُ شاخصةً إليه ، تراه عِيانًا فِي الغيب كأنَّها معه ﷺ وفِي أيامه ؛ فيجاهد على دينه ، ويبذلُ ما استطاع من نفسه فِي نُصرته .

واعلمُوا -أيَّدكمُ الله- أنه يَجبُ عليكم أن تشكروا ربَّكم تعالَى فِي هذا العصر ، حيث جعلكم بين جَميع أهلِ هذا العصر كالشَّامة البيضاء فِي الحيوان الأسود -فمن لَم يُسافِرْ إلَى الأقطار ، ولَم يتعرَّفْ أحوالَ الناس ، لا يَدري ما هو فيه من العافية-؛ فأنتم -إن شاء الله تعالَى- فِي حقِّ هذه الأُمَّة الأُولَى كما قال تعالَى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وكما قال تعالَى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

أصبحتُم إخواني تَحت سِنْجقِ[1] رسولِ الله ﷺ -إن شاء الله تعالَى- مع

(١) السِّنجق : اللواء والراية .

شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره ﷺ ، قد تَميَّزتُم عن جَميع أهل الأرض -فقهائها وفقرائها وصوفيَّتِها وعوامِّها- بالدِّين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناسُ من الأحداث -في الفقهاء ، والفقراء ، والصوفية ، والعوامِّ-؛ فأنتمُ اليومَ في مقابلة الجهميَّة من الفقهاء ، نصرتُم اللَّهَ ورسولَه في حفظ ما أضاعوه من دين الله ، تُصلِحون ما أفسَدُوا من تعطيلِ صفات الله .

وأنتم أيضًا في مقابلة مَن لَم يَنفُذْ في علمه من الفقهاء إلَى رسول الله ﷺ ، وجَمُد على مُجرَّدِ تقليدِ الأئمَّة ، فإنكم قد نَصرتُمُ اللَّهَ ورسولَه في تنفيذِ العلم إلَى أصوله من الكتاب والسنة ، واتِّخاذِ أقوالِ الأئمَّةِ تأسِّيًا بِهم -لا تقليدًا لَهم-.

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثَتْه أنواعُ الفقراء[1] من الأحْمديَّة والحَريرية من إظهارِ شعارِ المُكاءِ والتَّصدية[2]، ومؤاخاةِ النساء والصِّبيان ، والإعراضِ عن دينِ الله إلَى خرافاتٍ مكذوبةٍ عن مشايخِهم ، واستنادِهم إلَى شيوخِهم وتقليدِهم في صائبِ حركاتِهم وخَطَئِها ، وإعراضِهم عن دينِ الله الذي أنزله من السماء .

فأنتم -بحمد الله- تُجاهدون هذا الصِّنفَ -أيضًا- كما تُجاهدون مَن سبق .. حفظتم من دينِ الله ما أضاعوه ، وعَرَفتُم ما جهِلوه ، تقوِّمُون من الدِّين ما عَوَّجوه ، وتُصلحون منه ما أفسدوه .

---

(١) يعني : المتصوِّفة .

(٢) المقصود : التصفيق والغناء الذي هو عادةُ ضُلَّالِ المتصوِّفة ، والذي لبَّس لَهم إبليسُ أنه قُربةٌ لله تعالَى !!.

وأنتم أيضًا فِي مقابلة رَسْمِيَّة[١] الصوفية والفقهاء ، وما أحدثُوه من الرسوم الوضعيَّة ، والآصارِ الابتداعيَّة ، مِن التصنُّع باللباس ، والإطراقِ والسجادة لنيلِ الرُّزق من المعلوم ، ولُبسِ البُقيار[٢] والأكمامِ الواسعة فِي حضرة الدرس ، وتنميقِ الكلام ، والعَدْوِ بين يدي المدرِّس راكِعِين ، حفظًا للمناصب ، واستجلابًا للرُّزقِ والإدرار .

فخَلَطَ هؤلاء فِي عبادة الله غيرَه ، وتألَّهوا سواه ، ففسدَت قلوبُهم من حيث لا يشعرون ، يَجتمعون لغير الله -بل للمعلوم-، ويلبَسون للمعلوم ، وكذلك فِي أغلب حركاتِهم يراعُون وُلاةَ المعلوم ، فضيَّعوا كثيرًا من دين الله وأماتوه .. وحفظتم أنتم ما ضيَّعوه ، وقوَّمتم ما عوَّجوه .

وكذلك أنتم فِي مقابلة ما أحدثته الزنادقةُ من الفقراء والصوفيَّة من قولِهم بالحُلول والاتِّحاد وتألُّه المخلوقات -كاليونُسيَّة ، والعربيَّة ، والصَّدريَّة ، والسَّبعينيَّة ، والتِّلمسانيَّة-؛ فكلٌّ هؤلاء بدَّلوا دِينَ الله تعالَى وقَلَبوه ، وأعرضُوا عن شريعة رسول الله ﷺ .

فاليونُسية يتألَّهون شيخَهم ، ويَجعلونه مَظهرًا للحقِّ ، ويَستهينون بالعبادات ، ويُظهرون بالفَرعنة والصَّولةِ والسفاهةِ والمُحالاتِ مَا وَقَر فِي بواطِنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبِلتُهُمُ الشيخُ يونس .. ورسولُ الله ﷺ والقرآنُ المَجيدُ عنهم بِمَعزِلٍ ، يؤمنون به بألسنتِهم ، ويكفُرون به بأفعالِهم .

---

(١) الرَّسْمية : الذين يهتمُّون بالرُّسوم الظاهرة فقط .

(٢) لعلّه نوعٌ من الثياب .. والله أعلم .

وكذلك الاتِّحادية ، يَجعلون الوجودَ مظهرًا للحقِّ ، باعتبارِ ألاَّ متحرِّكَ فِي الكون سواه ، ولا ناطقَ فِي الأشخاص غيرُه ، وفيهم مَن لا يُفرِّقُ بين الظاهرِ والمُظهِر ، فجعلَ الأمرَ كمَوجِ البحر ، فلا يُفرِّقُ بين عينِ الموجِ وبين عينِ البحر ، حتَّى إنَّ أحدَهم يتوهَّمُ أنه اللَّهَ ينطقُ على لسانه ، ثُم يفعلُ ما أراد من الفواحش والمعاصي ؛ لأنه يعتقدُ ارتفاعَ الثَّنويَّة : فمَنِ العابد ومَن المعبود ؟.. صار الكلُّ واحدًا !!.

وقد اجتمعنا مع هذا الصِّنفِ فِي الرُّبُطِ والزوايا .

فأنتم -بِحمد الله- قائمون فِي وجه هؤلاء أيضًا ، تنصُرون اللَّهَ ورسولَه ، وتَذُبُّون عن دينه ، وتعمَلون على إصلاح ما أفسدوا ، وعلى تقويم ما عوَّجوا ، فإنَّ هؤلاء مَحَوْا رسمَ الدِّين ، وقَلَعوا أثرَه ، فلا يقال : أفسَدوا ولا عوَّجوا .. بل بالغوا فِي هدمِ الدين ومَحَوْا أثرَه ، ولا قُربةَ أفضلَ عند الله من القيام بِجهادِ هؤلاء بِما أمكن ، وتبيينِ مذاهبِهم للخاصِّ والعامِّ .. وكذلك جهادُ كلِّ مَن ألْحَدَ فِي دين الله ، وزاغَ عن حدودِه وشريعته ، كائنًا فِي ذلك ما كان من فتنةٍ وقول ، كما قيل :

إذا رَضِيَ الحبيبُ فلا أُبالِي ... أقامَ الحَيُّ أمْ جَدَّ الرَّحيلُ

والله المستعان .

وكذلك أنتم -بِحمد الله- قائمون بِجهاد الأمراء والأجناد ، تُصلِحون ما أفسدوا من المظالِم والإجحافات[1]، وسُوءِ السِّيرةِ الناشئة عن الجهل بدينِ

---

(١) الإجحافُ : أخذُ حقوق الناس .

اللهِ بما أمكن ، وذلك لبُعدِ العهد عن رسول الله ﷺ ، لأن اليومَ له سَبْعُمِئَةِ سَنَةٍ ، فأنتم -بِحمد الله- تُجدِّدون ما دَثَرَ من ذلك ودُثِر .

وكذلك أنتم -بِحمد الله- قائمون فِي وجوه العامَّةِ مِمَّا أحدثوا من تعظيمِ الميلاد ، والقَلَنْدس ، وخَميس البيض ، والشَّعانين ، وتقبيلِ القبور والأحجار ، والتوسُّل عندها .

ومعلوم أن ذلك كلَّه من شعائر النصارى والجاهلية ، وإنَّما بُعث رسولُ الله ﷺ ليوَحِّدَ اللَّهُ ويُعبَدَ وحدَه ، ولا يؤلَهُ معه شيءٌ من مَخلوقاته .. بعثه اللَّهُ تعالَى ناسخًا لِجميعِ الشرائع والأديان والأعياد .. فأنتم -بِحمد الله- قائمون بإصلاحِ ما أفسد الناسُ من ذلك .

وقائمون فِي وجوه مَن ينصرُ هذه البدعَ من مارِقِي الفقهاء ، أهلِ الكيدِ والضِّرارِ لأولياء الله ، أهلِ المقاصد الفاسدة ، والقلوبِ التِي هي عن نصرِ الحقِّ حائدة .

وإنَّما أعرضَ هذا الضعيفُ عن ذكرِ قيامِكم فِي وجوه التَّترِ والنصارى ، واليهودِ ، والرَّافضةِ ، والمعتزلةِ ، والقَدَرِيَّةِ ، وأصنافِ أهل البدع والضلالات : لأن الناسَ متَّفقون على ذَمِّهم ، يزعمون أنَّهم قائمون بردٍّ بدعتهم ، ولا يقومون بتوفيةِ حقِّ الردِّ عليهم -كما تقومون-، بل يعلَمون ويَجبُنُون عن اللقاء فلا يُجاهِدون ، وتأخذُهم فِي الله اللائمةُ لِحفظ مناصبهم ، وإبقاءً على أعراضِهم .

وقد سافرنا البلاد ، فلم نَرَ مَن يقومُ بدين الله فِي وجوه مثلِ هؤلاء -حقَّ

القيام- سواكم ، فأنتمُ القائمون فِي وجوه هؤلاء -إن شاء الله- بقيامِكم بنُصرةِ شيخِكم وشيخِنا -أَيَّده الله- حقَّ القيام ، بِخلافِ مَنِ ادَّعى من الناس أنَّهم يقومون بذلك .

ثُم اعرِفوا -إخوانِي- حقَّ ما أنعم اللَّهُ عليكم من قيامِكم بذلك ؛ واعرِفوا طريقَكم إِلَى ذلك ، واشكُروا اللَّهَ تعالَى عليها ، وهو أنْ أقامَ لكم ولنا -فِي هذا العصر- مِثلَ سيِّدنا الشيخ الذي فَتح الله به أقفالَ القلوب ، وكشف به عن البصائرِ عمَى الشبهاتِ وحَيرةَ الضَّلالات ، حيث تاه العقلُ بين هذه الفِرَق ، ولَم يَهتَدِ إِلَى حقيقةِ دينِ الرسول ﷺ .

ومِن العجبِ أن كُلًّا منهم يدَّعي أنه على دين الرسول ، حتَّى كَشف اللهُ لنا ولكم -بواسطةِ هذا الرجل- عن حقيقةِ دينِه الذي أَنزل من السماء وارتضاه لعباده .

واعلموا أنَّ فِي آفاقِ الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارَهم بين هذه الفِرَق ، يعتقدُون أن تلك البدعَ حقيقةُ الإسلام ، فلا يعرِفون الإسلامَ إلاَّ هكذا .

فاشكروا اللَّهَ الذي أقام لكم فِي رأسِ السَّبْعمِئةِ من الهجرة مَن بيَّن لكم أعلامَ دينكم ، وهداكم اللهُ به وإيانا إِلَى نَهج شريعته ، وبيَّن لكم بِهذا النور المُحمَّديِّ ضلالاتِ العبادِ وانْحرافاتِهم ، فصرتُم تعرفون الزائغَ من المستقيم ، والصحيحَ من السقيم .

وأرجو أن تكونوا أنتمُ الطائفةَ المنصورة ، الذين لَم يضرَّهم من خذلَهم ومن خالفهم وهم بالشأم -إن شاء الله تعالَى-.

ثُم إذا علِمتم ذلك ، فاعرِفوا حقَّ هذا الرجلِ -الذي هو بين أظهُرِكم- وقَدْرَه ، ولا يعرفُ حقَّه وقَدْرَه إلاَّ من عرفَ دينَ الرسولِ ﷺ وحقَّه وقَدْرَه ، فمَن وَقَع دينُ الرسول ﷺ من قلبه بِموقعٍ يستحقُّه ، عَرَف حقَّ ما قام به هذا الرجلُ بين أظهُرِ عباد الله ، يُقوِّمُ مُعوَجَّهم ، ويُصلِحُ فسادَهم ، ويُلِمُّ شَعْثَهم -جهدَ إمكانه- فِي الزمان المُظلِمِ الذي انْحرف فيه الدِّينُ ، وجُهِلَتِ السُّنن ، وعُهِدت البدع ، وصار المعروفُ منكرًا والمنكرُ معروفًا ، والقابضُ على دينه كالقابِضِ على الجمر ، فإنَّ أجرَ مَن قام بإظهار هذا النور -فِي هذه الظلمات- لا يُوصَف ، وخَطَرَه لا يُعرف .. هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثيَّةِ الأمرِ الشرعيِّ الظاهر ، فهنا قومٌ عرفوه من حيثيَّةٍ أخرى من الأمر الباطن .. ومَن يقودُه إلَى معرفةِ أسْماءِ الله تعالَى وصفاته ، وعظمةِ ذاته ، واتِّصالِ قلبِه بأشعَّةِ أنوارها ، والاحتظاءِ من خصائصِها وأعلى أذواقها ، ونفوذِه من الظاهر إلَى الباطن ، ومن الشهادةِ إلَى الغَيب ، ومن الغَيب إلَى الشهادة ، ومِن عالَمِ الخَلقِ إلَى عالَمِ الأمر ، وغيرِ ذلك مِمَّا لا يُمكنُ شرحُه فِي كتاب .

فشيخكُم -أيَّدكمُ الله تعالَى- عارفٌ بذلك ، عارفٌ بأحكام الله الشرعيَّة ، عارفٌ بأحكامه القَدَريَّة ، عارفٌ بأحكام أسْمائه وصفاته الذاتيَّة ، ومِثلُ هذا العارفِ قد يُبصرُ ببصيرته تنَزُّلَ الأمرِ بين طبقات السماء والأرض ، كما قال تعالَى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

فالناسُ يُحِسُّون بِما يَجري فِي عالَمِ الشهادَة ، وهؤلاء بصائرُهم شاخصةٌ إلَى الغيب ، ينتظرون ما تَجري به الأقدار ، يَشعرون بِها أحيانًا عند تَنَزُّلها ؛ فلا تُهوِّنوا أمرَ مثلِ هؤلاء فِي انبساطهم مع الخَلق ؛ واشتغالِ أوقاتِهم بِهم ، فإنَّهم -كما حُكي عن الجُنيد رحِمه الله- أنه قيل له : «كم تنادي على الله تعالَى بين الخلق ؟ فقال : أنا أُنادي على الخلق بين يدي الله» .

فاللَّهَ اللَّهَ فِي حفظِ الأدب معه ، والانفعالِ لأوامره ، وحفظ حُرماته فِي الغيب والشهادة ، وحُبِّ مَن أَحَبَّه ، ومُجانبةِ من أبغضه وتَنَقَّصَه ، ورَدِّ غِيبتِه ، والانتصارِ له فِي الحق .

واعلموا -رحِمكمُ الله- أنَّ هنا من سافر إلَى الأقاليم ، وعَرف الناس وأذواقَهم ، وأشرفَ على غالب أحوالِهم ، فوالله ثُم واللهِ ثُم والله ، لَم يَرَ تَحت أديمِ السماء مِثلَ شيخِكم : عِلمًا ، وعملاً ، وحالاً ، وخُلُقًا ، واتِّباعًا ، وكَرَمًا ، وحِلْمًا ؛ فِي حقِّ نفسه ، وقيامًا فِي حقِّ الله عند انتهاك حُرماته .. أصدقُ الناس عَقْدًا ، وأصحُّهم علمًا وعزمًا ، وأنفذُهم وأعلاهم فِي انتصار الحق وقيامه هِمَّةً ، وأسخاهم كفًّا ، وأكملُهم اتِّباعًا لنبيِّه مُحمَّد ﷺ .

ما رأينا -فِي عصرنا هذا- مَن تَستجلِي النبوَّةُ المُحمَّديَّةُ وسُنَّتُها من أقواله وأفعاله إلاَّ هذا الرجل ، بِحيثُ يَشهدُ القلبُ الصحيح أنَّ هذا هو الاتِّباعُ حقيقةً) .

وتكلَّم عمَّن يطعنُ فِي الشيخ ابن تيميَّة :

□ فقال : (يا سبحان الله العظيم ! أين عقولُ هؤلاء ؟ أعَمِيَتْ أبصارُهم

وبصائرُهم ؟! أفلا يَرون ما الناسُ فيه منَ العَمى والحَيرةِ فِي الزمان المظلمِ المُدْلَهِمِّ[١]، الذي قد مَلَكت فيه الكفَّارُ مُعظمَ الدنيا ؟! وقد بَقيَتْ هذه الْخِطَّة الضيِّقةُ[٢]، يَشُمُّ المؤمنون فيها رائحةَ الإسلام ، وفِي هذه الْخِطَّة الضيِّقة من الظلمات -مِن عُلماء السَّوء والدعوةِ إلَى الباطل وإقامته ودحضِ الحقِّ وأهله- ما لا يُحصَرُ فِي كتاب !!.

ثُم إنَّ اللَّهَ تعالَى قد رحِم هذه الأمة بإقامةِ رجلٍ قويِّ الْهِمَّة ، ضعيفِ التركيب ، قد فرَّقَ نفسَه وهَمَّه فِي مصالِحِ العالَمِ ، وإصلاحِ فسادِهم ، والقيامِ بِمهمَّاتِهم وحوائجِهم ، ضمنَ ما هو قائمٌ بصدِّ البدع والضلالات ، وتَحصيلِ موادِّ العلمِ النبويِّ الذي يَصلُحُ به فسادُ العالَمِ ، ويردُّهم إلَى الدِّين الأول العتيق جَهدَ إمكانه .. وإلاَّ ، فأين حقيقةُ الدِّين العتيق ؟!.

فهو مع هذا كلِّه قائمٌ بِجُملة ذلك وحدَه ، وهو منفردٌ بين أهل زمانه ، قليلٌ ناصرُه ، كثيرٌ خاذلُه وحاسدُه والشامتُ به !!) .

□ ويقول شيخُ الإسلام ابن تيمية فِي جَمعه لعقيدة السلف الصالِح : (ما جَمعتُ إلاَّ عقيدةَ السلف الصالِح جَميعِهم ، ليس للإمام أحْمدَ اختصاصٌ بِهذا[٣]، والإمامُ أحْمدُ إنَّما هو مبلِّغُ العلمَ الذي جاء به النبِيُّ ﷺ ، ولو

---

(١) الْمُدْلَهم : شديد السواد .

(٢) الْخِطَّة -بكسر الخاء-: البُقعة من الأرض .

(٣) فقد تقرَّر أن الأحكام قطعيَّة الدلالة -ومنها نصوصُ العقدية- لا تَختصُّ بفرد أو مذهب .. ألاَ ترى أنه منَ المنكَر أن يقال : عقيدةُ الإمام فلان إثباتُ الرسل ، أو الجنة ، أو النار ، أو نَحوًا من ذلك ؟!!.. وانظر : «المدخل المفصَّل» للشيخ بكر أبو زيد (١/٥٤) .

قال أحْمدُ من تلقاءِ نفسه ما لَم يَجِئْ به الرسولُ ﷺ ، لَم نقبَلْه .. وهذه عقيدةُ مُحمَّد ﷺ) .

□ وقال أيضًا : (الإمامُ أحْمدُ رضي الله عنه -لَمَّا انتهى إليه من السُّنة ونصوصِ رسولِ الله ﷺ أكثرُ مِمَّا انتهى إلَى غيره ، وابتُلي بالمِحنةِ والردِّ على أهلِ البدع أكثرَ من غيره-: كان كلامُه وعملُه فِي هذا الباب أكثرَ من غيرِه ، فصار إمامًا فِي السُّنة أظهرَ مِن غيره .. وإلاَّ ، فالأمرُ كما قاله بعضُ شيوخِ المغاربة العلماءِ الصُّلَحاء ، قال : « المذهبُ لِمالكٍ والشافعيِّ ، والظهورُ لأحْمدَ بنِ حنبل » .. يعنِي أن الذي كان عليه أحْمدُ ، عليه جَميعُ أئمَّةِ الإسلام ، وإنْ كان لبعضِهم من زيادةِ العلم والبيان وإظهارِ الحقِّ ودفع الباطل ما ليس لبعضٍ) .

□ ولله درُّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة -العَلَمِ فِي الاتباع-، حين يدافعُ عن عقيدته -عقيدة السلف-، فيقول : (قلتُ مراتٍ : قد أَمهَلتُ كلَّ مَن خالفَنِي فِي شيءٍ منها[1] ثلاثَ سنين ، فإنْ جاء بِحرفٍ واحدٍ عن القرون الثلاثة التِي أثنَى عليها النبيُّ ﷺ -حيث قال : (**خيرُ الناس القرنُ الذي بُعِثتُ فيه ، ثُم الذين يلونَهم ، ثُم الذي يلونَهم**)[2]- يُخالِفُ ما ذكرتُه ، فأنا راجعٌ عن ذلك ؛ وعليَّ أن آتِي بنقول جَميعِ الطوائف من القرون الثلاثة توافقُ ما ذكرتُه) .

وما ذاك إلاَّ أنه لنبيِّه ... نبيِّ الْهُدَى فِي كلِّ شيءٍ متابعُ

(١) أي : من عقيدة السلف .
(٢) رواه أحْمد والشيخان وغيرهم .

ويقول آخر :

منه حبُّ الكتـــابِ والسُّنة الـــ ... ـــمُثلى جَرى فِي عروقِه والعظامِ

□ ويقول الشيخ المتيَّم عبدُالله بنِ خضرِ الروميُّ تلميذُ شيخ الإسلام ، فِي الثناء على شيخه ابن تيميَّة ورثائه :

ملأتُ النَّواحي من نُواحي وكيف لا ... أنوحُ على قومٍ هم خيرُ جِيرتِي !
ومِن عَجَبٍ أنِّـــي أحـــنُّ إليهمُ ... وقد سكنوا قلبِي ورُوحِي ومُهجتِي
ذكرتُ فلم أَنْسَ زمـــانَ وِصالِهم ... أأنسى ليالٍ بالعُذَيب تَقضَّت !
منازلَ أحبـــابِي مواطـــنَ سادتِي ... مطالعَ أقمـــاري شـــروقَ أهِلَّتِي !
معاهدَ أفراحـــي ديـــارَ سعادتِي ... مواسمَ أرباحـــي أُوَيقـــاتِ لذَّتِي
وحاشايَ أن أسلو هواهُم وحُبُّهمُ ... يُذكِّرُنِي حفـــظَ العهـــودِ القديْمة
فهْو سرُّ أسراري ونورُ مَناظِري ... ورُوحي ورَيْحانِي وأُنسي وبَهجتِي
وهم عينُ أعيـــانِي وقلـــبُ قالبِي ... وهم منتهى قَصدي ومَشهَدُ رُؤيتِي
وهم فِي معانيهـــم حيـــاتِي حقيقةً ... وهم فِي مَغانيهم أُهَيلُ مودَّتِي
وهم فِي تَجلِّيهم شُموسٌ إذا بَدَوا ... وهم فِي تَجنِّيهم رياضي ونُزهتِي
وهم -أينما كانوا- نِهايةَ مقصدي ... وهم -أينما حَلُّوا- مُرادي وبُغيتِي
وقد آنَ أنْ أُبدي خَفايا صَبابتِي ... وأُظهِرُ للعُـــذَّال أصـــلَ رَزِيَّتِي
وأبكي على مَن كان يَجمعُ شَمْلَنا ... على طاعةِ الرحْمن فِي كلِّ لَمحةِ
وأندُبُ أحزانِي بِمـــا قد أصابنِي ... وأنثُرُ أشجـــانِي بنَظْـــمِ قصيدتِي
فقدتُ إمامًا كـــان أَوْحَدَ عصرِه ... وقد فُجِعَتْ فيـــه جَميـــعُ البَريَّةِ

فقدتُ إمامًا لَـم يـزل متوكّلاً ... على اللهِ لا يُصغي إلى غيرِ سُنَّة
فقدتُ إمامًا كـان بالعلـم عاملاً ... وكان حقيقًـا قامعًـا كلَّ بدعة
أتى بكتـابِ اللهِ والسُّنـة التي ... عَلَت وارتقت حقًّا على كلِّ ملَّة
أتى بأحاديثِ الرسولِ وشَرْحِها ... وعمَّن رواها بالْمُتون الصحيحة
أتانا بأحـوال الرسـولِ حقيقةً ... وسيرتُه تسمـو على كـلِّ سيرة
أتانا بأحـوال الصحـابة كلِّهم ... والتـابعينَ الْمـلَّـةِ الْمستقيمة
أتانا بوصفِ الصالحيـنَ وحالِهم ... وما هم عليه مـن جَميلِ العقيدة
وعَلَّمَنا شـرعَ الرسـولِ ودينَه ... بأفصحِ ألفـاظٍ وأصـدقِ لَهجة
أَعْلَمَنا أنَّ النجـاةَ مـنَ الْهوى ... تَمسُّـكُنـا بالسُّنـةِ النبـويَّـة
وحَذَّرَنا مـن كـلِّ زيغٍ وبدعة ... وعن كلِّ طاغٍ خارجٍ عن مَحجَّة
وناظَرَ أربـابَ العقـائدِ كلَّهم ... وبيَّن مَن قد ضلَّ مِن كلِّ فرقة
ورَدَّ على أهلِ الضلالِ جَميعهم ... بأوضحِ بُرهـانٍ وأبلـغِ حُجَّة
وبيَّن تكـذيبَ اليهـودِ وخُبثَهم ... وما بدَّلـوا في الْمـلَّـةِ الْموسَويَّة
وأخبَرَهم عن سرِّ أسبابِ كُفرِهم ... فتَعسًا لَهـم مِـن أُمَّـةٍ غَضبيَّة
وأظهرَ أيضًـا للنصـارى ضلالَهم ... وما أحدَثوا في الْمـلَّـةِ العيسويَّة
وباحَثَهـم حتـى تبيَّـن أنَّهم ... سُكارى حَيارى بالطباعِ الْخَبيثة
ورَدَّ على كُتُبِ الفلاسفةِ الأُلَى ... بمنقولِ أحكامٍ ومعقولِ حكمة
وقَرَّر إثبـاتَ النبـوَّاتِ عندَهم ... وجالَ عليهـم كَـرَّةً بعـدَ كرَّة
ورَدَّ على جَهْمٍ وجَعـدِ بنِ دِرهمٍ ... وبِشرِ الْمَرِيسي عُمْـدةِ الْجهميَّة

زنادقةٌ كم أهلكـوا من عوالِمٍ بسُوء اعتقادِ النفـوسِ السَّقيمة !
وجادلَ أهـلَ الاعتـزالِ جَميعَهم وسَـلَّ عليهـم سَيفَـه بالأدِّلة
وباحَثَ أشياخَ الروافضِ وانثنَى يُقاتلُهـم بالـدِّرَّة العُـمَـرِيَّة
وردَّ على قـومٍ تربَّـت نفوسُهم على النَّفْيِ والتعطيلِ من غيرِ حُجَّة
وردَّ على قـومٍ وشَتَّـت شَملَهم وهم أهـلُ تشبيـهٍ أتَـوا بكبيرة
وردَّ على أهـلِ التنـاسُخِ عندما تَجرَّوْا وخاضُوا فِي أمورٍ عظيمة
وردَّ على أهـلِ الحُلـولِ فإنَّهم يَرَوْنَ تَجلِّي الْحقِّ فِي كلٍّ صورة
وقد زَعمـوا أنَّ التجلِّـيَ ظاهرٌ ولا سيَّمـا فِي صـورة أَمرديَّة
فمِن أجلِ هـذا يرقُصـون ديانةً وفِي رَقْصهم جـاؤوا بكلٍّ قبيحة
يَرَون شهودَ الْمُرْدِ والرَّقصَ قُربةً فيا ويلَهم مِن خزيِ يومِ الفضيحة
وردَّ على أتبـاعِ إبليـسَ عندما رآهم وقد مَـالوا إلـى الْجَبْرِيَّة
وكم طَوى فِي عِلمِه من طوائفٍ حروريَّةٍ منهـم علـى حَشْوِيَّة !
مطايَا بُنيَّاتِ الطـريقِ سَرَتْ بِهم إلَى أن أناخُوا فِي عِراضِ القطيعة
وفِي بَحرِ آراءِ العقيـدةِ أُغرِقوا رَمَتْهم خيالاتُ العقولِ السَّخيفة
وكم قد أراهم كلَّهم سُبُلَ الْهُدى وكم قد نَهـاهم مـرةً بعدَ مرة !
فمن كان قُطبَ الكون فِي حالِ عصرِه سواه ! ومَن قد فـاز بالبدليَّة !
شجاعٌ هُمامٌ بـارعٌ فِي صفاته يَرُومُ مرامًـا فِي الْمَرَاقـي العليَّة
هو الْحَبْرُ والقُطبُ الذي شاع ذِكرُه وفاح شَـذاهُ كالعبيـرِ الْمُفتَّت
ألاَ يا تَقِيَّ الدِّيـن يـا فردَ عصرِه بُرُوقُكَ قد لاحت كشمسٍ مُضيئة

وبانت لكلِّ الناسِ أوصافُك التي ... بَرَزْتَ بِها مثلَ العُيونِ الغزيرةِ
ظَهَرَتْ بأنواعِ العلومِ وجِنْسِها ... وسارت بها الرُّكبانُ فِي كلِّ بلدةِ
لقد كنتَ رُوحًا للقلوب وراحةً ... وقُوتًا وأُنسًا للنفوسِ النَّفيسةِ
تَمسَّكتَ بالدِّين الحنيفيِّ والْهُدى ... وبالعُروة الوُثقى وأصلِ الشريعةِ
وجُدْتَ بكأسِ الفضل منك تكرُّمًا ... على تابعينِ السُّنَّةِ الْمحمَّديَّةِ
لقد عِشتَ مَحبوبًا ومِتَّ مُكرَّمًا ... عليكَ من الرَّحْمنِ أزكى تَحيَّةِ[1]

۞ تأليفُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة فِي العقيدة والأصول :

□ قال الحافظ البَزَّار : (وأمَّا ما خصَّه الله تعالَى به فِي معارضةِ أهل البدع فِي بدعتهم ، وأهلِ الأهواء فِي أهوائهم ، وما ألَّفه فِي ذلك من دحضِ أقوالِهم ، وتزييفِ أمثالِهم وأشكالِهم ، وإظهارِ عوَارِهم وانتحالِهم ، وتبديد شَملِهم ، وقطعِ أوصالِهم ، وأجوبتِه عن شُبهِهم الشيطانية ، ومعارضتِهم النفسانية للشريعةِ الحنيفيَّة الْمُحمَّدية بِما مَنحه الله تعالَى به من البصائرِ الرَّحْمانيَّة ، والدلائل النقليَّة ، والتوضيحات العقلية ، حتَّى ينكشفَ قناعُ الحق ، وبان -بما جَمَعه فِي ذلك وألَّفَه- الكذبُ من الصِّدق ، حتَّى لو أن أصحابَها أحياءً ، ووُفِّقوا لغير الشَّقاء ؛ لأذعنُوا له بالتصديق ، ودخلُوا فِي الدِّين العَتيق .

ولقد وجب على كلِّ مَن وقف عليها ، وفَهِم ما لديها ؛ أن يَحمَدَ اللَّهَ تعالَى على حُسن توفيق هذا الإمامِ لنصر الحقِّ بالبراهين الواضحةِ العِظام .

---

(١) «العقود الدُّريَّة» (٤٦٥ : ٤٧٢) .

ولقد أكثرَ ﷺ التصنيفَ في الأصول -فضلاً عن غيره من بقيَّة العلوم-، فسألتُه عن سبب ذلك ، والتمستُ منه تأليفَ نصٍّ في الفقهِ يَجمعُ اختياراته وترجيحاته ؛ ليكونَ عمدةً في الإفتاء ؛ فقال لي -ما معناه-: «الفروعُ أمرُها قريبٌ ، ومَن قَلَّد -المسلمُ- فيها أحدَ العلماء المقلَّدين ، جاز له العملُ بقوله -ما لَم يَتيقَّنْ خطأه-، وأما الأصول : فإنِّي رأيتُ أهل البدع والضلالات والأهواء -كالمتفلسفة ، والباطنية ، والمَلاَحدة ، والقائلين بوحدة الوجود ، والدَّهرية ، والقَدَرية ، والنُّصيرية ، والجهميَّة ، والحُلوليَّة ، والمُعطِّلة ، والمُجسِّمة ، والمشبِّهة ، والرَّاوَنديَّة ، والكُلاَّبيَّة ، والسُّلَيميَّة ، وغيرِهم من أهل البدع- قد تَجاذَبوا فيها بأزمَّةِ الضلال ، وبان لِي أن كثيرًا منهم إنَّما قَصَد إبطالَ الشريعةِ المقدَّسة المُحمَّدية الظاهرةِ العليَّة على كلِّ دينٍ ، وأن جُمهورَهم أوقعَ الناسَ فِي التشكيك فِي أصول دينهم ، ولِهذا قَلَّ أنْ سَمعتُ أو رأيتُ مُعرِضًا عن الكتابِ والسُّنة مُقبِلاً على مقالاتِهم ؛ إلاَّ وقد تَزَندقَ ، أو صار على غيرِ يقينٍ فِي دينه واعتقاده .. فلمَّا رأيتُ الأمرَ على ذلك ؛ بان لِي أنه يَجبُ على كلِّ مَن يَقدِرُ على دفعِ شُبَهِهِمْ وأباطيلهم وقطعِ حُجَّتِهم وأضاليلهم ، أن يبذلَ جُهدَه ليكشفَ رذائلَهم ، ويُزيِّفَ دلائلَهم ، ذَبًّا عن الملَّةِ الحنيفية ، والسُّنة الصحيحة الجليَّة .

ولا -واللهِ- ما رأيتُ فيهم أحدًا مِمَّن صنَّف فِي هذا الشأن ، وادَّعى علوَّ المَقام ، إلاَّ وقد ساعدَ بِمضمون كلامِه فِي هَدم قواعدِ دين الإسلام وسببُ ذلك : إعراضُه عن الحقِّ الواضح المبين ، وعمَّا جاءت به الرسلُ

الكرامُ عن ربِّ العالَمين ، واتِّباعُه طُرُقَ الفلسفة فِي الاصطلاحات التِي سَمَّوْها -بزعمهم- حُكْمِيَّات وعقليَّات ، وإنَّما هي جهالاتٌ وضلالات ، وكونُه التزمَها مُعرِضًا عن غيرها أصلاً ورأسًا ، فغَلَبَتْ عليه حتَّى غَطَّت على عقله السليم ، فتخبَّط حتَّى خَبَط فيها خَبْطَ عشواء[1] ، ولَم يُفرِّقْ بين الحق والباطل ، وإلاَّ فاللهُ أعلمَ -لطفًا بعباده- أن يَجعلَ لَهم عقلاً يقبلُ الحقَّ ويُثبتُه ، ويُبطِلُ الباطلَ ويَنفيه ، لكنْ عَدَمُ التوفيق ، وغَلَبةُ الهوى أوقَعَ مَن أوقع فِي الضلال ، وقد جَعل اللهُ تعالَى العقلَ السليم من الشوائبِ ميزانًا يَزِنُ به العبدُ الوارداتِ ، فيُفرِّقُ بين ما هو من قَبيلِ الحق ، وما هو من قَبيل الباطل ، ولَم يَبعثِ اللهُ الرسلَ إلاَّ إلَى ذَوِي العقل ، ولَم يقعِ التكليفُ إلاَّ مع وجوده ، فكيف يقال : إنه مُخالفٌ لبعضِ ما جاءت به الرسلُ الكرامُ عن الله تعالَى ؟!! هذا باطلٌ قطعًا ، يشهدُ له كلُّ عقلٍ سليم ، لكن : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [الأنعام : ١١٦] » .

قال الشيخ الإمام -قدَّس الله رُوحَه-: «فهذا ونَحوُه هو الذي أوجب أنِّي صرفتُ جُلَّ هَمِّي إلَى الأصول ، وألزَمَنِي أن أوردتُ مقالاتِهم وأجبتُ عنها بِما أنعم اللهُ تعالَى به من الأجوبة النقليَّة والعقلية» .

قلتُ -البزار-: وقد أبانَ -بِحمدِ الله تعالَى فيما ألَّف فيها- لكلِّ بصيرٍ الحقَّ من الباطل ، وأعانه بتوفيقه حتَّى ردَّ عليهم بِدَعَهم وآراءَهم ، وخُدَعهم

---

(١) عشواء : عَمياء .. وهو مَثلٌ يُضرَبُ للناقة العمياء التِي تسيرُ دونَ بصيرةٍ فتتخبَّطُ هنا وهناك ، فتكونُ على وشك الْهلاك .

وأهواءَهم ، مع الدلائل النقليَّة بالطريقة العقليَّة ، حتَّى يُجيبَ عن كلِّ شبهة من شُبَهِهم بعدَّةِ أجوبةٍ جليَّةٍ واضحةٍ يعقِلُها كلُّ ذي عقلٍ صحيح ، ويشهدُ لصحَّتها كلُّ عقلٍ رجيح .

فالحمدُ لله الذي مَنَّ علينا برؤيته وصُحبته ، فلقد جعله اللهُ حُجَّةً على أهل هذا العصر ، المعرضِ غالبُ أهله عن قليلِ [الدِّين] وكثيرِه ؛ لاشتغالِهم بفانِي الدنيا عمَّا يَحصُلُ به باقي الآخرة ، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله)[١].

◻ قال العلاَّمة شيخُ الشافعيَّة ابنُ الزَّمَلْكانيِّ فِي شيخ الإسلام ابن تيمية :

ماذا يقــولُ الواصفــون له ... وصفاتُه جَلَّتْ عن الحصرِ !

هو حُجَّــةٌ للّــهِ قاهــرةٌ ... هو بينَــنا أعجوبــةُ الدَّهرِ

هو آيــةٌ للخلــقِ ظاهــرةٌ ... أنوارُهــا أَرْبَتْ على الفَجرِ

❁ مِن كلامه فِي أهل البدع :

◻ قال -رحِمه الله-: (رأى المسلمون أن يَهجُروا مَن ظَهرت عليه علاماتُ الزَّيغ من المظهرين للبدع الدَّاعين إليها والمُظهِرين للكبائر)[٢].

◻ وقال -رحِمه الله-: (ومثلُ أئمَّة البدع من أهلِ المقالات المخالفة للكتاب والسنة ، أو العبارات المخالفةِ للكتاب والسنة ، فإنَّ بيانَ حالِهم وتَحذيرَ الأُمَّة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين ، حتَّى قيل لأحْمدَ بنِ حنبل : الرجلُ يصومُ ويُصلِّي ويعتكفُ أحبُّ إليك ، أو يتكلَّمُ فِي أهل البدع ؟ فقال :

---

(١) «الأعلام العليَّة فِي مناقب ابن تيميَّة» للبزار (٣٠ : ٣٥) .

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/١٧٤) .

إذا قام وصلّى واعتكف فإنَّما هو لنفسه ، وإذا تكلَّم فِي أهل البدع فإنَّما هو للمسلمين .. هذا أفضلُ .

فبيَّن أنَّ نفعَ هذا عامٌّ للمسلمين فِي دينِهم -من جنسِ الجهاد فِي سبيل الله-، إذ تطهيرُ سبيل الله ودينِه ومنهاجِه وشرعتِه ، ودفعَ بَغيِ هؤلاء وعدوانِهم على ذلك : واجبٌ على الكفاية باتِّفاق المسلمين ، ولولا مَن يُقيمُه الله لدفعِ ضررِ هؤلاء لَفسدَ الدين ، وكان فسادُه أعظمَ من فسادِ استيلاء العدوِّ من أهل الحرب [على ديارِ المسلمين] ، فإنَّ هؤلاء إذا استولَوا لَم يُفسدوا القلوبَ وما فيها من الدِّينِ إلاَّ تَبَعًا .. وأمَّا أولئك ، فهم يُفسدون القلوبَ [وما فيها من الدِّين] ابتداءً)[١].

□ وقال -أيضًا-: (ومَن كان مبتدِعًا ظاهرَ البدعة ، وجب الإنكارُ عليه ، ومِن الإنكار المشروعِ امتناعُ أهلِ الدِّين من الصلاة عليه لِيَنْزجرَ مَن يتشبَّهُ بطريقتِه ويدعو إليه ، وقد أَمر بِمثل هذا مالكُ بنُ أنس ، وأحْمدُ بن حنبل ، وغيرهُما من الأئمَّة .. والله أعلم)[٢].

□ وقال : (ولِهذا لَم يكن للمُعلنِ بالبدع والفجورِ غيبةٌ ، كما رُوي ذلك عن الحسن البصري وغيره[٣]؛ لأنه لَمَّا أعلن ذلك استَحقَّ عقوبةَ المسلمين له ، وأدنَى ذلك أن يُذَمَّ عليه لينْزجرَ ويكُفَّ الناسُ عنه وعن مُخالطته ، ولو لَم يُذمَّ ويُذكَرْ بِما فيه من الفجور والمعصية أو البدعة لاغتَرَّ به الناسُ ، وربَّما

(١) المصدر السابق (٢٨/٢٣١ ، ٢٣٢) .
(٢) «مَجموع الفتاوى» (٢٤/٢٩٢) .
(٣) وقد ورد مرفوعًا للنبيِّ ﷺ : (لا غيبة لفاسق) .. ولا يصحُّ .

حَمل بعضَهم أن يرتكبَ ما هو عليه ، ويزدادُ أيضًا هو جُرأةً وفجورًا ومعاصيَ ، فإذا ذُكر بِما فيه انكفَّ وانكفَّ غيرُه عن ذلك وعن صُحبته ومُخالطته .. قال الحسنُ البصري : «أترغبون عن ذكرِ الفاجر ؟! أذكُروه بِما فيه كي يَحذرَه الناس» ، وقد رُوي مرفوعًا(١)، و«الفجور» اسمٌ جامعٌ لكل متجاهِرٍ بِمعصيةٍ أو كلامٍ قبيحٍ يدلُّ السامعَ له على فجورِ قلبِ قائله .

ولِهذا كان مستحقًّا للهجرِ إذا أعلن بدعةً ، أو معصيةً ، أو فجورًا ، أو مُخالطةً لِمَن هذا حالُه ، بحيثُ لا يُبالِي بطعنِ الناس ، فإنَّ هجرَه نوعُ تعزيرٍ له ، فإذا أعلنَ السيئاتِ أُعلن هَجرُه ، وإذا أَسرَّ أُسرَّ هَجرُه ، إذ الهجرةُ هي الهجرةُ على السيِّئات ، وهجرُ السيئات هجرةُ ما نَهى اللهُ عنه ، كما قال تعالَى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر : ٥] .

وقال تعالَى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٠])(٢).

□ وقال -رحِمه الله-: (والكلام الذي ذمُّوه -أي السلف- نوعان :

أحدهُما : أن يكونَ فِي نفسه باطلاً وكَذِبًا ، وكلُّ ما خالَف الكتابَ والسُّنةَ فهو باطلٌ وكذبٌ ؛ فإنَّ أصدقَ الكلامِ كلامُ الله .

---

(١) حسن -إن شاء الله-: رواه الطبراني فِي «الكبير» و«الأوسط» ، وحسَّنه الْهيثمي فِي «المَجمع» والصنعاني ، وانظر التعليق على «غاية المرام بشرح مغني ذوي الأفهام» (١/٤٠ : ٤٢) ، و«سبل السلام» (٨/٢٢٥) .

(٢) «مَجموع فتاوى ابن تيميَّة» (١٥/٢٨٦ ، ٢٨٧) .

والثانِي : أن يكون فيه مفسدةٌ ، مثلَما يُوجد فِي كلام كثيرٍ منهم : مِن النهي عن مُجالسةِ أهل البدع ، ومناظرتِهم ، ومُخاطبتِهم ، والأمرِ بِهجرانِهم .

وهذا لأنَّ ذلك قد يكون أنفعَ للمسلمين من مُخاطبتِهم ، فإنَّ الحقَّ إذا كان ظاهرًا قد عَرفه المسلمون ، وأراد بعضُ المبتدعةِ أن يدْعوَ إلَى بدعته ، فإنه يَجبُ منعُه من ذلك ، فإذا **هُجِر وعُزِّر** -كما فَعل أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب ﷺ بصَبِيغِ بنِ عِسْلٍ التَّميمِيِّ[١]، وكما كان المسلمون يفعلونه-، أو **قُتل** -كما قَتل المسلمون الجَعْدَ بنَ درهمٍ وغَيلانَ القَدَريَّ وغيرَهُما-: كان ذلك هو المصلحة ، بِخلاف إذا ما تُرك داعيًا ، وهو لا يقبلُ الحقَّ -إمَّا لِهواه ، وإمَّا لفساد إدراكه-، فإنه ليس فِي مُخاطبته إلاَّ مفسدةٌ وضررٌ عليه وعلى المسلمين)[٢].

□ يقول ابنُ رجبٍ عن شيخ الإسلام : (ولقد نَصر السُّنَّةَ المَحضةَ والطريقةَ السَّلفيَّة ، واحتَجَّ لَها ببراهينَ ومقدِّماتٍ وأمورٍ لَم يُسبَق إليها ، وأَطلق عباراتٍ أحجَمَ عنها الأوَّلون والآخرون وهابوا -وجَسَر هو عليها-، حتَّى قام عليه خَلقٌ من علماءِ مصرَ والشامِ قيامًا لا مزيدَ عليه ، بل يقولُ الحقَّ المُرَّ الذي أدَّاه إليه اجتهادُه ، فجرى بينه وبينهم حَمَلاتٌ حربيَّةٌ ، ووقعاتٌ شاميَّةٌ مصريَّةٌ ، وكم من نَوبةٍ قد رَمَوه عن قوسٍ واحدٍ ، فيُنجيهِ الله ، فإنه دائمُ الابتهال ، كثيرُ الاستغاثةِ والاستعانةِ به ، قويُّ التوكل ، ثابتُ الجأش) .

---

(١) راجع ص (٣١) .

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيميَّة (١٧٢/٧ ، ١٧٣) .

▫ إِلَى أن قال : (ولعلَّ من الحقِّ علينا هنا أن نُضيفَ إِلَى تلك الأسباب التِي خَلقت هذه الخصوماتِ سببًا آخَرَ نُحسُّ آثارَه فِي كلِّ عصرٍ ، وهو داءُ الحسد الذي إذا تَملَّكَ من قلب إنسانٍ أفسدَه وأعمى بصيرتَه ، وجَعله لا يبغي لِخَصمه إلاَّ الشرَّ والأذى) .

▫ (ولأنَّ ابنَ تيميَّة اشتُهر وذاع صِيتُه واجتهد فِي أمورٍ كثيرةٍ خالف فيها علماءَ عصرِه ، فدَبَّ الحسدُ والغضبُ إِلَى مُدَّعِي العلمِ والمُقَلِّدة والخرافيِّين الذي يَضِيقون أن يَرَوا عالِمًا يَبَزُّهم[1] ويُظهِرُ جَهلَهم ؛ فوَشُوا به إِلَى الحُكَّام ، واتَّهموه بالكفر ، فزجُّوا به فِي أعماقِ السجون تارةً فِي القاهرة ، وتارةً فِي الإسكندريَّة ، ولا يكادُ السلطانُ الناصرُ مُحمَّد بن قلاوون يُفرِجُ عنه لِمَا يَجِدُ من فضلِه وعلمِه حتَّى يُسارِعَ هؤلاء الْهدَّامون من جديدٍ للوشاية به ، واختلاقِ الأكاذيب ، وإثارةِ الفتَن ضدَّه حتَّى يُعادَ إِلَى السِّجن بعد تسليطِ الرَّعاع والغوغاء عليه وإيذائهم له واعتدائهم عليه ، وكان يُسجَنُ معه أحيانًا أخواه شرفُ الدين عبدالله وزَينُ الدين عبدالرحْمن)[2].

ويذكر صاحب « فوات الوَفَيات »[3] أن الشيخ أملَى سنةَ (٦٩٨هـ - ١٢٩٨م) المسألة المعروفة بـ « الحمويَّة » فِي قَعْدةٍ بين الظهر والعصر -وهي رسالةٌ أجاب بِها عن سؤالٍ ورد من « حَماة » فِي الصفات-، وجرى له بسببها مِحنةٌ ، ولكنَّ اللَّهَ نَصرَه وأذلَّ أعداءَه .

---

(١) أي : يعلو عليهم .
(٢) «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» لِمحمود مهدي الإستامبولِي (١٩) .
(٣) «فوات الوفيات» (١/ ٥٠ ، ٥١) .

وقد كان شيخُ الإسلام سلفِيًّا فِي كلِّ آرائه ، فاتُّهم -بلا حقٍّ- بأنه يَرى رأيَ المُجسِّمة أو المشبِّهة ، وأثارَ خصومةَ الناس وبعضِ السلاطين والأمراءِ عليه بسبب آرائه فِي هذه المسألة التِي جاءت فِي الرسالة «الحمويَّة» ، فكانت فتنةً ومِحنةً نَجَّاه اللهُ منها .

ويبسُطُ ابنُ كثيرٍ القولَ قليلاً فِي هذه المسألة ، فيَذكرُ أنه فِي أواخرِ دولة الملك المنصور «لاجين السِّلحداري» قام على ابنِ تيميَّةَ جَماعةٌ من الفقهاء ، وأرادوا أن يَحضُرَ إلَى مَجلس القاضي الحنفِي «جلال الدين» ، ولكنه أَبَى أن يَحضُرَ ، فشنَّعوا عليه بالمناداة فِي البلد ضدَّ رأيه الذي أبانه فِي الرِّسالةِ «الحمويَّة» .

ولكنَّ أحدَ الأمراء انتَصر له ، وأرسل يطلبُ مَن قالوا ضدَّه ، فاختفى الكثيرون منهم ، كما ضُرب بعضُ من نادَوا عليه ، فسكت الباقون ، وسَكنت الفتنة .

ثُمَّ اجتمع الشيخُ بالقاضي «جلال الدين» -وعنده جَماعةٌ من العلماء والفضلاء-، وباحثوه فِي الرِّسالة ، وناقشوه فِي مواضعَ منها ، فأجاب الشيخ عمَّا سألوه بِما أسكتَهم بعد كلامٍ كثيرٍ[١].

ثُمَّ امتُحن سنةَ (٧٠٥هـ - ١٣٠٥م) بالسؤال عن مُعتقَدِه بأمرِ السلطان ، فجمعَ نائبُه القضاةَ والعلماءَ بالقصر ، وأُحضر الشيخُ ، وسأله عن ذلك ، فبعث الشيخُ مَن أحضر من داره «العقيدة الواسطية» ، فقرؤوها فِي ثلاثةِ

(١) «البداية والنهاية» (٤/١٤) .

مَجالس ، وحاققوه ، وبَحثوا معه ، ووقع الاتفاقُ بعد ذلك على أنَّ هذه العقيدةَ سُنِّيَّةٌ سلفيَّةٌ ، فمنهم مَن قال ذلك طَوعًا ، ومنهم مَن قاله كرهًا .

❁ محنةُ شيخِ الإسلامِ وسَجنُه :

ويُذكَر أن المصريين هم الذين دبَّروا الحيلةَ في أمر الشيخ ، ورأَوا أنه لا يُمكنُ البحثُ والجدلُ معه ، وأجْمعوا أمرَهم على أن يُعقدَ له مَجلسٌ ، ويُدَّعى عليه فيه ، وتُقام عليه الشهادات .

وكان القائمون في ذلك منهم « بيبرس الجاشنكير »[1] -الذي صار سلطانًا فيما بعد-، و« نصر الْمَنْبِجي » -وكان خصمًا للشيخ لأكثرَ من سببٍ شديدَ المراس-، و« ابن مَخلوف » قاضي المالكية .

ومهما يكن من أمرٍ ، فقد عُقد المَجلسُ لمحاكمته ، وادَّعى عليه المدَّعي بأنه يَعتقدُ أنَّ اللّهَ على العرشِ حقيقةً ، وأنه يشارُ إليه بالإشارة الحسِّيَّة ، وأنه يتكلَّمُ بحرفٍ وصوت ، ثُمَّ قال : « أطلُبُ التقريرَ على ذلك ، التقريرَ البليغ » .. يشير إِلَى القتل على مذهب مالك .

فقال القاضي ابنُ مَخلوف : ما تقول يا فقيهُ ؟ فأخذ في حَمدِ الله والثناءِ عليه ، فقيل له : أسرِعْ ، ما جئتَ لتخطب !! فقال : أأُمنَعُ من الثناء على اللّه تعالَى ؟! فقال القاضي : أجِبْ ، فقد حَمدتَ الله ، فسكت الشيخُ ، فقال : أجِبْ .. فقال الشيخُ له : مَن هو الحاكم فِيَّ ؟ فأشاروا : القاضي هو الحاكم ، فقال الشيخ لابن مَخلوف : أنت خَصمي ، فكيف تَحكمُ فِيَّ ؟.

(١) كان المَنبجي -شيخ بيبرس حاكم مصر-، كان متصوفًا من أنصار مذهب الاتِّحاد والحلول .. انظر « الطبقات » (٢/٣٩٧ ، ٣٩٨) .

فأُقيم الشيخ ومعه أخواه ، ثُمَّ رُدَّ .. وقال : رضيتُ أن تَحكمَ فِيَّ ، فلم يُمكَّنْ من الجلوس .

وكان بعد هذا أنْ حَبَسوه فِي بُرجٍ أيامًا ، نُقل بعدها ليلةَ عيدِ الفطر إلَى السجن المعروف بـ «الْجُبِّ» ؛ وتلا ذلك إرسالُ كتابٍ سلطانِيٍّ إلَى الشام بالطعن عليه والحطِّ منه وإلزامِ الناس -وبِخاصَّةٍ أهلِ مذهبه- بالرجوع عن عقيدته .. وإلاَّ ، كان العَزْلُ والحَبْسُ مصيرَهم ، ونُودي بِهذا فِي الجامع والأسواق .

ولَبِث فِي السجن عامًا وبضعةَ أشهُرٍ ، ورَفض الإفراجَ عنه على أن يرجعَ عن بعض عقيدته ، حتَّى إذا كان شهرُ ربيعٍ الأول سنة (٧٠٧هـ - ١٣٠٧م) حَضر « حسام الدين مُهنَّا بن عيسى » -أميرُ العرب- إلَى مصر ، ودخل السجنَ ، وأخرج الشيخَ بنفسه -بعد أن استأذن فِي ذلك-، وعُقدت له مَجالسُ حضرها أكابرُ الفقهاء ، وانتهت على خيرٍ[١] .

على أنه لَم يكد يَخرج من السِّجن إلاَّ ليعودَ إليه فِي العام نفسه بسبب شكايةٍ تقدَّم بِها الصوفِيَّةُ فِي شهرِ شوَّال ضدَّه إلَى القاضي ، وذَكروا فِي شِكايتهم أنه يَحملُ على ابن عربِيٍّ وغيرِه من المتصوِّفة .

ولكنَّ الدولةَ لَم تَرْضَ بِهذا -ولعله بإيعازٍ من الشيخ نصرٍ المَنبِجِيِّ عدوِّ ابن تيميَّة-، فخُيِّر بين أشياء ، وهي : الإقامةُ بدمشق أو بالإسكندرية بشروطٍ أو الحبس .. فكان أن اختارَ الحبسَ مؤثرًا له على قبول تلك

(١) «البداية والنهاية» (٤٥/١٤) .

الشروط .. إلاَّ أن أصحابه رغِبوا إليه فِي السفر إلَى دمشقَ ملتزمًا ما شرَطوه عليه ، فأجابَهم ، وركِب فعلاً متوجِّهًا إليها ، إلاَّ أنه صدرَ الأمرُ بردِّه .. فرُدَّ فِي الغدِ إلَى القاهرة ، وحضر عند القاضي ، فقيل له : ما ترضى الدولةُ إلاَّ بالحبس ، إلاَّ أنَّ أحدًا من القضاة لَم يَجرؤْ على الحكم عليه لأنه ما ثبت عليه شيءٌ .

ولَمَّا رأى الشيخُ تَحيُّرَهم بين الحقِّ وبين ما تريدُه الدولة ، قال : «أنا أمضي إلَى الحبس ، وأتبعُ ما تقتضيه المصلحة» .. فأُرسل إلَى حبس القاضي المعروف .

وحينئذٍ لَم يَجدوا بُدًّا من إخراجه إلَى الإسكندرية ، وبَقِي بالحبس بِها مُدَّةَ سَلطنة الملك المظفَّر «بيبرس الجاشنكير» ، فلمَّا عاد الملكُ الناصر «مُحمَّد ابن قلاوون» إلَى السلطنة ، أَمر بإحضاره إلَى القاهرة فِي شوال سنةَ (٧٠٩هـ - ١٣٠٩م) ، وأكرمه إكرامًا زائدًا ، وقام إليه ، وتلقَّاه فِي مَجلسٍ حَفَل بالقُضاة المصرِّيين والشاميين وأعيانِ الدولة[(١)]، ثُمَّ استشاره فِي خُصومِه -إذ كان همَّ بقتلِ بعضهم-، فصَرَفه عن ذلك وأثنى عليهم .

وكان ابنُ مَخلوفٍ المالكيُّ يقول : «ما رأينا أفتَى (من الفتوَّة والمروءة) من ابن تيميَّة ، سَعينا فِي دمه ، فلمَّا قَدر علينا عفَا عنَّا !»[(٢)].

لَبِث الشيخُ بعد أن عاد إلَى دمشقَ بِضعَ سنينَ لا يزعجُه خصومُه ، فتفرَّغ

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/٤٥) وما بعدها .

(٢) «فوات الوفيات» (١/٥٢) .

لنشرِ العلم والتأليف والإفتاء ، ولكنْ سُئل فِي مسألة الحَلفِ بالطلاق ، وهي من المسائل الفقهيَّة التي تفرَّد فِي عصره بالقول بِها ، ورأْيه : أنه لا يقعُ الطلاقُ بالحَلفِ به بدلَ الحلفِ بالله ، ولكنْ على الحالف إذا حَنَثَ فِي يَمينه كَفَّارةُ اليمين المعروفة فِي القرآن ، كما كان رأْيه أن الطلاقَ الثلاثَ بلفظٍ واحدٍ لا يقعُ به إلاَّ طلقةً واحدةً رجعيَّةً[(١)].

وفِي عام (٧١٨هـ - ١٣١٨م) ورد كتابٌ من السلطان بِمَنعه من الفتوى فِي مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير ، وعُقد له مَجلسٌ بـ « دار السعادة » ، ومُنع من ذلك ، ونُودي به فِي البلد .

ثُمَّ فِي سنة (٧١٩هـ - ١٣١٩م) عُقد له مَجلسٌ أيضًا كالمَجلس الأول ، وقُرِئ كتابُ السلطان بِمنعه من ذلك ، وعُوتب على فتياه بعد المنع .

وبعد مدَّةٍ عُقد له مَجلسٌ ثالثٌ بسبب ذلك ، وعُوتب ، وحُبس بالقاعة لأجل ذلك مرةً أخرى ، ومُنع بسببه من الفُتيا مطلقًا ، فأقام مدةً يُفتِي بلسانه ، ويقول : لا يسعُنِي كتمُ العلم[(٢)].

واستمرَّ على هذا حتَّى حُبس بالقلعة خَمسةَ أشهرٍ وثَمانيةَ عشَرَ يومًا ، ثُمَّ أُخرج من السجن بعد ذلك ، وعاد إلَى ما كان عليه من الاشتغال بالعلم والتعليم .

---

(١) راجع قضية الطلاق فِي كتاب « حياة شيخ الإسلام ابن تيميَّة » لُمحمد بَهجة البيطار (٥١) ؛ ففيه إسهابٌ مُجملٌ لِهذه القضية والرد عليها .

(٢) مُحمد بَهجة البيطار « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » (٣٤) .

ولَمَّا ورد أمرٌ بسَجنه بقَلعةِ دمشق ، أظهرَ السرور بذلك ، وقال : «إنِّي كنتُ منتظرًا ذلك ، وهذا فيه خيرٌ عظيم» .

□ ونَقل عنه وارثُ علومه العلاَّمةُ ابنُ قيِّم الجوزية -الذي حُبس فِي قلعة دمشقَ معه- فِي كتابه «الوابل الصيِّب من الكَلِم الطيِّب» أنه قال : «ما يصنعُ أعدائي بِي ! أنا جنَّتِي وبستانِي فِي صدري ، أين رحتُ فهي معي لا تفارقُنِي ، أنا حبسي خَلوةٌ ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة» .

□ وكان يقول فِي مَحبَسِه فِي القلعة : «لو بذلتُ مِلءَ هذه القلعة ذهبًا ما عَدَل عندي شكرَ هذه النِّعمة» .. أو قال : «ما جزيتُهم على ما تسبَّبوا إلَيَّ فيه من الخير» .. ونَحو هذا .

□ وكان يقولُ فِي سجوده -وهو مَحبوس-: «اللهمَّ ، أعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، ما شاء الله» .

□ قال ابن القيِّم : «وقال لِي مرةً : المَحبوسُ مَن حُبس قلبُه عن ربِّه ، والمأسورُ مَن أَسَره هواه» .

□ ولَمَّا أُدخل ووصل إلَى القلعة وصار داخل سورها ، نظر إليه ، وقال[1]: « ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣] » .

---

(١) «ابن تيمية» لِمحمد يوسف موسى (١٠٩) ، وانظر : «مرآة الجنان» عبدالله اليافعي (ج٤ - بيروت ١٩٧٥) . و«الأعلام العلية» و«الرد الوافر» .. وهُما من تَحقيق زهير الشاويش - طبع المكتب الإسلامي ، (٢٧٧) .

ويَذكرُ ابن القيِّم أنه كَتب بفَحْمٍ يقول : إن إخراجَ الكتبِ من عنده من أعظم النِّقَم .. وكان السلطانُ رَسَم بِحرمانه من الكتب وأدوات الكتابة ، فأخرجوا فِي تاسعِ جُمادى الآخرة من هذا العام كلَّ ما عنده من الكتب والأوراق والدَّواة والقلم ، وبذلك مُنع من الكتابة والمطالعة ، وزاد إقبالُه على التلاوة والعبادة والتهجد حتَّى أتاه اليقين .

«قولُوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يومُ الْجَنائز» :

ماتَ ابنُ تيميَّة -رحمه الله- وقد ختمَ القرآن إلَى أن وصل إلَى قول الله تعالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٤ ، ٥٥] .

وأخيرًا .. آنَ لابنِ تيميَّة العابدِ العالِمِ المُجاهد أن يلقَى ربَّه .. آن له أن ينطلقَ من سِجنه ، وأن يرتاحَ من خصومه ، وأن يترك الدنيا ومتاعَها .. فكانت وفاتُه ليلةَ الإثنين العشرين من شهر ذي القَعدة سنةَ (٧٢٨هـ - ١٣٢٧م) وهو لا يزال فِي سجنه بقلعةِ دمشق .

وكان مَشهدُ تشييعه إلَى المقرِّ الأخير أمرًا عظيمًا ، فقد تزاحم الناسُ على جنازته ، وعَلتِ الأصواتُ بالبكاء والنَّحيب والثناء عليه والدعاء له ، ولَم تَصلِ الجنازةُ إلَى مستقرِّها إلاَّ وقتَ العصر[1].

دخلت جنازةُ الإمام جامع بنِي أُميَّة ، وصُلِّي عليه ، ولَم يَبْقَ فِي دمشقَ مَن يستطيعُ المَجيءَ للصلاة عليه إلاَّ حضرَ ذلك ، حتَّى غُلِّقتِ الأسواقُ

(١) «ابن تيمية» لِمحمد يوسف موسى (١١٠) .

بدمشق ، وعُطِّلَت معايشُها حينئذٍ ، وحَصل للناس بِمُصابه أمرٌ شَغَلهم عن غالبِ أمورهم وأسبابِهم ؛ وخرج الأمراءُ ، والرؤساء ، والعلماء ، والفقهاء ، والأتراك ، والأجناد ، والرِّجال ، والنساء ، والصبيان من الخواصِّ والعوام .

▫ قال بعضُ من حضر : (لَم يتخلَّفْ -فيما أعلمُ- إلاَّ ثلاثةُ أنفُسٍ كانوا قد اشتُهروا بِمُعاندته ، فاختفَوا من الناس خوفًا على أنفسهم ، بِحيث غَلب على ظنِّهم أنَّهم متَى خرجوا رجَمهمُ الناس) .

واتَّفق جَماعةٌ مِمَّن حضر وشاهَدَ الناسَ والمصلِّين عليه أنَّهم يَزيدون على نَحوٍ من ستِّينَ ألفًا -إلَى أكثر من ذلك-، وحضرها نساءٌ كثيرٌ ، بِحيثُ حُزِرْنَ بِخمسةَ عشَرَ ألفًا[1].

وكانت جنازةُ شيخِ الإسلام ابن تيميَّة فِي ضخامتها ثانِيَ جنازةٍ فِي التاريخ الإسلاميِّ بعد جنازة الإمام أحْمد ..

وليس السَّجنُ حبسَ الجسمِ قهرًا فذا أُنْسٌ بربٍّ العالَمينَا

سجينٌ مَن نأى عن شَرعِ ربِّي سجينُ الرُّوح عن هَدىِ الأمينَا

حادي الأرواح إلَى بلاد الأفراح : الإمامُ ابنُ قيِّم الْجَوزيَّة :

لقد كان هذا الإمامُ العظيمُ إمامًا فِي السُّنة والاتباع ، ثائرًا على التقليد ، «يُندِّدُ بالمقلِّدة ، ويَنعَى عليهم حظَّهم من العلم ، ويعقدُ مَجالسَ المناظرة بين

(١) انظر «البداية والنهاية» (١٤/١٣٥ ، ١٣٦) ، «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» (١٧٣) ، «ابن تيمية والصوفية» لِمحمد أحْمد درنيقة وسوهام توفيق المصري - مكتبة الإيْمان - طرابلس .

المقلّد وصاحبِ الحُجَّةِ -فِي كُتبه-، ويصفُه[1] بأنه بدعةٌ ، وأنه من المُحدَثات بعدَ خير القرون ، وقد عالَجَ هذه القضيةَ فِي كتبه فِي مناسباتٍ كثيرة ، وقد بَسط الحديثَ عن أحكام الاجتهاد والتقليد فِي كتابه «إعلام الموقِّعين» فِي أكثرَ من مِئة صحيفةٍ .

وابنُ القيم -رحِمه الله- لَم يَصِلْ فِي هذا إِلَى حظيرةِ المتهوِّرين الذين أَزرَوْا بالأئمة الأربعة وأصحابِهم ، كمتطرِّفِي الظاهريَّة -ومن نَحا نَحوهم-، فردُّوا بدعةَ التقليد ببدعةِ الإزراء بالسَّلف واقترافِ إثْمه وجُرمه .

ولَم يكن أيضًا من أولئك الذين أشقاهم التعصُّبُ ، وأصمَّهم وأعمى أبصارَهم عن نور الوَحيَين -الكتاب والسُّنة-، حتَّى بلغ بِهمُ الْهَوَس ردًّا لِمذهبٍ بِمذهبٍ آخرَ ، وأبدَوا من غرائب المواقف والتراشُق ما يكون سُبَّةً وعارًا فِي تاريخ المسلمين ، ولكنه -رحِمه الله- أخذ بالطريق الأوسط ، وهو بعبارةٍ مُختصرةٍ : «**مناشدةُ الدَّليل مع احترامِ الأئمَّة**» .

□ يقول فِي «إعلام الموقِّعين» (٤/١٧٧) : (كثيرًا ما تَرِدُ المسألة نعتقدُ فيها خلافَ المذهب[2]، فلا يسعُنا أن نفتِيَ بِخلاف ما نعتقدُه ، فنَحكي المذهبَ الراجحَ ونرجِّحه) .

□ وقال : (معرفةُ المذهب شيءٌ ، والتقليدُ له شيءٌ آخر .. فالمعرفةُ مع الانقياد للدليل هو منهجُ أصحاب الأئمَّة ، وهو مقامُ مدحٍ لا مقامُ ذمٍّ ، بِخلاف التقليدِ بلا دليل)[3].

---

(١) أي : التقليد . (٢) يقصد مذهبه الحنبليَّ .

(٣) «ابن القيم ، حياته وآثاره» لبكر بن عبدالله أبو زيد (٤٤ ، ٤٥) .

وقد أُوذي ابنُ القيم بسبب مُجاهدته لنشرِ عقيدة السلف ، ومُحاولة ردِّ الخَلَفِ إِلَى طريق السلف ، فحُبس مدَّةً لإنكاره شدَّ الرِّحالِ إِلَى قبرِ الخليل[١]، وسُجن بسبب فتاويه القائمةِ على الدليل ، كمسألة الطلاق الثلاث بلفظٍ واحد ، فقد تصدَّى للفتوى بِهذه المسألة على وفق اختيارِ شيخه ابن تيمية ، وعامَّةُ أهل الأرض مُطبِقون على أن طلاقَ الثلاثِ بلفظٍ واحدٍ يُعتبَرُ ثلاثًا لا واحدةً .

فرَحِم اللهُ مَن سُجن لكسر سلطانِ التقليد ، وانتصرَ للدليل ردًّا للأُمَّةِ إِلَى كتاب الله وسُنَّةِ رسولِه ﷺ .

وابنُ القيم -رحِمه الله تعالَى- في فاتِحة كتابه « إعلام الموقِّعين » يَذكرُ انعقادَ الإجْماع -خَلَفًا وسلفًا- على وجوب الردِّ إِلَى الله ورسولِه ، وأنَّ التقليدَ مع ظهور الدليل حُكمُه التحريم ، والمُقلِّدَ الأعمى خارجٌ عن زُمرةِ العلماء، ويَنعَى حالَ عصره ، وما ينالُ مَن قام بِهذا الشأن من الكيدِ والأذى .

□ فيقول -بعد امتداحه لِحال الصحابة ﷺ-: (ثُمَّ خَلَف من بعدهم خُلوفٌ فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا ، كلُّ حزبٍ بِما لديهم فرحون ، وتقطَّعوا أمرَهم بينهم زُبُرًا[٢]، وكلٌّ إلينا راجعون ، جَعلوا التعصُّبَ للمذاهب ديانتَهم التي بِها يَدينون ، ورؤوسَ أموالِهم التي بِها يَتَّجرون .. وآخرون منهم قَنعوا بِمَحْضِ التقليد وقالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

---

(١) فائدة : ذكر العلاَّمة بكر أبو زيد في «تصحيح الدعاء» (١٠١) : أنه لا يُعلم علي وجه الأرض قبر نبيٍّ إلاَّ نبيِّنا مُحمدًا ﷺ .

(٢) أي : فِرَقًا وقطعًا .

والفريقان بمَعزِلٍ عمَّا ينبغي اتباعُه من الصواب ، ولسانُ الحق يتلو عليهم : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قال أبو عُمرَ -ابن عبدالبرِّ- وغيرُه من العلماء : « أجْمع الناسُ على أن المقلَّدَ ليس معدودًا من أهل العلم ، وأنَّ العلمَ معرفةُ الحقِّ بدليله » .

وهو كما قال أبو عمر -رحِمه الله تعالَى-، فإنَّ الناسَ لا يَختلفون أن العلمَ هو المعرفةُ الحاصلةُ عن الدليل .. وأمَّا بدون الدليل ، فإنَّما هو تقليدٌ .

فقد تضمَّن هذان الإجْماعان[١]: إخراجَ المتعصِّبِ بالهوى والمقلِّدِ الأعمى عن زُمرة العلماء ، وسقوطَهما باستكمال مَن فوقهما ورَاثةَ الأنبياء ، (**فإنَّ العلماء هم ورثةُ الأنبياء ، فإنَّ الأنبياء لَم يُورِّثوا دينارًا ولا درهَمًا ، وإنَّما ورَّثوا العلم ، فمَن أخذه أخذَ بِحظٍّ وافرٍ**)[٢].

وكيف يكونُ مِن ورثة الرسول مَن يَجهَدُ ويكدحُ فِي ردِّ ما جاء به إلَى قولِ مُقلَّدِهِ ومتبوعه ، ويُضيِّعُ ساعات عمره فِي التعصب والهوى ، ولا يشعرُ بتضييعه ؟!!.

تالله إنَّها فتنةٌ عَمَّتْ فأعمَتْ ، ورَمَتِ القلوبَ فأصمَّتْ ، رَبَا[٣] عليها الصغير ، وهَرِمَ فيها الكبير ، واتُّخذ لأجلها القرآنُ مهجورًا ، وكان ذلك بقضاءِ اللهِ وقَدَره فِي الكتاب مسطورًا .

---

(١) **فالإجماع الأول** : أن المُقلَّدَ ليس عالِمًا .. والإجماعُ الثانِي : أن الحقَّ يُعرف بدليله .

(٢) **صحيح** : رواه أحْمد والأربعة وابن حبان ، وصحَّحه الشيخ الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (٦٢٧٩) .

(٣) أي : كَبِر .

ولَمَّا عمَّتْ بِها البلية ، وعظُمت بسببها الرَّزِيَّة ، بحيث لا يَعرفُ أكثرُ الناس سواها ، ولا يَعتبرون العِلمَ إلاَّ إيَّاها ، فطالبُ الحقِّ من مظانِّه لديهم مفتون ، ومُؤثِره على ما سواه عندهم مَغبون ، نَصَبوا لِمَن خالفهم فِي طريقتهم الحبائل ، وبَغَوا له الغوائل[1] ، ورَمَوه عن قوسِ الجهل والبغي والعناد ، وقالوا لإخوانِهم : إنَّا نَخافُ أن يُبدِّلَ دينَكم أو أن يُظهِرَ فِي الأرض الفساد .

فحقيقٌ بِمَن لنفسه عنده قَدْرٌ وقيمةٌ ألاَّ يلتفتَ إلَى هؤلاء ، ولا يرضَى بِما لديهم ، وإذا رُفع له عَلَمُ[2] السُّنة المُحمَّدية شَمَّر إليه ، ولَم يَحبِسْ نفسه عليهم .. فما هي إلاَّ ساعةٌ حتَّى يُبَعْثَرَ ما فِي القبور ، ويُحَصَّلَ ما فِي الصُّدور ، وتتساوى أقدامُ الخلائق فِي القيام لله ، وينظرُ كلُّ عبدٍ ما قدَّمت يداه ، ويقعُ التمييزُ بين المُحقِّين والمُبطِلين ، ويَعلمُ المعرِضون عن كتاب ربِّهم وسُنَّةِ نبيِّهم أنَّهم كانوا كاذِبِين) .

فرَحِم الله ابنَ القيِّمِ ، لقد كان -مع ما ناله فِي هذا السبيل- رابطَ الجأش ، ثابتَ الْجَنان كالْجَبلِ الأشمِّ[3] ، لا تؤثِّرُ فيه العواملُ من الرياح والأمطار والمناخ ، ولا تَثنيه عن مسلكِ الحق وقَوْلَة الحق ، ويَرى أن هذا كلَّه طَيشٌ وسَفَه ، لا يلبثُ أن يذوبَ ويتفرَّقَ شأنَ الباطل ، ولا يؤثِّرُ إلاَّ على مَن فِي عقله ضَعفٌ وفِي دِينه ذِلَّةٌ .

---

(١) الغوائل : الشرور .

(٢) العَلَم : الجَبَل .

(٣) الأشم : العالي .

□ وفي ذلك يقول : (مَن في عقله ضعفٌ : تؤثِّرُ فيه البَداءات ، ويُستفزُّ بأوائلِ الأمور ، بخلاف الثابتِ التامِّ العاقل ، فإنه لا تستفزُّه البَداءات ، ولا تُزعِجُه ولا تُقلقُه ، فإنَّ الباطل له دهشةٌ وروعةٌ في أوله ، فإذا ثَبت له القلبُ ردَّه على عَقِبَيه .. واللهُ يُحبُّ من عبدِه الحلمَ والأناة ، فلا يَعْجَل ، بل يَثبُتُ حتَّى يعلمَ ويستيقنَ ما ورد عليه ، ولا يعجلَ بأمرٍ قبل استحكامه ، فالعَجَلةُ والطَّيشُ من الشيطان ، فمَن ثَبت عند صَدْمة البَداءات ، استقبلَ أمرَه بعلمٍ وحزمٍ ، ومَن لَم يثبُتْ لَها استقبلَه بعجلةٍ وطَيشٍ وأعْقبَتْه النَّدامة .

وعاقبةُ الأولِ حَمدُ أمره ، ولكنْ للأول آفةٌ متَى قُرنت بالحزم والعزم نَجا منها ، وهي الفَوتُ ؛ فإنه لا يَخافُ من التثبيت إلاَّ الفوت ، فإذا اقترن به العزمُ والحزم تَمَّ أمرُه)[1] .

ولقد تَمَّ الأمر –ولله الحمد– للشيخ ابن القيم –رحمه الله تعالَى–، فقد أرسى سفينةَ النجاة على شاطئِ السلامة تَحملُ النورَ والهُدى ، وكسرَ المقلِّدةَ المتعصِّبة ومَن نَحا نَحوهم ، فذابت العَصبيَّةُ المذهبيَّةُ في الطريق الأثريَّة ؛ فصحَّحت المَفاهيم ، وأخذ يَدُبُّ في الناس رُوحُ الأخذِ بالدليل ، **مع احترام الأئمَّة السَّالفين** ، بل هو مَسلكُهم وكريمُ منهجهم ، وما زال هذا يدُبُّ في كلِّ عهدٍ ومَهد حتَّى أيامنا هذه ، بل في هذه الأيامِ والأزمان الحاضرة ، لَم يَجد الناسُ بُدًّا من ذلك المنهجِ السَّويِّ والمَشْرَعِ الرَّويِّ ؛ لأنه هو الذي يتمشَّى ووقائعَ العصر ونوازلَه ، فعاد أعداءُ المدرسة الأثريَّةِ لَها أصدقاءَ ، والحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالِحات .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١٥٤) .

ولقد كان الاعتمادُ على الأدلة من الكتاب والسُّنة أبرزَ خصائصِ المدرسة السلفِيَّة التِي قام بنشرها ابنُ القيم -رحِمه الله تعالَى- على أنقاضِ الردِّ إلَى مَحضِ الآراء ومُستبعَدِ الأقيسة وفاسدِ التأويل .

فابنُ القيم -رحِمه الله تعالَى- يُبرِزُ الأدلةَ من الكتاب والسُّنة ، ويَستنبطُ الأحكامَ الشرعيَّة منها بأسلوبٍ سهلٍ مبسَّط[1]، خالٍ من التعقيدِ بنوعَيه -اللفظيِّ والمعنويِّ-، متطلِّبًا نشرَ التشريع وبثَّ التوجيه ردًّا إلَى الله ورسوله ، وإلَى أن يَرِدَ الناسُ منابعَ الشريعةِ الأولَى خاليةً من كلِّ وَضَرٍ[2]، خالصةً من كلِّ شائبة .

وهذا منهجٌ أصيلٌ فِي عامَّةِ كُتبه ومَباحثه ، لا أُرانِي مضطرًّا إلَى سياق مواضعَ من كلامِه للتدليل عليه .

لكنِّي أَرانِي مضطرًّا إلَى نقلِ طائفةٍ من كلامه فِي احترامِ الأدلة من الكتاب والسنة وأقوالِ سلفِ الأُمَّة ، والتنديدِ بمَن أعرض عن هذا وخالَفه ، لمخالفته أمرَ اللهِ ورسولِه ﷺ ؛ لأن هذا هو الذي يُشكِّلُ التقعيدَ والتأصيلَ لِمنهج ابنِ القيِّم رائدِ المدرسة السلفيَّة .. ومن ذلك ما يلي :

□ قال فِي مَقامِ الأدب مع النَّبِيِّ ﷺ : (ومن الأدب معه ﷺ ألاَّ يُستشكَلَ قولُه ، بل تُستشكَلُ الآراءُ لقوله ، ولا يُعارَضُ نصُّه بقياسٍ ، بل تُهدَرُ الأقيسةُ وتُلغَى لنصوصه ، ولا يُحرَّفُ كلامُه عن حقيقتِه لِخيالٍ يُسمِّيه

---

(١) كلمة (مُبسَّط ، وبسيط ..) ومشتقاتها .. إن كان المقصودُ منها : الأمر اليسير .. فهو خطأ لُغوي ؛ لأن البَسْط معناه الامتداد والاتساع .

(٢) الوَضَر : القَذَر والوَسَخ .

أصحابُه معقولاً .. نعم ، هو مَجهول ، وعن الصواب معزول .. ولا يُوقَفُ قبولُ ما جاء به ﷺ على موافقةِ أحدٍ ، فكلٌّ هذا من قِلّةِ الأدب معه ﷺ ، وهو عينُ الجُرأة)[١].

ويقرِّرُ ابنُ القيِّم فِي « مدارج السالكين » بَحثًا مُمتعًا لطيفًا فِي وجوب إذعانِ المسلم وتواضعِه للدليل ، وحُرمةِ المعارضةِ والمخالفة ، أسوقُه بطوله لنفاسته .

▫ فيقول -رحِمه الله تعالَى-: (التواضعُ للدِّين هو الانقيادُ لِمَا جاء به الرسولُ ﷺ ، والاستسلامُ له ، والإذعانُ .. وذلك بثلاثةِ أشياء :

الأول : ألاَّ يُعارِضَ شيئًا مِمَّا جاء به بشيءٍ من المعارضات الأربعة الساريةِ فِي العالَم ، المسمَّاة : « بالمعقول ، والقياس ، والذَّوق ، والسياسة » .

- فالأول : للمنحرفِين أهلِ الكِبْر من المتكلِّمين ، الذين عارَضوا نصوصَ الوحي بِمعقولاتِهمُ الفاسدة ، وقالوا : إذا تعارضَ العقلُ والنقل ، قدَّمْنا العقل وعَزَلْنا النقل ، إمَّا عزلَ تأويلٍ ، وإمَّا عزلَ تفويضٍ[٢] .

---

(١) انظر للفائدة كتاب شيخنا مُحمَّد إسْماعيل المقدم : (الإعلام بِحُرمة أهل العلم والإسلام) ، ص (١٣١) فما بعد .

(٢) مذهبُ التفويض من أخبثِ وأخطر المذاهب على قلوب وعقولِ أهل الإيْمان .. وهو فِي الحقيقة إنكارٌ لما جاء من عند الله تعالَى ، بِحيث يأتِي المُفوِّضُ إلَى النصوص العقدية -ولا سيَّما الصفات منها-، ويزعمُ أن السلامة : (ألاَّ نثبتَها ولا ننكرَها) ، بل نقول : لا نعلمُ معناها ، ونفوِّضه إلَى الله سبحانه .. وهذا خلافُ مذهب السلف فِي إثبات النصوص (بِمعناها) المعلوم ، مع عدم الخوض فِي (كيفيتها) .

- والثانِي : للمتكبِّرين من المنتسبين إلَى الفقه ، قالوا : إذا تعارضَ القياسُ والرأيُ والنصوص ، قدَّمْنا القياسَ على النصِّ ، ولَم نلتفتْ إليه .

- والثالث : للمتكبِّرين المنحرِفين من المنتسبين إلَى التصوُّف والزهد ، فإذا تعارض عندهم الذَّوقُ والأمرُ ، قدَّموا الذوقَ والحال ، ولَم يَعبؤوا بالأمر .

- والرابع : للمتكبِّرين المنحرِفين من الولاة والأمراء الجائرين ، إذا تعارضت عندهم الشريعة .

فهؤلاء الأربعةُ هم أهلُ الكبر .. والتواضعُ : التَّخلُّصُ من ذلك كلِّه .

الثانِي : ألاَّ يَتَّهم دليلاً من أدلةِ الدين ، بِحيث يظُنُّه فاسدَ الدلالة ، أو ناقصَ الدلالة ، أو قاصرَها ، أو أنَّ غيرَه كان أولَى منه .

ومتَى عَرَض له شيءٌ من ذلك ، فلْيَتَّهم فَهْمَه ، ولْيَعلمْ أنَّ الآفةَ منه ، والبليَّة فيه ، كما قيل :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفتُـــهُ من الفهـــمِ السَّقيمِ
ولكنْ تأخـــذُ الأذهـــانُ منه على قَدْرِ القَرَائـــحِ والفُهومِ

وهكذا فِي الواقع حقيقةٌ : أنه ما اتَّهم أحدٌ دليلاً للدِّين ، إلاَّ وكان المتَّهِمُ هو الفاسدَ الذهن ، المأفونَ فِي عقله وذهنِه ، فالآفةُ من الذهن العليل ، لا فِي نفس الدليل .

وإذا رأيتَ من أدلَّةِ الدِّين ما يُشكِلُ عليك ، وينبُو فهمُك عنه ، فاعلَمْ أنه لعظمتِه وشرفِه استعصى عليك ، وأنَّ تَحته كنْزًا من كنوز العلم ، ولَم تُؤتَ مِفتاحَه بعدَ .. هذا فِي حق نفسك .

وأمَّا بالنسبة إلَى غيرك : فاتَّهِمْ آراء الرجال على نصوصِ الوحي ، وليكنْ ردُّها أيسرَ شيءٍ عليك للنصوص ، فما لَم تفعل ذلك ، فلستَ على شيءٍ ولو .. ولو .. وهذا لا خلافَ فيه بين العلماء .

قال الشَّافعيُّ -قدَّسَ اللهُ رُوحَه-: «أجْمع المسلمون على أن مَنِ استبانَت له سُنَةُ رسولِ الله ﷺ ، لَم يَحِلَّ له أن يَدَعها لقولِ أحدٍ» .

الثالث : ألاَّ يَجدَ إلَى خلافِ النصِّ سبيلاً البتَّة ، لا بباطنه ولا بلسانه ، ولا بفعله ولا بحاله ، بل إذا أحسَّ بشيءٍ من الخلاف ، فهو كخلاف المُقدمِ على الزِّنا ، وشُربِ الخمر ، وقتلِ النفس .. بل هذا الخلافُ أعظمُ عند الله من ذلك ، وهو داعٍ إلَى النفاق ، وهو الذي خافَه الكبارُ والأئمَّةُ على نفوسهم[(١)] .

واعلم أنَّ المخالفَ للنصِّ لقولِ متبوعِه وشيخِه ومُقلِّده ، أو لرأيه ومعقولِه وذوقِه وسياسته : إنْ كان عند الله معذورًا -ولا واللهِ ما هو بِمعذورٍ-، فالمخالف لقولِه -لنصوص الوحي- أولَى بالعُذر عند الله ورسوله وملائكته والمؤمنين من عباده .

---

(١) قال الإمام البخاري فِي «صحيحه» : (بابٌ : خوفُ المؤمن من أن يَحبَطَ عملُه وهو لا يشعر .. وقال إبراهيمُ التيميُّ : «ما عرضتُ قولِي على عملي إلاَّ خشيتُ أن أكون مكذِّبًا» ، وقال ابنُ أبِي مُليكة : «أدركتُ ثلاثين من أصحابِ النبيِّ ﷺ ، كلُّهم يَخافُ النِّفاقَ على نفسه ؛ ما منهم أحدٌ يقول : إنه على إيْمان جبريلَ وميكائيل» .. ويُذكر عن الحسن : «ما خافَه -أي النفاق- إلاَّ مؤمن ، ولا أَمِنه إلاَّ منافقٌ» .. وما يُحذَرُ من الإصرار على النِّفاق والعصيان من غير توبة ، لقول الله تعالَى : ﴿ ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾) .

فوا عجبًا إذَا اتَّسع بطلانُ المخالفِين للنصوص لعذرِ مَن خالفَها تقليدًا أو تأويلاً أو لغير ذلك ، فكيف ضاقَ عن عذرِ من خالف أقوالَهم وأقوالَ شيوخِهم لأجل موافقةِ النصوص ؟! وكيف نصبُوا له الحبائل ، وبَغَوه الغوائل ، ورَمَوه بالعظائم ، وجعلوه أسوأَ حالاً من أصحاب الجرائم ؟! فرمَوه بدائهم وانسلُّوا منه لِواذًا[١]، وقذفوه بِمُصابِهم ، وجعلوا تعظيمَ المتبوعين ملاذًا لَهم ومَعاذًا .. والله أعلم) .

نَهَج ابنُ القيم -رحِمه الله- فِي مسائلِ العلم منهجَ الاسترواح والتطلُّبِ من كتاب الله تعالَى -الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يدَيه ولا مِن خلفه-، ومن سُنَّةِ رسوله ﷺ -الذي لا ينطقُ عن الْهَوى-، فإنْ لَم يَجد أَخَذَ بأزمَّةِ أقوال الصحابة ﷺ ؛ لأنَّهم أبرُّ الأمةِ قلوبًا ، وأعمقُها دِينًا ، وأصحُّها فُهومًا .

وهذه صفةٌ بارزةٌ وسِمةٌ ظاهرة فِي جَميع مباحثه فِي العقائد والأحكام .

ولِهذا أفاض -رحِمه الله- بالاستدلال بِهذا الأصل ، ووجوب الأخذ به ، والعمل بِموجِبه من ستةٍ وأربعين وجهًا ، بسطها فِي «إعلام الموقِّعين»[٢].

❁ مَدى تأثُّره بابن تيميَّة :

إنَّ المدرسةَ السلفيَّة التي جدَّد بناءَها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية بِما ملأَ الأسماع ، وصار حديثَ أهلِ الإسلام فِي شتَّى الأقطار ، وبِما آتاه اللهُ من المواهب النادرة ، والتفنُّنِ فِي علوم الإسلام -وابنُ القيم يسمعُ ويرى ويُعايشُ

---

(١) لواذًا : خُفيةً .

(٢) «إعلام الموقعين» (١٢٣/٤ : ١٥٦) .

هذا الاتِّجاهَ الفكريَّ الانقلابِيَّ على التقليد ، والطائفيَّة ، والمذاهبِ الكلاميَّة ، والتخبُّطات العقائدية ، رجوعًا بالأُمَّة إلَى ما كان عليه السلفُ الصالِح ، وردًّا لكلِّ نزاعٍ فِي ذلك إلَى الله والرسول-: كلُّ ذلك لابدَّ أن يكون له فِي نفوسِ المتعلِّمين الأثرُ الكبير ، وابنُ القيم يعيشُ فِي مرحلة الطلب ، ولديه من الْهِمَّةِ والعلمِ والذكاءِ والأَلْمَعيَّة ما يُسيِّرُه إلَى الطريق السويِّ والمَشْرَعِ الرويِّ -بعد حلولِ العناية الربانيةِ فِي أعطافِ ما أعطاه الله من المواهب-، فما كان لابن القيم إذن أن ينفلتَ من ذلك التأثير ، فاتَّصل بشيخ الإسلام عامَ قدومه ، وثَنَى رُكبتَيه فِي حَلْقاتِ درسه ، لِينهلَ من معارفه وعلومِه ، وصَحِبَه فِي ذلك ستَّةَ عشَرَ عامًّا وهو يقرأُ عليه فنونَ العلم .

فصار لِهذه الصحبة والملازمةِ الطويلة الأثرُ البالغُ على ابن القيِّم فِي تكوين اتِّجاهه ، وتغذيةِ مواهبه ، وإشباعِ نَهْمتِه بعلومِ الكتاب والسُّنة والردِّ إلَى الله ورسوله ، حتَّى صار أبرعَ تلاميذه ، وأَلْمَعَهم نَجمًا ، وأجلاهم اسْمًا ، فلا يكادُ يُذكَرُ الشيخُ ابنُ تيميَّة ، إلاّ ويُذكرُ معه تلميذُه ابنُ قيِّم الجوزيَّة ، وسَرى نورُ هذين العَلَمين فِي آفاق المعمورة ، بسَعةِ العلم ، وأصالةِ الفكر ، والتجديد فِي دعوةِ الناس إلَى صراطِ الله المستقيم .

وقد اتَّفقت كلمةُ النَّقَلَة على أن تاريخَ اللقاء بينهما كان منذ سنة (٧١٢هـ) ، واستمرَّ إلَى أن مات [الإمام ابن تيميَّة] -رحِمه الله- سنةَ (٧٢٨هـ) .

وقد بَقِيَ ابنُ القيم -رحِمه الله تعالَى- ملازمًا له طيلةَ هذه المدَّة -أي طُوالَ ستةَ عشَرَ عامًا-، فأخذ عنه علمًا جَمًّا ، وتلقَّى فنونًا كثيرةً .

ومِن مآثِرِ شيخِ الإسلام ابنِ تيميَّة وأيادِيه البيضاء : توبةُ ابنِ القيم على يديه بعدَ اتصاله به ، وتأثُّره به فِي النَّهج السلفِي فِي الاعتقاد والاتباع .

ذكر ابن القيِّم -رحِمه الله تعالَى- فِي «النونيَّة» بعضَ ما يقوله الأشاعرةُ وغيرُهم فِي الصفات من التأويلات ، وبعضَ ما فِي كَتب النُّفاةُ من الطامَّات ، وبيَّن ضررَهم على الدين ، ومناهضتَهم لنصوص الكتاب والسنة .. ثُمَّ عقد فصلاً أعلن فيه أنه قد وقع فِي بعض تلك المهالك ، حتَّى أتاح له الإلهُ مَن أزال عنه تلك الأوهامَ ، وأخذ بيده إلَى طريق الحقِّ والسلامة ، وهو شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله تعالَى-.

□ وفِي إعلانه لتوبته على يديه يقول :

يا قَومُ -واللهِ العظيمِ- نصيحةٌ ... مِن مُشفِقٍ وأخٍ لكــم مِعوانِ
جَرَّبتُ هذا كلَّه ووقعتُ فِي ... تلك الشِّبــاكِ وكنتُ ذا طيرانِ
حتَّى أتــاح لِيَ الإلـــهُ بفضله ... مَن ليس تَجزيــهِ يَدِي ولِسانِي
فتًى أتى مـــن أرضِ حرَّانَ فيَا ... أهلاً بِمَن قـــد جـــاء من حرَّانِ
فاللهُ يَجزيهِ الـــذي هـــو أهلُه ... مِن جنَّة المــأوى مـــع الرِّضوانِ
أَخذَتْ يداه يديَّ وسار فلم يَرُمْ ... حتَّى أرانِـــيَ مَطْلَـــعَ الإيْمانِ
ورأيتُ أعـــلامَ المدينـــةِ حولَها ... نُزُلُ الْهُـــدى وعســـاكرُ القرآنِ
ورأيتُ آثـــارًا عظيمًـــا شأنُها ... مَحجوبةً عـــن زُمـــرةِ العُميانِ
ووردتُ كأسَ الماءِ أبيضَ صافِيًا ... حصبــاؤه كـــلآلـــئِ التِّيجانِ
ورأيتُ أكوابًـــا هنـــاك كثيـــرةً ... مِثــلَ النُّجـــومِ لـــواردٍ ظمآنِ

ورأيتُ حوضَ الكوثرِ الصافي الذي	لا زال يَشخَبُ فيه مِيزابان
مِيزابُ سُنَّتِهِ وقولُ إلَهِهِ	وهُما مَدى الأيامِ لا يَنيان
والناسُ لا يَرِدُونه إلاَّ مِن الـ	آلاف أفرادًا ذوو إيْمان
وَرَدُوا عِذابَ مناهلٍ أكرِمْ بِها	ووردتُم أنتمُ عذابَ هوان

فبيَّن أنه طاف المذاهبَ يبتغي الهدى والنور ، فما زاده ذلك التِّطوافُ إلا ظُلمةً وحُرقةً ، حتَّى هداه اللهُ تعالَى وتداركه بلُطفه ، فأخذ بزِمامِ الكتاب والسُّنة ، واستعصمَ بِهما عن المذاهب الكلاميَّة والمناهج الفلسفية .

□ وفِي ذلك يقول :

يا طالبَ الْحقِّ المبينِ ومؤثِرًا	عِلمَ اليقينِ وحُجَّةَ الإيْمانِ
اسْمَعْ مقالةَ ناصحٍ خَبِرَ الذي	عند الورى مُذْ شَبَّ حتَّى الآنِ
ما زال مُذْ عَقدتْ يداه إزارَه	قد شَدَّ مئزره إلَى الرَّحْمنِ
وتَخَلُّلُ الفَتَراتِ للعزماتِ أمـ	ـرٌ لازمٌ لطبيعةِ الإنسانِ
وتولُّدُ النُّقصانِ من فتراته	أوَ ليس سائرُنا بنِي النُّقصان !!
طافَ المذاهبَ يَبتغي نورًا ليهـ	ـدِيَهُ ويُنجيَه مِنَ النِّيرانِ
وكأنه قد طافَ يبغي ظُلمةَ اللـ	ـيلِ البَهيمِ ومذهبَ الحيرانِ
والليلُ لا يزدادُ إلاَّ قوَّةً	والصبحُ مقهورٌ بذا السُّلطانِ
حتَّى بدَتْ فِي سَيرِه نارٌ على	طَودِ المدينةِ مَطْلَعِ الإيْمانِ
فأتى لِيقبسَها فلم يُمكنْه معْ	تلك القيودِ مَنالُها بأمانِ
لولا تدارَكَه الإلهُ بلُطفِهِ	ولّى على العَقِبَينِ ذا نُكصانِ

لكنْ توقَّفَ خاضعًـــا متـــذلِّلاً مُستشعِرَ الإفــلاسِ مــن أثْمانِ

فأتاه جُنــدٌ حــلَّ عنه قيودَه فامتــدَّ حينئــذ لــه الباعانِ

واللهِ لــولا أن تُحَــلَّ قيودُه وتـــزولَ عنـــه رِبْقـــةُ الشيطانِ

كان الرُّقِيُّ إلــى الثُّريَّا مُصعِدًا مِن دونِ تلك النارِ في الإمكانِ

فرأى بتلك النــارِ آطامَ المديــ ــنةِ كالخيــامِ تشوفُها العينانِ

ورأى على طُرُقاتِها الأعلامَ قد نُصبت لأجــلِ السَّــالكِ الحيرانِ

ورأى هنــالك كــلَّ هادٍ مُهتدٍ يدعو إلــى الإيْمــانِ والإيقانِ

فهنــاك هنَّـــا نفسَــه متذكِّرًا ما قالــه المُشتــاقُ منــذ زمانِ

والمستهامُ على المَحبَّـــةِ لَم يَزَلْ حاشا لذِكرِكــمُ مــنَ النِّسيانِ

لو قِيل : ما تَهوى ؟ لقال مبادرًا : أهوى زيارتَكــم علــى الأجفانِ

تاللهِ إنْ سَمَــح الزمـــانُ بقُربكم وحَللتُ منكــم بالْمَحــلِّ الداني

لأُعَفِّرَنَّ الْخَــدَّ شكــرًا في الثرى ولأُكْحِلَــنَّ بتُرْبكــم أجفانِي

إنْ رُمتَ تُبصِرُ ما ذكرتُ فغُضَّ طر فًا عن ســوى الآثــارِ والقرآنِ

واترُكْ رســومَ الخَلــق لا تعبأْ بها في السَّعدِ ما يُغنيــكَ عن دَبرانِ

حَدِّقْ بقَلبِكَ في النصوص كمِثلِ ما قد حَدَّقوا في الــرأيِ طولَ زمانِ

وأكحِلْ جفونَ القلبِ بالوحيينِ واحـ ـــذرْ كُحلَهُــم يا كَثــرةَ العُميانِ

فاللهُ بيَّن فيهمــا طُــرُقَ الْهُدى لِعبــادِهِ فــي أحســنِ التِّبيانِ

لَم يُحــوِجِ اللهُ الخلائــقَ معهُما لِــخيــالِ فَلْتــانٍ ورأيِ فلانِ

فالوحيُ كــافٍ للــذي يُعنَى به شــافٍ لــداءِ جَهــالةِ الإنسانِ

وتفاوتُ العلمـــاءِ فـــي أفهامِهم للوحي فـــوقَ تَفَـــاوُتِ الأبدانِ
والجهـــلُ داءٌ قاتـــلٌ وشِفاؤه أمـــرانِ فـــي التـــركيب متَّفقان
نصٌّ مـــن القرآن أو مـــن سُنَّة وطبيـــبٌ ذاك العالِـــمُ الرَّبَّانِي
والعلمُ أقســـامٌ ثـــلاثٌ ما لَها من رابـــعٍ والْحـــقُّ ذو تِبيانِ
علمٌ بأوصـــافِ الإلـــه وفِعلِـــه وكذلـــك الأسْمـــاءُ للـــرَّحْمنِ
والأمرُ والنهيُ الذي هـــو دِينُه وجزاؤه يـــومَ الْمَعـــادِ الثاني
والكلُّ فِي القرآن والسُّنَنِ التِي جاءت عـــنِ الْمبعوثِ بالقرآن

يرحمُ اللهُ ابنَ القيم ، فقد امتُحن وأُوذي من أجلِ مناصرته لشيخه فِي ذات الله ، ومن أجلِ نُصرةِ السُّنَة والدليل .

□ يقول ابنُ رجب : (وقد امتُحن وأُوذي مرات ، وحُبس مع الشيخ تقيِّ الدِّين فِي المرةِ الأخيرة بالقلعة ، منفردًا عنه ، ولَم يُفرَجْ عنه إلاَّ بعد موتِ الشيخ)[١].

□ ويقول ابنُ حجر : (إنه اعتُقل مع ابن تيميَّة بالقلعة ، بعدَ أن أُهين وطِيفَ به على جَملٍ مضروبًا بالدِّرَّة ، فلمَّا مات أُفرج عنه)[٢].

وكما احتَفى بشيخه وعلومه حالَ حياته ، وأخلص فِي مَحبَّته وولائه ، فقد كان خليفتَه الراشدَ بعد وفاته ، فتَلقَّفَ رايةَ التجديد ، وثَبت على جادَّةِ التوحيد بنشرِ العلم ، وبردِّ الخَلَف إلَى مذهبِ السلف .

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/٤٤٨) .
(٢) «الدرر الكامنة» (٤/٢١) .

فاتَّسعت به دائرةُ المدرسة السَّلفيَّة ، وانتشر روَّادُها فِي كلِّ ناحيةٍ وصقْعٍ ، وكان من حفاوته بشيخه -شيخ الإسلام- أنْ دوَّن فِي ثنايا كتبه جُمَلاً من مواقفه ، وسؤالاته له ، وأسئلةِ غيره له ، وطائفةٍ من أحواله ومرائيه واختياراته ، مِمَّا لو استُلَّ من مؤلَّفات ابن القيم ، لظهر فِي مُجلَّدةٍ لطيفة ، تَرْفَلُ بعزيزِ الفوائد ولطائف العلم .. والله أعلم .

□ يقول الشَّوكانِي فِي «البدر الطالع» (٢/١٤٤ ، ١٤٥) -عن ابن القيِّم-: (ليس له على غيرِ الدليل مُعوَّلٌ .. وبالجملة فهو أحدُ مَن قام بنشر السُّنة ، وجَعل بينها وبين الآراءَ المُحدَثةِ أعظمَ جُنَّة ، فرحِمه اللهُ ، وجزاه عن المسلمين خيرًا) .

□ ويقول العلاَّمة صدِّيق حسن خان -عن ابن القيِّم-: (كان يتقيَّدُ بالأدلة الصحيحة ، معجبًا بالعمل بِها ، غيرَ مُصِرٍّ على الرأي) .

□ يقول الشيخ بكر أبو زيد : (وهذه أرضى العباراتِ وأسعدُها بالقبول ، لِمطابقتِها عينَ الواقع لِمَن كانت له دُربةٌ تامَّةٌ على مؤلَّفات ابنِ القيِّم ، ودرى ما فيها من العلم والفقه) .

□ يقول ابنُ القيم مبيِّنا أن اتِّباعَ السُّنةِ والقرآن طريقُ النجاة من النيران :

يا مَن يُريدُ نَجاتَه يوم الحساب ... مِن الْجحيـم ومُوقَـدِ النِّيرانِ
اتَّبِعْ رسولَ الله فِي والأقوالِ الـ ... أعمالِ لا تَخـرُجْ عـن القُرآنِ
قَدِّرْ رسولَ الله عندك وحدَه ... والقولُ منـه إليـك ذو تِبيانِ
ماذا تـرى فرضًـا عليك مُعيَّنًا ... إنْ كنتَ ذا عقـلٍ وذا إيْمانِ :

عَرضُ الذي قالوا على أقواله ... أو عكسُ ذاك ؟ فذلك الأمرانِ
هي مَفرِقُ الطرقاتِ بين طريقنا ... وطريقِ أهـلِ الزَّيـغ والعُدوانِ
قَدِّرْ مقـالاتِ العبـادِ جَميعهم ... عُدْمًا وراجـعْ مَطْلَـعَ الإيْمانِ
واجعلْ جلوسَك بين صَحبِ مُحمَّد ... وتَلَقَّ معهـم عـنه بالإحسانِ
وتَلَقَّ عنهـم مـا تَلقَّوه هـم ... عنـه مـن الإيْمـانِ والعرفانِ
أفليس فِي هـذا بـلاغُ مسافرٍ ... يبغي الإلـهَ وجَنَّـةَ الْحيوانِ ؟!
فلأيِّ شيءٍ يعـدلُ الباغي الهدى ... عن قوله لـولا عَمَى الخُذلانِ !
فالنَّقلُ عنـه مصـدَّقٌ والقولُ من ... ذي عصمـةٍ ، مـا عندنا قولانِ
والعكسُ عند سواه فِي الأمرين يا ... مَن يهتدي هل يستوي الثَّقلانِ ؟!
تاللهِ قد لاحَ الصبـاحُ لِمَن له ... عَينانِ نَحـوَ الفجـرِ ناظرتانِ
وأخو العَمَايـةِ فِي عمـايته يقو ... لُ الليلُ بعدُ أيستوي الرَّجُلانِ ؟!
تاللهِ قد رُفعت لـك الأعلامُ إنْ ... كنتَ المشمِّـرَ نلـتَ دارَ أمانِ

□ ويقولُ ابنُ القيم ناصحًا باتِّباع السُّنة فِي « نونيَّته » :

يا مَن تَعِـزُّ عليهـم أرواحُهم ... ويَرَون غَبْنًـا بيعَهـا بهَوانِ
ويَرَون خُسرانًـا مُبِينًـا بيعَها ... فِي إثرِ كـلِّ قبيحـةٍ ومُهانِ
ويَرَون ميـدانَ التسابـقِ بارزًا ... فيُتـاركـون تَقَحُّـمَ الْميدانِ
ويَرَون أنفـاسَ العبـادِ عليهم ... قد أُحصيت بالعـدِّ والحُسبانِ
ويَرَون أن أمامَهـم يـومَ اللِّقا ... لِلَّـه مسألتـان شاملتـانِ :
ماذا عبدتُم ؟ ثُمَّ ماذا قد أجبـ ... ـتُم مَن أتى بالحقِّ والبرهانِ ؟
هاتُوا جوابًـا للسـؤال وهَيِّؤوا ... أيضًـا صوابًـا للجـواب الثانِي

وتيقَّنوا أنْ ليس يُنجيكم سوى ... تَجريدكم لِحقائقِ الإيْمانِ
تَجريدُكم توحيدَه سبحانه ... عن شِرْكَةِ الشيطانِ والأوثانِ
وكذاك تَجريدُ اتِّباعِ رسولِه ... عن هذه الآراء والْهَذَيانِ
واللهِ ما يُنجِي الفتَى من ربِّه ... شيءٌ سوى هذا بلا رَوَغانِ

□ ويتكلم ابنُ القيم -رحِمه الله- عن الفَرقِ بين أهل السُّنة وغيرهم ، فيقول فِي «النونيَّة» لِخُصوم أهلِ السُّنة :

والفَرقُ بينكمُ وبين خُصومكم ... مِن كلِّ وجهٍ ثابتٌ ببيانِ
ما أنتم منهمُ ولا هم منكمُ ... شَتَّانَ بين السَّعدِ والدَّبرانِ
فإذا دعَونا للقرآن دعوتُمُ ... للرأي ، أينَ الرأيُ من قرآن ؟!
وإذا دعَونا للحديث دعوتُمُ ... أنتم إلَى تقليدِ قولِ فلانِ
وكذا تلقَّيْنا نصوصَ نبيِّنا ... بقبولِها بالْحقِّ والإذعانِ
من غير تَحريفٍ ولا جحدٍ ولا ... تفويضِ ذي جهلٍ بلا عِرْفانِ
لكنْ بإعراضٍ وتَجهيلٍ وتأ ... ويلٍ تلقَّيتمْ مع النُّكرانِ
أنكرتُموها جُهدَكم فإذا أتى ... ما لا سبيلَ له إلَى نُكرانِ
أعرضْتُم عنه ولَم تستنبِطوا ... منه هُدًى لِحقائق الإيْمانِ
فإذا ابتُليتم مُكرَهينَ بسمعها ... فوَّضتموها لا على العرفانِ
لكن بِجهلٍ للذي سِيقَتْ له ... تفويضُ إعراضٍ وجهلُ مُعانِ
فإذا ابتُليتم باحتجاجِ خُصومِكم ... أولَيتُموها دفعَ ذي صَوَلانِ
فالجحدُ والإعراضُ والتأويلُ والتـ ... ـجهيلُ حظُّ النصِّ عند الجانِي
لكن لدينا حظُّه التسليمُ معْ ... حُسنِ القبول وفَهمِ ذي الإحسانِ

ولنا الحقيقةُ من كلامِ إلَهِنا ونصيبُكم منه الْمَجازُ الثاني
وقواطعُ الوحيينِ شاهدةٌ لنا وعليكم هل يستوي الأمران ؟!
وأدلةُ المعقول شاهدةٌ لنا أيضًا فقاضُونا إلى البُرهانِ
وكذاك فطرةُ ربِّنا الرَّحْمنِ شا هدةٌ لنا أيضًا شهودَ بيانِ
وكذاك إجْماعُ الصحابةِ والأُلَى تَبِعوهمُ بالعلمِ والإحسانِ
وكذاك إجْماعُ الأئمةِ بعدَهم هذا كلامُهم بكلِّ مكانِ
هذي الشهودُ فهل لَديكم أنتم من شاهدٍ بالنَّفي والنكرانِ ؟
وجنودُنا مَن قد تقدَّم ذِكرُهم وجنودُكم فعساكرُ الشيطانِ
وخيامُنا مضروبةٌ بمشاعرِ الـ ـوَحيَينِ من خبرٍ ومن قرآنِ
وخيامُكم مضروبةٌ بالتِّيه فالسُّـ ـكّانُ كلٌّ مُلدَّدٍ حيرانِ
هذي شهادتُكم على مَحصولِهم عند الْمماتِ وقولُهم بلسانِ
ولنا المسانِدُ والصِّحاحُ وهذه الـ ـسُّنَنُ التي نابت عن القرآنِ
ولكم تصانيفُ الكلامِ وهذه الـ آراءُ وهي كثيرةُ الْهَذَيانِ
شُبَهٌ يُكسِّرُ بعضُها بعضًا كبيـ ـتٍ من زجاجٍ خرَّ للأركانِ
هل ثَمَّ شيءٌ غيرُ رأيٍ أو كلا مٍ باطلٍ أو مَنطقِ اليونانِ ؟!
ونقولُ : قال اللهُ قال رسولُه في كلِّ تصنيفٍ وكلِّ مكانِ
لكن تقولوا : قال آرسطو وقا ل ابنُ الخطيب وقال ذو العرفانِ
شيخٌ لكم يُدعى ابنَ سينا لَم يكن متقيِّدًا بالدِّين والإيمانِ
وخيارُ ما تأتون : قال الأشعريُّ وتشهدون عليه بالبُهتانِ !
هذا ونَحن فتاركو الآراءِ للنَّـ ـقلِ الصحيحِ ومُحكَمِ الفرقانِ

لكنكم بالعكسِ قد صرَّحتُمُ ووضعتُمُ القانونَ ذا البهتان
وعرَضتُم قولَ الرسول على الذي قال الشيوخُ ومُحكَمَ الفُرقانِ
فالمُحكمُ النصُّ الْمخالفُ قولَهم لا يقبلُ التأويلَ في الأذهانِ
لكنما النصُّ المخالفُ قولَهم متشابهٌ متأوِّلٌ بمَعاني
لكنْ عَرَضْنا نَحنُ أقوالَ الشيو خِ على الذي جاءت به الوَحيان
ما خالفَ النَّصَّينِ لَم نَعبأْ به شيئًا وقلنا : وحَسْبُنا النَّصَّان
والمُشكِلُ القولُ الْمخالفُ عندنا في غايةِ الإشكالِ لا التِّبيان
هذي سبيلُكمُ وتلك سبيلُنا والموعدُ الرَّحْمنُ بعدَ زمان
وهناك يُعلَمُ أيُّ حزبَينا على الـ ـحقِّ الصريحِ وفِطرةِ الديَّان
فاصبرْ قليلاً إنَّما هي ساعةٌ فإذا أُصبتَ ففي رضى الرَّحْمنِ
فالقومُ مِثلُك يألمون ويَصبرو ن وصَبرُهم في طاعةِ الشيطان

◻ ويقولُ -رحمه الله- في كفاية النَّصَّين وجناية أعداء السُّنة عليهما :

وكفايةُ النَّصَّين مشروطٌ بتجـ ـريد التلقِّي عنهما لمُعان
وكذاك مشروطٌ بِخَلعِ قيودهم فقيودُهم غُلٌّ إلى الأذقان
وكذاك مشروطٌ بِهدم قواعدٍ ما أُنزلت ببيانها الوحيان
وكذاك مشروطٌ بإقدامٍ على الـ آراء إنْ عَريَتْ عنِ البُرهان
بالردِّ والإبطالِ لا تعبأُ بِها شيئًا إذا ما فاتَها النَّصَّان

◻ ثُمَّ يقولُ عن خصوم السنة مِمَّن ناصبوه وناصبُوا السُّنة العَداء :

هذا وإنِّي بعدُ مُمتَحَنٌ بأر بعةٍ وكلُّهم ذَوُو أضغان
فظٌّ غليظٌ جاهلٌ مُتمعلِمٌ ضخمُ العمامةِ واسعُ الأردان

مُتفيهقٌ متضلِّعٌ بالْجهلِ ذُو ضَلَعٍ وذُو جَلَحٍ من العرفانِ
مُزجَى البضاعةِ فِي العلوم وإنه زاجٍ من الإيهانِ والْهَذَيانِ
يشكو إِلَى اللهِ الْحقوقَ تظلُّمًا من جهلِه كشكايةِ الأبدانِ
مِن جاهلٍ متطبِّبٍ يُفنِي الوَرى ويُحيلُ ذاك على قضَا الرَّحْمنِ
أو حاسدٍ قد باتَ يَغلِي صدرُه بعَداوتِي كالْمرجَلِ الْمَلآنِ
لو قلتُ : هذا البحرُ ، قال مُكذِّبًا هذا السَّرابُ يكونُ بالقِيعانِ
أو قلتُ : هذي الشمس ، قال مباهتًا الشمسُ لَم تطلُعْ إِلَى ذا الآنِ
أو قلتُ : قال اللهُ قال رسولُه غَضِب الخبيثُ وجاء بالكتمانِ
أو حَرَّف القرآنَ عن موضوعه تَحريفَ كذَّاب على القرآنِ
صالَ النصوصُ عليه فهو بدفعها متوكِّلٌ بالدَّأبِ والدَّيدانِ
فكلامُه فِي النصِّ عند خلافه مِن باب دفعِ الصَّائلِ الطعَّانِ
فالقصدُ دفعُ النصِّ عن مدلوله كي لا يصولَ إذا التقى الزَّحفانِ
والثالثُ الأعمى المقلِّدُ ذَينكَ الـ ـرجلينِ قائدُ زُمرةِ العُميانِ
فاللعنُ والتكفيرُ والتبديعُ والتـ ـضليلُ والتفسيقُ بالعدوانِ
وإذا هم سألوه مستنَدًا له قال : اسْمعوا ما قاله الرَّجُلانِ
هذا ورابعُهم وليس بكَلبِهم حاشا الكلابَ الآكلي الأنتانِ
خنْزيرُ طبعٍ فِي خليقةِ ناطقٍ متسوِّفٌ بالكِذْبِ والبُهتانِ
كالكلبِ يتبعُهم يُمشمِشُ أعظُمًا يرمونَها والقومُ للُّحمانِ
يتفكَّهون بِها رخيصًا سعرُها ميتًا بلا عِوَضٍ ولا أثْمانِ
هو فضلةٌ فِي الناس لا علمٌ ولا دِينٌ ولا تَمكينُ ذي سُلطانِ

فإذا رأى شـرًّا تَحرَّك يبتغي ذكرًا كمثلِ تَحرُّك الثُّعبانِ
فبقاؤه فِي النـاس أعظمُ محنةٍ من عسكـرٍ يُعـزَى إلَى غازانِ
هذي بضاعةُ ضاربٍ فِي الأرض يَبـ ـغي تاجـرًا يُبتـاعُ بالأثْمانِ
وجدَ التُّجَّارَ جَميعَهم قد سافروا عن هـذه البُلـدانِ والأوطانِ
إلاَّ الصَّعافقـةُ الذيـن تكلَّفوا أنْ يتَّجـروا فينـا بـلا أثْمانِ
فهم الزُّبونُ لَهـا فبالله ارحَمُوا مَن بيعُـهُ مِـن مُفلسٍ مِدْيانِ
يا ربُّ فارزُقْهـا بِحقِّك تاجرًا قد طـاف بالآفـاقِ والبلدانِ
ما كـلُّ منقوشٍ لديـه أصفرٌ ذهبًـا يـراه خالـصَ العقيانِ
وكذا الزجاجُ ودُرَّةُ الغوَّاصِ فِي تَمييـزِهِ مـا إنْ هُمـا مِثلانِ

□ ويقول عمَّن يُبغض أهلَ الحديث -وهم أنصارُ هذا الدين-:

يا مُبغضًا أهلَ الحديث وشاتِمًا أبشِرْ بعَقـدِ ولايـةِ الشيطانِ
أوَ مَا علِمتَ بأنَّهمُ أنصارُ ديـ ـنِ اللـهِ والإيْمـانِ والقُرآنِ !
أو ما علمتَ بأن أنصـارَ الرسو لِ هم بلا شـكٍّ ولا نكرانِ !
هل يُبغِضُ الأنصـارَ عبـدٌ مؤمنٌ أو مُدرِكٌ لروائـحِ الإيْمانِ ؟!
شهِد الرسولُ بذاك وهي شهادةٌ من أصـدقِ الثَّقلَيـنِ بالبُرهانِ
أو مَا علمتَ بأن خَزرجَ دينِهِ والأوسَ هـم أبـدًا بكلِّ زمانِ !
ما ذنبُهـم إذ خالفـوك لقولِهِ ما خالفوه لأجـلِ قولِ فلانِ !
لو وافقـوك وخالفـوه كنتَ تشهدُ أنَّهم حقًّا أولـو الإيْمانِ !
لَمَّا تَحيَّزتُم إلَى الأشيـاخ وانـ ـحازوا إلَى المبعـوث بالقرآنِ
نُسبوا إليـه دونَ كـلِّ مقالةٍ أو حالـةٍ أو قائـلٍ ومكانِ

هذا انتسابُ أولِي التفرُّقِ نسـ ـبةً من أربعٍ معلومة التِّبيانِ

واللهِ ما يُنجيك مِن سجنِ الجحـ ـيم سوى الحديث ومُحكمِ القرآنِ

واللهِ ليس الناسُ إلاَّ أهلُه وسواهُمُ مِن جُملةِ الْحيوانِ

▫ ويقول -رحمه الله-:

واللهِ ما خوفِي الذنوبَ فإنَّها لعَلَى طريقِ العفوِ والغفرانِ

لكنَّما أخشَى انسلاخَ القلبِ من تَحكيمِ هذا الوحيِ والقُرآنِ

ورِضًى بآراءِ الرِّجالِ وخِرصِها لا كان ذاك بمِنَّةِ الرَّحْمنِ

فبأيِّ وجهٍ ألتقي ربِّي إذا أعرضتُ عن ذا الوحي طولَ زمانِ

وعزلتُه عمَّا أريدُ لأجله عزلاً حقيقيًّا بلا كِتمانِ !!

▫ ويقول ابنُ القيم فِي تعيُّنِ الْهجرتَين إلَى الله ورسوله :

يا قومُ فَرضُ الْهجرتينِ بحاله واللهِ لَم يُنسَخْ إلى ذا الآنِ

فالهِجرةُ الأولَى إلَى الرَّحْمنِ بالـ إخلاصِ فِي سرٍّ وفِي إعلانِ

والهجرةُ الأخرى إلَى المبعوث بالـ إسلام والإيْمانِ والإحسانِ

أترَون هذي هجرةُ الأبدان ؟ لا واللهِ بل هي هجرةُ الإيْمانِ

قَطعُ المسافةِ بالقلوب إليه فِي دَرَكِ الأصولِ مع الفروعِ وذانِ

أبدًا إليه حُكمُها لا غيرُه فالحكمُ ما حَكمَتْ به النَّصَّانِ

يا هجرةً طالت مسافتُها على مَن خُصَّ بالحرمانِ والخُذلانِ

يا هجرةً طالت مسافتُها على كسلانَ منخوبِ الفؤادِ جبانِ

يا هجرةً والعبدُ فوق فراشه سَبقَ السعادةَ لِمنزلِ الرِّضوانِ

رُفعت له أعلامُ هاتيك النصو صِ رؤوسُها شابت من النيرانِ

نارٌ هي النــورُ المبينُ ولَم يكن ليــراهُ إلاَّ مَــن لــه عَينانِ
مكحولتان بِمِــرْوَدِ الوحيينِ لا بِمــراودِ الآراءِ والـــهَذيــانِ
فلذاك شَمَّر نَحوهــا لَم يلتفت لا عــن شمائلــه ولا أيْمانِ
يا قومُ لــو هاجــرتُمُ لرأيتم أعــلامَ طَيبَــةَ رؤيــةً بعيانِ
ورأيتُم ذاك اللــواءَ وتَحته الرُّ سْــلُ الكــرامُ وعسكرُ القرآنِ
أصحابُ بــدر والأُلَى قد بايعوا أزكى البَريَّــة بَيعــةَ الرضوانِ
وكذا المُهاجرةُ الأُلَى سبقُوا كذا الــ أنصارُ أهــلُ الــدارِ والإيْمانِ
والتابعون لَهــم بإحســانٍ وسا لكُ هَديهــم أبــدًا بكلِّ زمانِ
لكن رضيتُم بالأمــانِي وابتُليــ ـــتم بالْحُظوظِ ونُصرةِ الإخوانِ
بل غرَّكم ذاك الغَرورُ وسَوَّلت لكم النفوسُ وســاوسَ الشيطانِ
ونبذتُمُ عسلَ النصوصِ وراءَكم وقَنعتـــمُ بقُـــطــارةِ الأذهانِ
وتركتمُ الوحيَيْــنِ زهــدًا فيهما ورَغبتُمُ فــي رأيِ كــلِّ فلانِ
وعزلتُمُ النَّصَّيْــنِ عمَّــا وُلِّيا للحُكم فيه عــزلَ ذي عُدوانِ
وزعمتُم أنْ ليــس يَحكمُ بيننا إلاَّ العقــولُ ومنطــقُ اليونانِ
فهما بِحكمِ الحــقِّ أولَى منهما سبحانَك اللهــمَّ ذا السُّبحانِ !
حتَّى إذا انكشفَ الغطاءُ وحُصِّلت أعمالُ هــذا الخَلــقِ فِي الميزانِ
وإذا انْجلى هــذا الغبــارُ وصارَ مَيدانُ السِّبــاقِ تنالُــه العينانِ
وبدت على تلك الوجوه سماتُها وَسْــمَ المَليــك القــادرِ الدَّيَّانِ
مُبيَضَّــةً مثــلَ الرِّيــاضِ بِجَنَّــةٍ والسُّــودُ مثــلُ الفحــمِ للنيرانِ
فهناك يعلــمُ راكــبٌ مــا تَحته وهناك يُقــرَعُ ناجــذُ الندمانِ

وهناك تَعلمُ كـلُّ نفسٍ ما الذي ... معهـا من الأربـاحِ والخُسرانِ
وهناك يَعلمُ مؤثِرُ الآراءِ والشـ ... ـطحـات والْهذيـانِ والبُطلانِ
أيَّ البضائـعِ قد أضاع وما الذي ... منها تَعـوَّضَ فِي الزمـان الفانِي

□ ويقول ابنُ القيم فيما أعدَّ اللهُ للمتمسِّكين بكتابه وسُنة رسوله ﷺ :

هذا وللمتمسِّكيـن بسُنَّـة الـ ... ـمُختارِ عند فساد ذي الأزمانِ
أجرٌ عظيمٌ ليـس يَقـدِرُ قَدْرَهُ ... إلاَّ الـذي أعطـاه للإنسانِ
فروَى أبو داود فِي سننٍ له ... ورواه أيضًـا أحْمـدُ الشَّيبانِي
أثرًا تضمَّنَ أجرَ خَمسينَ امرئٍ ... مِن صَحْبِ أحْمدَ خيرَةِ الرحْمنِ
إسنـادُهُ حسـنٌ ومصداقٌ له ... فِي مسلـمٍ فافهَمْـه بالإحسان :
إن العبـادةَ وقتَ هَـرْجٍ هجرةٌ ... حقًّا إلَيَّ وذاك ذو برهانِ
هذا فكم من هجرةٍ لك أيها السُّـ ... ـنِّيُّ بالتحقيـقِ لا بأمانِي
هذا وكم من هجرةٍ لَهمْ بما ... قال الرسولُ وجـاء فِي القرآنِ !
ولقد أتى مِصداقُهُ فِي الترمذيِّ ... لِمَـن لـه أُذُنـان واعيتانِ
فِي أجرِ مُحيي سُنة ماتت فذا ... ك مع الرسول رفِيقُه بِجنانِ[1]
هذا ومصداقٌ لـه أيضًا أتى ... فِي الترمـذيِّ لِمَـن له عَينانِ
تشبيـهُ أُمَّتـه بغيـثٍ أولٌ ... منـه وآخـرُهُ فمُشتبهانِ
فلذاك لا يَدري الذي هو منهما ... قد خُصَّ بالتفضيلِ والرُّجْحانِ
ولقد أتى فِي الوحي مِصداقٌ له ... فِي الثُّلَّتَين وذاك فِي القُرآنِ
أهلُ اليمين فثُلَّةٌ معْ مِثلِها ... والسابقون أقـلُّ فِي الْحُسبانِ

---

(١) الحديث فِي ذلك ضعيف .

ما ذاك إلاَّ أن تابعَهم هم الـ ـغرباءُ ليست غُربةَ الأوطان
لكنها -واللهِ- غربةُ قائمٍ بالدِّين بين عساكرِ الشيطان
فانظُرْ إلَى تفسيره الغرباءَ بالـ ـمُحيين سنَّته بكلِّ زمان
طوبَى لَهم والشوقُ يَحدوهم إلَى أخذ الْحديثِ ومُحكَمِ القرآن
طوبَى لَهم لَم يَعبؤوا بنجاسةِ الـ أفكارِ أو بزُبالةِ الأذهان
طوبَى لَهم رَكِبوا على مَتْنِ العَزا ئمِ قاصدينَ لِمَطْلَعِ الإيْمان
طوبَى لَهم لَم يعبؤوا شيئًا بذي الـ آراء إذ أغناهمُ الوَحيان
طوبَى لَهم وإمامُهم دُونَ الورى مَن جاءَ بالإيْمان والفُرقان
واللهِ ما ائتمُّوا بشخصٍ دونه إلاَّ إذا ما دَلَّهم ببيان
فِي البابِ آثارٌ عظيمٌ شأنُها أَعيت على العلماءِ فِي الأزمان
هذا وقد بَعُدَ المدى وتطاوَلَ الـ ـعهدُ الذي هو موجبُ الإحسان
ولذاك كان كقابضٍ جَمْرًا فسَلْ أحشاءَه عن حَرِّ ذي النِّيران
واللهُ أعلمُ بالذي فِي قلبه يَكفيه علمُ الواحدِ الْمَنَّان
فِي القلب أمرٌ ليس يَقدرُ قَدَرَهُ إلاَّ الذي آتاه للإنسان
بِرٌّ وتوحيدٌ وصبرٌ معْ رضًى والشكرُ والتحكيمُ للقرآن

□ ويقولُ شيخُ الإسلام ابنُ القيم مبيِّنًا نشأةَ الفرق الضَّالَّة وذمَّ السلف لَهم : (لَما أظلمتِ الأرضُ وبَعُد عهدُ أهلِها بنُور الوحي ، وتفرَّقوا فِي الباطل فِرقًا وأحزابًا ، لا يَجمعُهم جامعٌ ، ولا يُحصيهم إلاَّ الذي خلقهم ، فإنَّهم فَقدوا نور النبوة ، ورجعوا إلَى مُجرَّد العقول .. فأطْلَعَ اللهُ شَمسَ الرسالة فِي تلك الظُّلَم سِراجًا منيرًا ، وأنعم بِها على أهل الأرض -فِي

عقولِهم وقلوبِهم ومعاشِهم ومعادهم- نعمةً لا يستطيعون لَها شكورًا ، فأبصروا بنور الوحي ما لَم يكونوا بعقولِهم يُبصِرونه ، ورأوا فِي ضوء الرسالة ما لَم يكونوا بآرائهم يرَونه .. فمَضى الرعيلُ الأولُ فِي ضوءِ ذلك النور ، لَم تُطفِئه عواصفُ الأهواء ، ولَم تلتبس به ظُلَمُ الآراء ، وأوصَوا مَن بعدهم ألاَّ يفارِقوا النورَ الذي اقتَبسوه منهم ، وألاَّ يَخرجوا عن طريقهم .

فلمَّا كان فِي أواخر عصرهم حَدَثَت الشيعةُ والخوارجُ والقَدَريَّةُ والمرجئةُ ، فبَعُدوا عن النور الذي كان عليه أوائلُ الأئمَّة ، ومع هذا فلم يُفارقوه بالكليَّة ، بل كانوا للنصوص معظِّمين ، وبِها مستدلِّين ، ولَها على العقول والآراء مقدِّمين ، ولَم يَدَّعِ أحدٌ منهم أن عنده عقليات تعارضُ النصوص ، وإنَّما أُتُوا من سُوء الفهم فيها ، والاستبدادِ بما ظَهر لَهم منها ، دون مَن قبلَهم ، ورأَوا أنَّهم إنِ اقتَفَوا أثرَهم كانوا مقلِّدين لَهم ، فصاح بِهم مَن أدرَكهم من الصحابة وكبارِ التابعين مِن كلِّ قُطرٍ ، ورَمَوهم بالعظائم ، وتبرَّؤوا منهم ، وحذَّروا من سَبيلهم أشدَّ التحذير ، ولا يَرون السلامَ عليهم ولا مُجالستَهم ، وكلامُهم فيهم معروفٌ فِي كتب السُّنة ، وهو أكثرُ من أن يُذكر هاهنا)[1].

□ وقال : (فكلُّ بدعة مُضلَّة فِي الدِّين أساسُها القولُ على الله بلا علم ؛ ولِهذا اشتدَّ نكيرُ السلف والأئمَّة لَها ، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض ، وحذَّروا من فتنتِهم أشدَّ التحذير ، وبالغُوا فِي ذلك ما لَم يُبالِغوا مثلَه فِي إنكارِ الفواحشِ والظُّلمِ والعُدوان ؛ إذ مضرَّةُ البدع وهدمُها للدين ومنافاتُها له أشدُّ)[2].

---

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/١٠٦٨ : ١٠٧٠) .

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/٣٧٢) .

۞ عهدٌ لابن القيِّم مع ربِّه بِجهادِ أهل البدع وقمعِهم :

□ يقول ابنُ القيم -رحِمه الله- فِي عهدِه مع ربه -وعهدُ الرِّجال الجبال يبيِّنُ عُلوَّ هِمَّتِهم-:

يا ناصرَ الإسلامِ والسُّننِ التي	جاءت عنِ المَبعوثِ بالفرقانِ
يا مَن هو الحقُّ المبينُ وقولُه	ولقاؤه ورسولُه ببيانِ
اشرَحْ لدِينِكَ صدرَ كلِّ موحِّدٍ	شَرحًا ينالُ به ذُرى الإيْمانِ
واجعَلْه مؤتَمًّا بوحيِكَ لا بِما	قد قاله ذو الإفكِ والبُهتانِ
وانصُرْ به حِزبَ الهدى واكتبْ به	حزبَ الضَّلالِ وشيعةَ الشيطانِ
وأنعِشْ به مَن قَصدُهُ إحياؤُهُ	واعصِمْه مِن كيدِ امرئٍ فتَّانِ
واضرِبْ بِحقِّكَ عُنقَ أهلِ الزَّيغِ	والتبديلِ والتكذيبِ والطُغيانِ
فوحقِّ نعمَتِكَ التي أوليتَنِي	وجعلتَ قلبِيَ واعِيَ القرآنِ
وكتبتَ فِي قلبِي متابعةَ الْهُدى	فقرأتُ فيه أسطُرَ الإيْمانِ
ونشلتَنِي من حُبِّ أصحابِ الهوى	بِحبائلٍ مِن مُحكَمِ الفُرقانِ
وجعلتَ شِرْبِيَ المَنْهلَ العذبَ الذي	هو رأسُ ماءِ الواردِ الظمآنِ
وعَصَمْتَنِي من شربِ سُفلِ الماء تَحـ	ـت نَجاسةِ الآراءِ والأذهانِ
وحفظتَنِي مِمَّا ابتَليتَ به الأُلَى	حكموا عليك بشرْعةِ البُهتانِ
نَبذوا كتابَك من وراءِ ظهورِهم	وتَمسَّكوا بزخارفِ الْهَذَيانِ
وأريتَنِي البدعَ المُضلَّةَ كيفَ يُلـ	ـقيها مزخرفةً إلَى الإنسانِ
شيطانُه فيَظلُّ يَنقُشُها له	نَقشَ المُشبِّه صورةً بدهانِ
فيَظنُّها المغرورُ حقًّا وهي فِي التـ	ـحقيقِ مثلُ اللآلِ فِي القيعانِ

لأُجاهدنَّ عِـداكَ مـا أبقيتَنِي ولأَجْعَلَـنَّ قتـالَهـم دَيدانِي

ولأَفْضَحَنَّهم علـى رُؤوس الملا ولأفـرِيَـنَّ أديمَهـم بلِسانِي

ولأكشِفنَّ سرائرًا خَفِيت على ضُعفـاءِ خَلقِـك منهـمُ ببيانِ

ولأَتْبعَنَّهمُ إلـى حيثُ انتهَـوا حتَّى يُقـالَ : أبعـدَ عبَّادانِ !

ولأرجُمنَّهـم بأعـلامِ الْهـدى رَجمَ المريـدِ بثـاقبِ الشُّهبانِ

ولأقعُدَنَّ لَهـم مراصـدَ كيدِهم ولأَحْصُـرَنَّهـمُ بكـلِّ مكانِ

ولأجعلنَّ لُحومَهـم ودماءَهـم فِي يـومِ نصرِك أعظـمَ القُربانِ

ولأَحْمِلَـنَّ عليهـمُ بعساكـرٍ ليـس تفـرُّ إذا التقـى الزَّحفانِ

بعساكِرِ الوحيَينِ والفِطْراتِ والـ ـمَعقـولِ والمنقـولِ بالإحسانِ

حتَّى يَبِينَ لِمن له عقلٌ مَنِ الـ أَوْلَى بِحُكـمِ العقـلِ والبُرهانِ

ولأنصحـنَّ اللـهَ ثُـمَّ رسولَـه وكتـابَـه وشـرائـعَ الإِيْمانِ

إنْ شـاءَ ربِّي ذا يكـونُ بِحوله أو لَـم يشـأْ فالأمـرُ للرَّحْمنِ

ولقد صدق ابنُ القيم -رحِمه اللهُ- فِي عهده مع ربِّه أيَّما صِدقٍ ، ووفَّى أعظمَ توفِيةٍ .. لله درُّه .

الفصل الرابع

أزاهيرُ في التمسُّك بالسُّنة

واتباع الخليل ﷺ

* * *



أزاهيرُ فِي التمسُّكِ بالسُّنةِ واتِّباعِ الخليلِ ﷺ

قال الله تعالَى -وكلامُ الْمُلوك ملوكُ الكلام-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

الدعوةُ إلَى الكتاب والسُّنة .. الدعوةُ إلَى الاتباع : دعوةٌ تُحيي القلوبَ والعقول ، وتُطلقُها من أوهاق[1] الجَهلِ والخُرافة ، ومن ضغط الوهم والأُسطورة ، ومن العبودية لغير الله .. والمَذلَّةُ للعبدِ أو للشهوات سواءٌ .

قال تعالَى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور ٥١ ، ٥٢] .

وقال تعالَى : ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال تعالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ١ ، ٢] .

---

(١) **الأوهاق** : الحِبال .

□ يقولُ ابنُ القيم -رحمه اللهُ-: (فرأسُ الأدبِ مع الرسول ﷺ كمالُ التسليم له، والانقيادِ لأمره، وتلقِّي خبرِه بالقبول والتصديق، دون أن يُحمِّله معارضةَ خيالٍ باطلٍ يُسمِّيه معقولاً، أو يُحمِّلَه شُبهةً أو شكًّا، أو يقدِّمَ عليه آراءَ الرجال وزُبالاتِ أذهانِهم، فيُوحِّدُه بالتحكيم والتسليم والانقيادِ والإذعان .. كما وَحَّدَ المُرسِلَ -سبحانه وتعالَى- بالعبادةِ والخضوعِ والذُّلِّ والإنابةِ والتوكل.

فهما توحيدانِ -لا نَجاةَ للعبد من عذابِ الله إلا بِهما-:

١- توحيد المُرسِل.

٢- وتوحيدُ متابعة الرَّسول.

فلا يُحاكِمُ إلَى غيرِه، ولا يرضَى بِحُكم غيره، ولا يقفُ تنفيذَ أمرِه وتصديقَ خبرِه على عَرضه على قولِ شيخه وإمامه وذوي مذهبِه وطائفته ومَن يُعظِّمُه، فإنْ أذنوا له نَفَّذه وقَبِل خبرَه، وإلاَّ فإنْ طَلَب السلامةَ أعرضَ عن أمرِه وخبرِه وفوَّضه إليهم، وإلاَّ حرَّفه عن مواضعه، وسَمَّى تَحريفَه تأويلاً وحَمْلاً !!.

فلأَنْ يلقى العبدُ ربَّه بكلِّ ذنبٍ على الإطلاق -ما خلا الشِّركَ باللهِ- خيرٌ له من أن يلقاهَ بِهذه الحال.

ولقد خاطبتُ يومًا بعضَ أكابرِ هؤلاء، فقلتُ له: سألتُك بالله، لو قُدِّر أن الرسولَ ﷺ حيٌّ بين أظهُرِنا، وقد واجَهَنا بكلامه وخطابِه .. أكان فَرضٌ علينا أن نَتَّبعَه من غير أن نَعرِضَه على رأيِ غيرِه وكلامه ومذهبِه ؟

أم لا نَتَّبِعُه حتَّى نعرضَ ما سَمعناه منه على آراء الناس وعقولِهم ؟ فقال : بل كان الفرضُ المبادرةَ إِلَى الامتثال من غير التفاتٍ إِلَى سواه .. فقلت : فما الذي نَسَخ هذا الفرضَ عنا ؟ وبأي شيءٍ نُسخ ؟ فوضع إصبَعَه على فيه ، وبَقِي باهتًا متحيِّرًا ، وما نَطق بكلمة .

هذا أدبُ الخواصِّ معه ﷺ ، لا مُخالفةُ أمره ، ورفعُ الأصوات ، وإزعاجُ الأعضاءِ بالصلاة عليه والتسليم ، وعَزلُ كلامه عن اليقين ، وأنْ يُستفادَ منه معرفةُ الله أو يُتلقَّى منه أحكامُه ، بل المعوَّلُ فِي باب معرفة الله : على العقول المنهوكة المتحيِّرةِ المتناقضة ، وفِي الأحكام : على تقليدِ الرجال وآرائهم ، والقرآنُ والسُّنة إنَّما نقرؤُهُما تبرُّكًا ، لا أنا نتلقَّى منهما أصولَ الدِّين ولا فروعَه ، ومَن طلب ذلك ورامَه ، عادَيناه وسعَينا فِي قطع دابرِه واستئصال شأفته : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٣ - ٧٤] .

والناصحُ لنفسه العاملُ على نَجاتِها يتدبَّرُ هذه الآياتِ حقَّ تدبُّرِها ، ويتأمَّلُها حقَّ تأمُّلِها ، ويُنَزِّلُها على الواقع فيَرى العجب ، ولا يظُنُّها اختَصَّت بقومٍ كانوا فبانوا «فالحديثُ لكِ ، واسْمَعي يا جارة» .. والله المستعان .

ومن الأدبِ معه ﷺ ألاَّ تُرفعَ الأصواتُ فوق صوته ، فإنه سببٌ لِحُبوط الأعمال ، فما الظنُّ برفع الآراء ونتائجِ الأفكار على سُنَّته وما جاء به ؟!.. أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال -ورفعُ الصوت فوق صوته موجبٌ لِحُبوطها-؟!)[1].

قال تعالَى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

◻ قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: (سبيلاً وسُنَّةً) .

وقال تعالَى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية : ١٧] .

◻ قال الحسن : (على السُّنة) .

وقال تعالَى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١] .

◻ قال عطاءٌ : (يتَّبعونه حقَّ اتباعه ، ويَعملون به حقَّ عملِه) .

وقال تعالَى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

◻ قال الحسن : (الكتاب : القرآنُ .. والحكمةُ : السُّنة) .

وقال تعالَى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه : ٨٢] .

◻ قال أنسٌ : (﴿ ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ : أَخَذ بسُنَّةِ نبيِّه ﷺ) .

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٣٨٧ ، ٣٨٩) .

□ وقال سعيدُ بن جُبير : (﴿ ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ : ثُمَّ استقام) .

□ وقال : (لزومُ السُّنَّة والجماعة) .

□ وقال شِمْرُ بنُ عطية : (﴿ ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ : للسُّنة) .

□ وعن ابنِ عباس -رضى الله عنهما- فِي قوله تعالَى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، قال : (فأمَّا الذين ابيضَّتْ وجوهُهم : فأهل السُّنة والجماعة وأولوا العلم .. وأمَّا الذين اسودَّت وجوههم : فأهلُ البدع والضلالة) .

وقال تعالَى : ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] .

□ قال عطاءٌ : (طاعةُ الرسول اتباعُ الكتاب والسنة) .

وقال الله تعالَى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

□ قال ميمونُ بنُ مِهران : (ما دام حيًّا ، فإذا قُبض فإلَى سُنَّته) .

□ وقال مُجاهدٌ : (كتابُ الله وسُنَّةُ نبيِّه ، ولا تردُّوا إلَى أولي الأمر شيئًا) .

وقال تعالَى : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال تعالَى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [النساء : ١٣] .

وقال تعالَى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وقال تعالَى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال تعالَى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] .

وقال تعالَى : ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال تعالَى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

وقال تعالَى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٠] .

وقال تعالَى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [مُحمد : ٣٣] .

والدَّعاوى يُحتجُّ لَها ولا يُحتجُّ بِها .. وللمَحبَّةِ علامات حتَّى لا يَدَّعِي الخَلِيُّ حُرقةَ الشَّجِيِّ .

فأولُ علاماتِ المَحبَّة : الاتِّباعُ والاعتصامُ بالكتابِ والسُّنّة .

□ قال الحسن : (ادَّعى قومٌ على عهد رسول الله ﷺ مَحبَّةَ الله ، فابتلاهم الله بِهذه الآية : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١]) .

وثَمرة الاتباعِ مَحبَّةُ الله للمتَّبِع .. وشأنٌ عظيمٌ أن تُحبَّ ، وأعظم منه أن تُحَبَّ .

■ وعن العِرْباضِ بن ساريةَ رضي الله عنه قال : (وَعَظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً بليغةً ، وَجِلت منها القلوب ، وذَرَفت منها العيون ، فقُلنا : يا رسولَ الله ، كأنَّها موعظةُ مودِّعٍ ، فأوصنا .. قال : **أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمعِ**

والطاعة، وإنْ تأمَّرَ عليكم عبدٌ ، وإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسُنَّتي ، وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين الْمَهديِّين ، عَضُّوا عليها بالنَّواجذ ، وإيَّاكم ومُحدَثَات الأمور ، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالةٌ)[١].

وقوله : (**عَضُّوا عليها بالنواجذ**) ، أي : اجتهِدوا على السُّنة والزَموها ، واحرِصوا عليها ، كما يلزمُ العاضُّ على الشيءِ بنواجذه خوفًا من ذهابه وتَفَلُّته .

■ وعن أبِي شُريحٍ الخُزاعيِّ ﷺ قال : (خرج علينا رسولُ الله ﷺ ، **فقال : أليس تشهَدون ألاَّ إلهَ إلاَّ اللّه وأنِّي رسولُ اللّه ؟ قالوا : بلى . قال : فإنَّ هذا القرآنَ طَرَفُه بيدِ اللّه ، وطَرَفُه بأيديكم ، فتمسَّكوا به ، فإنكم لن تَضِلُّوا ولن تَهلِكوا بعده أبدًا)**[٢].

■ وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**تركتُ فيكم شيئَين لن تضِلُّوا بعدَهُما : كتابَ اللّه ، وسُنَّتِي ؛ ولن يتفرَّقا حتَّى يَرِدَا عليَّ الْحَوْضَ)**[٣].

---

(١) صحيح : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في « صحيحه » ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .. وصحَّحه الألبانِي في « صحيح الترغيب والترهيب » (١/٢٠) .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » ، وقال المنذري : « إسناده جيِّد » ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الترغيب » (١/٢٠) .

■ هذه الأحاديث -وأكثر منها- وردت فِي كتابٍ لِي تَحت الطبع ، وهو : « عطر الياسَمين فِي اتباع سيد المرسلين » .

(٣) صحيح : رواه الحاكم فِي « المستدرك » -وصحَّحه-، ووافقه الألبانِي ، وصحَّحه فِي « صحيح الجامع » (٢٩٣٤) .

■ وعن المِقدامِ بن معدي كرب ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : (ألاَ إنِّي أُوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه ، ألاَ يُوشِكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكتِه يقول : عليكم بِهذا القرآن ، فما وجدتُم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه ، وما وجدتُم فيه من حرامٍ فحرِّموه ، وإنَّ ما حَرَّم رسولُ الله ﷺ كما حرَّم اللّهُ ، ألاَ لا يَحِلُّ لكمُ الحِمارُ الأهلي ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ؛ ولا لُقَطَةُ مُعاهَدٍ ، إلاَّ أنْ يَستغنِيَ عنها صاحبُها ، ومَن نَزل بقومٍ فعليهم أن يُقرُوهُ[1]، فإن لَم يُقرُوه ، فله أن يُعقِبَهم بِمثلِ قِرَاهُ)[2].

■ وعن أبِي رافعٍ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : (لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكئًا على أريكتِه ، يأتيه الأمرُ من أمري -مِمَّا أمرتُ به أو نَهيتُ عنه-، فيقول : لا أدري ، ما وجَدْنا فِي كتابِ اللهِ اتَّبعناه)[3].

■ وقال رسول الله ﷺ : (قد تركتُكم على البيضاء ، ليلُها كنهارها ، لا يَزيغُ عنها بعدي إلاَّ هالكٌ ، ومَن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بِما عرفتُم من سنَّتِي ، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وعليكم بالطاعة -وإنْ عبْدًا حبشيًّا-، فإنَّما المؤمنَ كالجَمَلِ

---

(١) أي : يُضيِّفوه .

(٢) صحيح : رواه أبو داود فِي « الأطعمة » وفِي « السنة » ، وروى الدارمي نَحوه ، وكذا ابن ماجة إلَى قوله : (كما حرَّم الله) .. وقال الألبانِي فِي التعليق على « المشكاة » (٥٧/١ ، ٥٨) : « سنده صحيح » .

(٣) صحيح : رواه أحْمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي فِي « دلائل النبوة » ، وسنده صحيح .

الأنِفِ[١]**، حيثما قِيدَ انقاد)**[٢].

■ وعن جابرٍ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**أمَّا بعدُ ، فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الْهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكلُّ بدعةٍ ضلالة**)[٣].

■ وعنه ﷺ ، عن النَّبي ﷺ -حين أتاه عمرُ ﷺ ، فقال : إنا نسمعُ أحاديثَ من اليهود تُعجبُنا ، أفترى أن نكتبَ بعضها ؟-، فقال : (**أمُتَهَوِّكُون أنتم كما تَهوَّكتِ**[٤] **اليهودُ والنصارى !! لقد جئتُكم بِها بيضاءَ نقيَّةً ، ولو كان موسى حيًّا مَّا وَسِعه إلا اتِّباعي**) .

■ ولفظُ الدارميِّ : عن جابرٍ أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى رسولَ الله ﷺ بنُسخةٍ من التوراة ، فقال : (يا رسولَ الله ، هذه نسخةٌ من التوراة ، فسكت ، فجعل يقرأُ ووجهُ رسول الله ﷺ يتغيَّرُ ، فقال أبو بكر : ثَكِلَتْكَ الثَّواكلُ ! ما تَرى ما بوجهِ رسولِ الله ﷺ ؟! فنظر عمرُ إلَى وجه رسولِ الله ﷺ فقال : أعوذُ بالله من غضبِ الله ومن غضبِ رسوله ؛ رَضِينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبِمحمَّدٍ نبيًّا .. فقال رسولُ الله ﷺ : **والذي نفسُ مُحمدٍ بيده ، لو بدَا لكم موسى فاتَّبعتموه وتركتُموني لَضَللتُم عن سَواءِ السبيل ،**

---

(١) **الأنِف** -بفتح الألف وكَسْرِ النون-: الْهَيِّن اللَيِّن .

(٢) **صحيح** : رواه أحْمد وابن ماجة والحاكم عن العرباض ، وصحَّحه الألباني فِي « صحيح الجامع » (٤٣٦٩) .

(٣) رواه مسلم .

(٤) **التهوُّك** : التشكُّك .

ولو كان حيًّا وأدرك نبوَّتي لاتَّبعني)[١].

■ وعن البَرَاءِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أخذتَ مَضْجَعَك فتوضَّأْ وُضوءَكَ للصلاة ، ثُمَّ اضطجِعْ على شقِّك الأيْمنِ ، ثُمَّ قل : اللهمَّ إنِّي أسلمتُ وجهي إليك ، وفوَّضتُ أمري إليك ، وألْجَأتُ ظهري إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا مَلجأَ ولا مَنجَا منك إلا إليك ، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ .. واجعَلْهُنَّ من آخرِ كلامِك ، فإنْ مُتَّ من ليلتِك ، مُتَّ وأنت على الفطرة .

قال البَراء : فرَدَدْتُهُنَّ لأستذكرَهنَّ ، فقلت : آمنتُ برسولك الذي أرسلتَ .. قال : قل : آمنتُ بنبيِّك الذي أرسلتَ)[٢].

للهِ ما أحلى هذا الحديثَ فِي الحثِّ على الاتباع !.

وقد يقول قائلٌ : ما الفرق بين « نبيِّك » و« رسولِك » ؟.

والجوابُ : الفرقُ بينهما الاتباع .

□ قال النوويُّ فِي « شرح مسلم » (٥/٥٦٣) : (اختار المَازريُّ وغيرُه أنَّ سببَ الإنكار : أن هذا ذكرٌ ودعاء ، فيَنبغي فيه الاقتصارُ على اللفظ الوارد بِحروفه ، وقد يَتعلَّقُ الجزاءُ بتلك الحروف ، ولعله أُوحِيَ إليه ﷺ بِهذه

---

(١) حسن : رواه أحْمد والبيهقي فِي « شعب الإيْمان » والدَّارمي ، وقال الألباني فِي التعليق على « مشكاة المصابيح » (٦٣/١) : « وفيه مُجالد ابن سعيد وفيه ضعف ، ولكنَّ الحديث حسنٌ عندي ؛ لأن له طُرقًا كثيرةً عند اللالكائي والْهروي وغيرِهما » .

(٢) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم .

الكلمات ، فيَتعيَّنُ أداؤها بِحروفها .. وهذا القول حسنٌ) .

إنْ كان يتعيَّنُ هذا فِي باب الأذكار ، فما ظنُّك بالاعتقاد والأحكام ؟!.

فاقصُدِ البحر وخَلِّ القنوات .. إذا أتى نَهرُ اللّه بَطَل نَهرُ مَعقِل .. فِي طلعةِ الشمس ما يُغنيك عن زُحَل .

۞ عَودٌ على بَدْء :

هانَحن من جديدٍ نُعطِّرُ الصفحات بقولِ العلماء الرَّبانيِّين الساداتِ من الأمر بالاتباع والتمسك بالسُّنة ، ونُدوِّنُ ما قالوه ، فتعالَ معي إلَى بساتينهم ، وشُمَّ من أريْجِهم الفوَّاح :

■ عن أبِي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال : (**مَن دعا إلَى هدًى كان له من الأجرِ مِثلُ أجور مَن تَبِعَه ، لا يَنقُصُ[1] ذلك من أجورِهم شيئًا ، ومَن دعا إلَى ضلالةٍ كان له من الإثْمِ مِثلُ آثامِ مَن تَبِعه ، لا يَنقُصُ ذلك من آثامِهم شيئًا**)[2].

□ وقال ابنُ عباس ﷺ : (النظرُ إلَى الرجل من أهل السنة -يدعُو إلَى السُّنة ويَنهَى عن البدعة- عبادةٌ)[3].

□ وقال الزهريُّ : (الاعتصامُ بالسُّنة نَجاة) .

□ وقال أبو العالية : (تعلَّموا الإسلام ، فإذا تعلَّمتموه فلا ترغبوا عنه ،

---

(١) الفعل (ينقص) يستعمل لازمًا ومتعديًا .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١/٥٥) .

وعليكم بالصراط المستقيم -فإنه الإسلام-، ولا تُحرِّفوا الإسلامَ يَمينًا ولا شِمالاً ، وعليكم بسُنَّةِ نبيِّكم والذي كان عليه أصحابُه ، وإيَّاكم وهذه الأهواءَ التِي تُلقي بين الناسِ العداوةَ والبغضاء) .

وصَدَق ونَصَح -كما قال الحسن وابنُ سيرين-.

□ وعن الحسن قال : (يا أهلَ السنة ، تفرَّقوا[1] -رحِمكم الله- فإنَّكم من أقلِّ الناس) .

□ وعن سعيدِ بنِ جُبير قال : (لا يُقبَلُ قولٌ إلا بعمل ، ولا يُقبل عملٌ إلاَّ بقولٍ ، ولا يُقبل قولٌ وعملٌ إلا بنيَّةٍ ، ولا يُقبل قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ إلا بنيَّةٍ موافقةٍ للسُّنة) .

□ وقال يونُسُ بنُ عُبيد : (أصبَحَ مَن إذا عُرِّفَ السُّنةَ فعَرَفها غريبًا ، وأغربُ منه من يعرفها) .

□ وقال أيضًا : (إنَّ الذي تُعرَضُ عليه السُّنةُ لَغريبٌ ، وأغربُ منه من يعرفُها) .

□ وقال : (ليس شيءٌ أغربَ من السُّنة ، وأغربُ منها مَن يعرفُها) .

□ وقال أيوبُ السِّختياني : (إن من سعادة الْحَدَثِ[2] والأعجميِّ أن يوفِّقَهما اللهُ لعالِمٍ من أهل السُّنة) .

□ وقال ابنُ شَوْذب : (إنَّ من نعمةِ الله على الشابِّ إذا نَسَكَ[3] أن

---

(١) أي : انتشروا فِي الأقطار وعلموا الناس .. والله أعلم .

(٢) الْحَدَث : الشاب .

(٣) أي : تعبَّد وعَرَف طريقَ الله سبحانه .

يواخيَ صاحبَ سُنَّةٍ يَحملُه عليها) .

◻ وقال أيوبُ لعُمارةَ بنِ زاذان : (يا عمارةُ ، إذا كان الرجلُ صاحبَ سُنةٍ وجَماعةٍ ، فلا تسألْ عن أيِّ حالٍ كان فيه) .

◻ وقال حَمَّادُ بنُ زيد : (حضرتُ أيوبَ السِّختيانِيَّ وهو يُغسِّلُ شُعيبَ ابنَ الحَبْحَاب ، وهو يقول : إنَّ الذين يتمنَّون موتَ أهلِ السنة يريدون أن يُطفِؤُوا نورَ الله بأفواهِهم ، والله مُتمٌّ نورِه ولو كره الكافرون) .

◻ وقال ابنُ عونٍ : (ثلاثٌ أُحبُّهنَّ لنفسي وأصحابِي : قراءةُ القرآن والسُّنة ، والثالثة : أقبَلَ رجلٌ على نفسه ولَهَى من الناس ، إلاَّ من خيرٍ) .

◻ وقال الأوزاعيُّ : (ندورُ مع السُّنة حيثُ دارت) .

◻ وقال : (كان يقالُ : خَمسٌ كان عليها أصحاب مُحمَّد ﷺ والتابعون بإحسان : لُزومُ الجماعة ، واتِّباعُ السُّنة ، وعِمارةُ المساجد ، وتلاوةُ القرآن ، والجهادُ فِي سبيل الله) .

◻ وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : (ما من شيءٍ إلاَّ بُيِّن لنا فِي القرآن ، ولكنْ فَهْمُنا يقصرُ عن إدراكه ، فلذلك قال تعالَى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤]) .

لله ما أروعَ هذا الكلام !!.

◻ وقال رجلٌ عند مطرِّفِ بنِ عبدالله : (لا تُحدِّثونا إلاَّ بِما فِي القُرآن .. فقال مطرفٌ : إنا –واللهِ– ما نريدُ بالقرآن بدلاً ، ولكنا نريد مَن هو أعلم بالقرآن منَّا) .

□ وعن سعيد بنِ جُبير ، أنه حَدَّث يومًا بحديثٍ عن النَّبيِّ ﷺ ، فقال له رجلٌ : (فِي كتاب الله ما يُخالفُ هذا . فقال : ألاَ أُرانِي أُحدِّثُك عن رسولِ الله ﷺ ، وتُعارِضُ فيه بكتابِ الله ؟!! كان رسولُ الله ﷺ أعلمَ بكتاب الله منك) .

□ وعن أيوبَ السِّختيانِي قال : (إذا حَدَّثت الرجلَ بسُنَّةٍ ، فقال : دَعْنا من هذا وأنبِئْنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضالٌّ) .

□ وكتب عمرُ بنُ عبدالعزيز : (لا رأيَ لأحدٍ فِي كتاب الله ولا فِي سُنَّة رسولِ الله ﷺ ، وإنَّما رأيُ الأئمَّةِ فيما لَم يَنْزِل فيه الكتابُ ، ولَم تَمْضِ به سُنَةٌ عن رسولِ الله ﷺ) .

□ وقال الأوزاعيُّ : (إن السُّنَةَ جاءت قاضيةً على الكتاب ، ولَم يَجِئِ الكتابُ قاضيًا على السُّنة) .. وكذا قال يَحيَى بنُ أبِي كثيرٍ .

□ وقال مكحولٌ : (القرآنُ أحوجُ إلَى السُّنة من السُّنة إلَى القرآن) .

□ قال البيهقيُّ -معلّقًا-: (ومعنَى ذلك أن السُّنةَ مع الكتاب أُقيمت مقامَ البيانِ عن الله ، كما قال الله : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤]) .

□ وقال السُّيوطي : (والحاصلُ أن معنَى احتياج القرآن إلَى السنة : أنَّها مبيِّنةٌ له ومفصِّلةٌ لِمُجملاته ؛ لأن فيه كنوزًا تَحتاجُ إلَى مَن يَعرِفُ خفايا خباياها ، فيُبرِزُها ، فذلك هو المُنَزَّلُ عليه ﷺ .

وهذا هو معنَى كونِ السُّنة قاضيةً عليه ، وليس القرآنُ مبيِّنًا للسُّنة ولا قاضيًا عليها ؛ لأنَّها بيِّنةٌ بنفسِها) .

▫ وكان إبراهيمُ التيميُّ يقول : (اللهمَّ اعصِمني بدينك وبسُنَّةِ نبيِّك مِن الاختِلاف فِي الحَقِّ ، ومِن اتِّباعِ الْهَوى ، ومِن سُبلِ الضَّلال ، ومِن شُبهاتِ الأمُور ، ومِن الزَّيغِ والخُصوماتِ) .

▫ وقال ابن المُبارك : (اعلمْ -أخي- أنَّ الموت كرامةٌ لكلِّ مسلمٍ لَقِيَ اللَّهَ على السُّنة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، فإلَى اللهِ نشكو وحشَتَنا وذهابَ الإخوان وقلَّةَ الأعوان وظهورَ البدع ، وإلَى اللهِ نشكو عظيمَ ما حلَّ بِهذه الأمَّة مِن ذهابِ العلماء وأهل السُّنة وظهورِ البدع)[1].

▫ وقال أبو عُبيد -القاسم بن سلاَّم-: (المُتَّبعُ للسُّنة كالقابضِ على الجَمْرِ ، وهو اليوم عندي أفضلُ مِن ضربِ السَّيف فِي سبيلِ الله عزَّ وجل) .

▫ قال الألبانِيُّ : (هذا هو زمانه ، فماذا يُقال فِي زماننا ؟!) .

▫ قال ابنُ عُمر : (لا يزالون على الطريق ما اتَّبعوا الأثرَ) .

▫ وقال وكيعٌ : (لو أنَّ الرجلَ لَم يُصِبْ فِي الحديث شيئًا إلاَّ أن يَمنعَه مِن الْهوى ، كان قد أصاب فيه) .

▫ وقال سُفيان : (الملائكةَ حرَّاسُ السَّماء ، وأصحابُ الحديث حُرَّاسُ الأرض) .

▫ وقال سفيان : (استوصوا بأهلِ السُّنة خيرًا ، فإنَّهم غرباء)[2].

▫ وقال الفُضيل : (إنَّ لله عبادًا يُحيي بِهمُ البلاد ، وهم أصحابُ السُّنة ، ومَن كان يَعقِلُ ما يَدخُلُ جَوفَه مِن حِلِّه كان مِن حزبِ الله) .

---

(١) «الاعتصام» للشَّاطبيِّ (١/٨٦) .

(٢) « شرح أصول الاعتقاد» (١/٦٣) .

◻ وقال أبو بكر بنُ عيَّاش : (السُّنةُ فِي الإسلام أعزُّ مِن الإسلام فِي سائر الأديان) .

قال ابنُ المُبارك : (ما رأيتُ أحدًا شرَح السُّنة مِن أبِي بكر بن عيَّاش) .

◻ وقال عونٌ : (مَن ماتَ على الإسلام والسُّنة ، فله بَشيرٌ بكلِّ خير) .

◻ وقال مُعتمِرُ بنُ سُليمان : (دخلتُ على أبِي وأنا مُنكسرٌ ، فقال : ما لكَ ؟ قلتُ : مات صديقٌ لِي . قال : مات على السُّنة ؟ قلتُ : نعم . قال : فلا تَخَفْ عليه) .

◻ وقال الْمُعافَى بنُ عمران : (لا تَحمَدنَّ رجلاً إلاَّ عند الموت : إمَّا يَموتُ على سُنَّة ، أو يَموت على بدعة) .

◻ وقال شدَّاد بنُ يَحيَى : (ليس طَريقٌ أقصدُ إلَى الجنةِ مِن طريقِ سلوكِ الآثار) ..

دينُ النَّبيِّ مُحمــدٍ أخبــارُ   نِعمَ المَطيَّــةُ للفتَــى الآثارُ
لا تَعْدلنَّ عن الحديث وأهله   فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نَهارُ
ولربَّما غَلطَ الفتَى أثرَ الْهُدَى   والشمسُ بازغةٌ لَها أنوارُ

◻ وقال ابنُ خُزيْمة : (ليس لأحدٍ قولٌ مع رسول الله ﷺ إذا صحَّ الخَبر) .

◻ وقال يَحيَى بنُ آدم : (لا يُحتاجُ مع قول النَّبيِّ ﷺ إلَى قولِ أحدٍ ؛ إنَّما كان يُقال : سُنَّةُ النَّبيِّ وأبِي بكرٍ وعُمرَ ، ليُعلمَ أن النبيَّ مات عليها) .

◻ وقال مُجاهدٌ : (ليس أحدٌ إلاَّ يُؤخَذُ مِن قوله ويُترك مِن قوله إلاَّ النَّبيُّ ﷺ) .

□ وقال أبو حنيفة : (إذا جاء عن النَّبيِّ ﷺ فعلى الرأسِ والعينِ ، وإذا جاء عن أصحابه نَختارُ مِن أقوالِهم ، وإذا جاء عن التَّابعين زاحَمناهم) .

□ وقال عُروةُ بنُ الزُّبير : (اتِّباعُ السُّنن قِوَامُ الدِّين) .

□ وقال ابنُ سيرين : (كان يقال : ما دام على الأثرِ فهو على الطريق) .

□ وقال الأَوزَاعيُّ : (إذا بَلغَكَ عن رسول الله ﷺ حديثٌ ، فإيَّاكَ أن تقولَ بغيره ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ كان مُبلِّغًا عن الله) .

□ وقال الثَّوريُّ : (إنَّما العلمُ كلُّه العلمُ بالآثار) .

□ وقال كَهْمَس : (مَن لَم يَتَحقَّقْ أنَّ أهل السُّنة حَفَظةُ الدِّين ، فإنَّه يُعَدُّ فِي الضُّعفاء المساكين الذين لا يَدينونَ لله بدِّين ، يقول اللهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، ويقول رسولُ الله ﷺ : **حَدَّثني جبريلُ عن الله**) .

□ قال أبو إلِيَاس الألبانِي : (ثلاثٌ لو كُتبنَ فِي ظُفُرٍ لوَسَّعَهُنَّ ، وفِيهنَّ خيرُ الدنيا والآخرة : اتَّبع ولا تبتدِع .. اتَّضِعْ ولا ترتفع .. ومَن تورَّع لا يتَّسع) .



الفصل الخامس

كلماتٌ في الاتباع وذمِّ الابتداع لأهل الزهد وأصحابِ السلوك

* * *



كلماتٌ فِي الاتِّباعِ وذمِّ البدَعِ لأهلِ الزُّهد وأصحابِ السُّلوك

□ قيل لإبراهيمَ بنِ أدْهَمَ : (إنَّ اللَّهَ يقولُ فِي كتابه : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، ونَحن نَدعوه مُنذ دهرٍ فلا يَستَجيبُ لنا ؟! فقال : ماتت قلوبُكم فِي عشَرةِ أشياء :

أولُها : عرفتمُ اللَّهَ ، ولَم تؤدُّوا حقَّه .

والثانِي : قرأتُم كتابَ الله ، ولَم تعملوا به .

والثالث : ادَّعيتم حُبَّ رسولِ الله ﷺ ، وتركتُم سُنته ..) .

إلَى آخر الحكاية[1].

□ وقال ذو النُّون : (مِن علامةِ حُبِّ اللهِ متابعةُ حبيبِ الله ﷺ فِي أخلاقهِ وأفعالهِ وأمرهِ وسُنَّتهِ) .

---

(١) وتتمَّةُ الحكاية كما يلي :
الرَّابع : ادَّعَيْتُم عَداوةَ الشيطان ، ووافَقْتُمُوه .
الخَامس : قُلتم : «نُحِبُّ الجنَّة» ، ولَم تَعمَلُوا لَها .
السَّادس : قُلتم : «نَخاف النارَ» ، وعَصيتُمُ اللّهَ تعالَى .
السابع : قُلتم : «إنّ الموتَ حقٌّ» ، ولَم تَسْتَعِدُّوا له .
الثامن : اشتغلتم بعيوبِ إخوانِكم ونَسِيتُم عيوبَكم .
التاسع : أَكَلْتُم نِعمةَ رَبِّكُم ولَم تَشكروها .
العاشِر : دَفنتم موتَاكم ، ولَم تعتبرِوا بِهم) .. حلية الأولياء (٨/١٦) .

□ وقال : (إنَّما فَسدَ الخلقُ مِن ستَّةَ أشياء :

الأول : ضعفُ النِّية بعمل الآخرة .

والثاني : صارت أبدانُهم مهيَّأةً لشهواتِهم .

والثالث : غَلبَهم طولُ الأمل مع قِصَر الأجل .

والرابع : آثَروا رِضاءَ المخلوقِين على رضاء الله .

والخامس : اتَّبعوا أهواءَهم ، ونَبذُوا سُنَّةَ نبيِّهم ﷺ .

والسَّادس : جَعلوا زلأَت السَّلف حُجَّةً لأنفسِهم ، ودفنوا أكثرَ مناقبهم) .

□ وقال لرجلٍ أوصاه : (ليكن آثَرَ الأشياءِ عندك وأحبَّها إليكَ : إحكامُ ما فَرضَ اللهُ عليك ، واتِّقاءُ ما نَهاكَ عنه ؛ فإنَّ ما تَعبَّدكَ اللهُ به خيرٌ لك مِمَّا تَختَارُه لنفسكَ مِن أعمال البرِّ وأنت ترى أنَّها أبلغُ لك فيما تُريد ، كالذي يؤَدِّبُ نَفسَهُ بالفقرِ والتَّقلُّل وما أشبهَ ذلك ، وإنَّما للعبد أنْ يُراعِيَ أبدًا ما وجبَ عليه مِن فرضٍ يُحكِمُه على تَمام حدوده ، وينظرُ إلَى ما نُهيَ عنه فَيتَّقيَه على إحكام ما يَنبغي ، فإنَّ الذي قَطَعَ العبادَ عن ربِّهم ، وقَطَعهم عن أنْ يَذوقُوا حلاوةَ الإيْمان وأنْ يَبلُغوا حقائَق الصِّدق ، وحَجَبَ قلوبَهم عن النظرِ إلَى الآخرة : تَهاونُهم بإحكام ما فُرضَ عليهم فِي قلوبِهم وأسْماعهِم وأبصارِهم وألسنَتِهم وأيديهم وأرجُلِهم وبطونِهم وفُروجِهم ، ولو وَقفوا على هذه الأشياء وأحكموها ، لأدخل عليهم البرِّ إدخالاً تَعجزُ أبدانُهم وقلوبُهم عن حَمل ما رزقهم اللهُ مِن حُسن معونته وفوائدِ كرامته ، ولكنَّ أكثرَ القُرَّاء والنُّسَّاك حَقَّروا مُحقَّرات الذنوب ، وتَهاونوا بالقليلِ مِمَّا هم فيه مِن العيوب ، فحُرموا ثَوابَ لَذَّة الصَّادقين فِي العاجلِ) .

□ وقال بِشرٌ الحافِي : (رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المنامِ ، فقال لِي : يا بِشرُ ، أتدري لِمَ رفعكَ اللهُ بين أقرانك ؟ قلتُ : لا يا رسول الله ! قال : لاتِّباعكَ سُنَّتِي وحُرمتِك للصالِحين ، ونَصيحتك لإخوانك ، ومَحبَّتك لأصحابِي وأهلِ بيتِي ، هو الذي بلَّغكَ منازلَ الأبرار) .

□ وقال يَحيَى بنُ معاذٍ الرَّازي : (اختلافُ النَّاسِ كلِّهم يَرجعُ إلَى ثلاثةِ أصول ، فلكلٍّ واحد منها ضدٌّ ، فمَن سَقط عنه ضدٌّ وقع فِي ضدِّه : التَّوحيدُ وضدُّه الشِّرك ، والسُّنَّةُ وضدُّها البدعة ، والطاعةُ وضدُّها المعصية) .

□ وقال أبو بكرٍ التِّرمذيُّ : (لَم يَجدْ أحدٌ تمامَ الْهِمَّةِ بأوصافها إلاَّ أهلُ المَحبة ، وإنَّما أَخذوا ذلك باتِّباع السُّنة ومُجانبةِ البدعة ، فإنَّ مُحمَّدًا ﷺ كان أعلى الخَلقِ كلِّهم هِمَّةً وأقربَهم زُلفى) .

□ وقال أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ الجُوزَجانِي : (مِن علاماتِ السعادة على العبدِ تيسيرُ الطاعة عليه ، وموافقةُ السُّنة فِي أفعالهِ ، وصُحبتُه لأهل الصَّلاح ، وحُسنُ أخلاقهِ مع الإخوان ، وبذلُ مَعروفهِ للخلق ، واهتمامُه بالمسلمين ، ومراعاتُه لأوقاته) .

□ وسُئل : (كيف الطريقُ إلَى الله ؟ فقال : الطرقُ إلَى الله كثيرة ، وأوضحُ الطرقِ وأبعدُها عن الشُّبه : اتِّباعُ السُّنة قولاً وفعلاً وعزمًا وعقدًا ونيَّةً ؛ لأنَّ اللَّهَ يقول : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] .

فقيل له : كيف الطريقُ إلَى السُّنة ؟ فقال : مُجانبةُ البدع ، واتِّباع ما أجْمع عليه الصَّدْرُ الأول مِن علماءِ الإسلام ، والتباعدُ عن مَجالس الكلام

وأهله ، ولزومُ طريقة الاقتداء ، وبذلك أُمر النَّبيُّ ﷺ بقوله تعالَى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [النحل : ١٢٣]) .

□ وقال أبو الحسن الورَّاق : (لا يَصِلُ العبدُ إلَى اللهِ إلاَّ باللهِ وموافقةِ حبيبه ﷺ فِي شرائعه ، ومَن جَعَل الطريقَ إلَى الوصول فِي غيرِ الاقتداء ، يَضِلُّ مِن حيثُ يظنُّ أنَّه مُهتد) .

□ وقال : (الصِّدقُ استقامةُ الطريق فِي الدِّين ، واتِّباع السُّنة فِي الشَّرعِ) .

□ وقال : (علامةُ مَحبَّة اللهِ متابعةُ حبيبه ﷺ) .

□ وقال إبراهيمُ القَصَّار : (علامةُ مَحبَّةِ اللهِ إيثارُ طاعته ومتابعةُ نبيه ﷺ) .

□ وقال أبو مُحمد بنُ عبدالوهَّاب الثَّقفيُّ : (لا يَقبلُ اللهُ مِن الأعمالِ إلاَّ ما كان صوابًا ، ومِن صوابِها إلاَّ ما كان خالصًا ، ومِن خالِصِها إلاَّ ما وافق السُّنة) .

□ وقد كان إبراهيمُ بنُ شَيبانَ القِرْميسِيني -الذي صاحبَ إبراهيمَ الخَوَّاص- شديدًا على أهلِ البدع ، مُتمسِّكًا بالكتاب والسُّنة ، ملازمًا لطريق المشايخِ والأئمَّة ، حتَّى قال فيه عبدُالله بنُ مُنازل : (إبراهيمُ بنُ شَيبانَ حُجَّةُ اللهِ على الفقراءِ وأهلِ الأدب والمعاملات) .

□ وقال أبو بكر بنُ سَعدانَ -وهو مِن أصحابِ الجُنيد-: (الاعتصامُ باللهِ هو الامتِناعُ عن الغفلة والمعاصي والبدعِ والضلالات) .

□ وقال أبو عمرو الزُّجَاجي -وهو مِن أصحابِ الجُنيد والثّوري-: (كان النَّاس فِي الجاهليةِ يتَّبعونَ ما تستحسنُه عقولُهم وطبائعُهم ، فجاء النَّبيُّ ﷺ

فردَّهم إلَى الشريعةِ والاتِّباعِ ، فالعقلُ الصحيحُ هو الذي يَستحسنُ ما يستحسنُه الشَّرع ، ويستقبحُ ما يستقبحُه) .

▫ وقيل لإسْماعيلَ بنِ نُجيدٍ السُّلَميِّ -جَدِّ أبِي عبدالرحْمن السُّلمي ، ولَقِيَ الجُنيد-: (ما الذي لابدَّ للعبد منه ؟ فقال : ملازمةُ العبودية على السُّنة ، ودوامُ المراقبة) .

▫ وقال أبو عُثمان المَغرِبِي التُّونسيُّ : (هو الوقوفُ مع الحدود ، لا يُقصِّرُ فيها ، ولا يتعدَّاها ، قال الله تعالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق : ١]) .

▫ وقال بُندارُ بنُ الحُسين : (صحبةُ أهل البدع تورِّثُ الإعراضَ عن الحق) .

▫ وقال أبو بكرٍ الطُّمَسْتاني : (الطريق واضحٌ ، والكتابُ والسنةُ قائمٌ بين أظهُرنا ، وفضلُ الصحابة معلومٌ لسَبقِهم إلَى الْهجرة ولصُحبتِهم ، فمَن صَحِبَ منَّا الكتابَ والسُّنة ، وتَغرَّب عن نفسه والخَلق ، وهاجرَ بقلبه إلَى اللّه ، فهو الصادقُ المصيب) .

▫ وقال أبو يَزيدَ البِسْطاميُّ[1]: (عملتُ فِي المُجاهدة ثلاثينَ سَنَةً ، فما وجدتُ شيئًا أشدَّ من العلمِ ومتابعته ، ومتابعةُ العلم هي متابعةُ السُّنة لا غيرِها) .

▫ ورُوي عنه أنه قال : (قُم بنا ننظُرْ إلَى هذا الرجل الذي قد شَهر نفسه

---

(١) له كلام طيب ، وله أيضًا شطحات -عفا الله عنه-، فنأخذُ منه كلامه الطيب ، ولنا سلفٌ فِي ذلك : شيخ الإسلام ابنُ تيمية وابن القيم .

بالولاية -وكان رجلاً مقصودًا مشهورًا بالزُّهد-، قال الرَّاوي : فمَضينا ، فلمَّا خرج مِن بيتِه ودخل المسجدَ رَمى ببُصاقه تُجاهَ القبلة ، فانصرف أبو يزيدَ ولَم يُسلِّم عليه ، وقال : هذا غيرُ مأمونٌ على أدبٍ من آدابِ رسولِ الله ﷺ ، فكيف يكونُ مأمونًا على ما يدَّعيه ؟!) .

▫ قال الشَّاطبيُّ فِي «الاعتصام» (١/٩٤) : (وهذا أصلٌ أصَّله أبو يزيدَ -رحِمه الله- للقوم ، وهو أنَّ الولايةَ لا تَحصُلُ لتارك السُّنة -وإنْ كان ذلك جهلاً منه-، فما ظنُّك إذا كان عاملاً بالبدعة كفاحًا[١]؟!) .

▫ وقال البسطاميُّ أيضًا : (لقد هَممتُ أنْ أسألَ اللَّهَ أنْ يكفِيَني مؤنةَ النِّساء ، ثُمَّ قلتُ : كيف يَجوزُ لِي أنْ أسألَ اللَّهَ هذا ، ولَم يسأَله رسولُ الله ﷺ ؟!.. فلم أسأله ، ثُمَّ إنَّ اللَّهَ سبحانه كفانِي مؤنةَ النِّساء ، حتَّى لا أُبالِي أستقبلَتنِي امرأةٌ أم حائطٌ) .

▫ وقال : (لو نظرتُم إلَى رجلٍ أُعطِيَ من الكراماتِ حتَّى يرتَقيَ فِي الهواءِ ، فلا تغترُّوا به حتَّى تنظروا كيف تَجدونه عند الأمرِ والنَّهيِ وحِفظِ الحدود وآدابِ الشريعةِ) .

▫ وقال سَهلٌ التُّستَريُّ : (كلُّ فعلٍ يفعلُه العبدُ بغيرِ اقتداء -طاعةً كان أو معصيةً-، فهو عَيشُ النَّفسِ -يعنِي اتِّباعَ الْهوى-، وكلُّ فعلٍ يفعلُه العبدُ بالاقتداء فهو عِتابٌ على النفس ، واتِّباع الْهَوى هو المذموم ، ومقصودُ القوم تركُه البتَّة) .

---

(١) كفاحًا : مباشرةً دون حياءٍ ولا خشية .

□ وقال : (أوصَلَنا سبعةُ أشياء : التَّمسُّك بكتاب الله ، والاقتداءُ بسُنَّة رسولِ الله ﷺ ، وأكلُ الحلال ، وكفُّ الأذى ، واجتنابُ الآثام ، والتوبةُ ، وأداءُ الحقوق) .

□ وقال : (قد أيِسَ الخلقُ من هذه الخِصال الثلاث : ملازمةُ التوبة ، ومتابعةُ السُّنة ، وتركُ أذى الخلق .. وسُئل عن الفُتوَّة ، فقال : اتِّباعُ السُّنة) .

□ وقال أبو سليمانَ الدَّاراني : (ربَّما تقعُ فِي قلبِي النُّكتةُ[1] من نُكتِ القوم أيامًا ، فلا أقبلُ منه إلاَّ بشاهدَين عدلَين : الكتاب والسُّنة) .

□ وقال أحْمد بنُ أبِي الحَوَاري : (مَن عملِ عملاً بلا اتِّباعِ سُنةٍ ، فباطلٌ عمله) .

□ وقال أبو حفص الحدَّاد : (مَن لَم يَزِنْ أفعالَه وأحوالَه فِي كلِّ وقتٍ بالكتابِ والسُّنةِ ، ولَم يتَّهمْ خواطرَه ، فلا تَعدَّه فِي ديوان الرِّجال) .

□ وسُئل عن البدعة ، فقال : (التَّعدي فِي الأحكامِ ، والتَّهاونُ فِي السُّننِ ، واتِّباعُ الآراءِ الأهواء ، وتركُ الاتِّباع والاقتداء) .

□ قال : (وما ظهَرت حالةٌ عاليةٌ إلاَّ من ملازمةِ أمرٍ صحيح) .

□ وسُئل حَمدون القصَّار : (متَى يَجوزُ للرجلِ أنْ يتكلمَ على النَّاسِ ؟ فقال : إذا تَعيَّن عليه أداءُ فَرضٍ من فرائضِ اللهِ فِي علمه ، أو خاف هلاك إنسان فِي بدعةٍ ، يرجو أنْ يُنَجيَه اللهُ منها) .

---

(١) النُّكتة : الفائدةُ العلميَّة .

□ وقال أيضًا : (مَن نَظر فِي سيرِ السَّلف ، عرف تَقصِيره وتَخلُّفَه عن درجاتِ الرِّجال) .

□ قال الشَّاطِبيُّ فِي «الاعتصام» (٩٥/١) : (وهذه -واللهُ أعلم- إشارةٌ إِلَى المُثابرةِ على الاقتداءِ بِهم ، فإنَّهم أهلُ السُّنة) .

□ وقال أبو عُثمانَ الْحِيْرِيُّ : (الصحبةُ مع الله تعالَى : بِحسن الأدب ودوامِ الْهيبة والمُراقبة ، والصحبةُ مع رسول الله ﷺ : باتِّباعِ سُنته ولزومِ ظاهر العلم) .

□ ولَمَّا تغيَّر عليه الحالُ[1]، مزَّق ابنُه أبو بكر قميصًا على نفسه ، ففَتح أبو عثمان عَينيه ، وقال : (خلاف السُّنة -يا بُنِيَّ- فِي الظاهر علامةُ رياءٍ فِي الباطنِ) .

□ وقال : (مَن أَمَّر السُّنة على نفسهِ قولاً وفعلاً ، نَطَق بالحكمةِ ، ومن أمرَّ الْهَوى على نفسهِ قولاً وفعلاً ، نطق بالبدعةِ ؛ قال اللهُ تعالَى : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤]) .

□ وقال مُحمدُ بنُ الفضل البَلْخيُّ : (ذهابُ الإسلام من أربعة : لا يعملون بِما يعلمون ، ويعملون بِما لا يعلمون ، ولا يتعلَّمون ما لا يعلمون ، ويَمنعُون النَّاس مِن التعلُّم) .

□ وقال : (أعرفُهم باللهِ أشدُّهم مُجاهدةً فِي أوامرِه ، وأتْبعَهُم لسُنة نبيِّه ﷺ) .

---

(١) أي : أثناء الموت .. والله تعالَى أعلم .

□ وقال شَاهُ الكِرْمانِي : (مَن غَضَّ بصرَه عن المَحارم ، وأمسَك نفسه عن الشُّبهات ، وعَمَّر باطنَه بدوام المُراقبة ، وظاهرَه باتِّباعِ السُّنةِ ، وعوَّد نفسه أكلَ الحلال ، لَم تُخطئ له فِراسةٌ) .

□ وقال أبو العبَّاس بنُ عطاءٍ -وهو من أقرانِ الجُنيد-: (مَن ألزمَ نفسه آداب الله ، نوَّر اللهُ قلبه بنُورِ المعرفةِ ، ولا مقامَ أشرفُ من مقامِ متابعة الحبيب ﷺ فِي أوامرِه وأفعالِه وأخلاقه) .

□ وقال إبراهيمُ الخَوَّاص : (ليس العلمُ بكثرةِ الرواية ، وإنَّما العالِمُ مَن اتَّبع العلمَ واستعملَه ، واقتدى بالسُّنن ، وإنْ كان قليلَ العلم) .

□ وسُئل عن العافيةِ فقال : (العافيةُ أربعةُ أشياء : دينٍ بلا بدعةٍ ، وعملٍ بلا آفة ، وقلبٍ بلا شُغلٍ ، ونفسٍ بلا شهوةٍ) .

□ وقال : (الصَّبرُ : الثَّباتُ على أحكامِ الكتاب والسُّنة) .

□ وقال أبو حَمزةَ البغدادي : (مَن علِمَ طريقَ الحق ، سَهُلَ عليه سلوكُه ، ولا دليلَ على الطريق إلَى اللهِ إلاَّ متابعةَ سُنة رسولِ الله ﷺ فِي أحوالِهِ وأفعالِهِ وأقوالِه) .

□ وسُئل أبو عليٍّ الرُّوذَباريُّ -عمَّن يسمَعُ الملاهي ويقول : هي لِي حلالٌ ، لأنِي قد وصلتُ إلَى درجةٍ لا يؤثِّر فِيَّ اختلاف الأحوال-؛ فقال : (نعم قد وصل ، ولكن إلَى سَقر) .

□ وقال أبو مُحمد -عبدُالله بنُ مُنازل-: (لَم يُضيِّع أحدٌ فريضةً مِن الفرائضِ ، إلاَّ ابتلاه اللهُ بتضييع السُّنن ، ولَم يُبتَلَ بتضييع السُّنة أحدٌ إلاَّ يوشك أنْ يُبتلَى بالبدع) .

□ وقال سيِّد الطَّائفة وشيخُهم الجُنيدُ : (الطُّرقُ كلُّها مسدودةٌ على الخلقِ إلاَّ مَن اقتفى آثار الرسول ﷺ) .

□ وقال : (مَن لَم يَحفظِ القرآنَ ويكتبِ الحديث ، لا يُقتدَى به فِي هذا الأمر ؛ لأنَّ عِلمَنا هذا مُقيَّدٌ بالكتابِ والسُّنة) .

□ وقال : (عِلمُنا هذا مشيَّدٌ بحديث رسول الله ﷺ) .

هذا قولُ سيِّدٍ مِن سادات العابدينَ العاملينَ ، فلم يَنْهَ عن العلمِ إلاَّ قُطَّاعُ الطريق مِن الصوفيةِ ، ونوَّابُ إبليسَ وشُرَطُه .

□ وقال الجُنيد : (الطرقُ كلُّها مسدودةٌ إلاَّ طريق مَن اقتفَى آثارَ النَّبيِّ ﷺ ، فإنَّ الله عزَّ وجل يقول : وعزَّتي وجلالِي ، لو أتوْنِي مِن كلِّ طريقٍ واستفتَحوا مِن كلِّ باب ، لَمَا فَتحتُ لَهم ، حتَّى يدخلوا خلفَك)[1].

□ وقال رجلٌ له : (أهلُ المعرفة بالله يَصلون إلَى تركِ الحركات مِن بابِ البِرِّ والتَّقرُبِ إلَى الله .. فقال الجُنيد : إنَّ هذا قولُ قومٍ تكلَّموا بإسقاط الأعمال ، ولو بَقِيتُ ألفَ عامٍ لَم أنقُصْ مِن أعمالِ البرِّ ذرَّةً ، إلاَّ أنْ يُحالَ بِي دونَها) .

« فهذا كلامُ أهلِ الحقائقِ والمَواجد والأذوَّاق والأحوال والأسرار التَّوحيدية ، فَهم الحُجَّة لنا على كلِّ مَن ينتسبُ إلَى طريقِهم ولا يَجري على منهاجِهِم ، بل يأتِي ببدعٍ مُحدثات ، وأهواء مُتَّبعات »[2].

---

(١) « طريق الهجرتين » لابن القيم ص(٧) .

(٢) « الاعتصام » للشاطبي بتصرف (١/ ٩٠ : ٩٨) .

فالسَّابقونَ مضَوا وما خَدعوا الورى ... بالتُّـرَّهـات لأنَّـهـم أُمَنـاءُ

واللاحقونَ مضَـوا على أهوائِهم ... أرأيتَ ما فَعلَت بنـا الأهـواءُ !

بِدَعٌ بِها جَمَعـوا من الأموالِ ما ... جَمَعوا ومُجمـوعُ الْهبـاءِ هَباءُ

فـي ذمَّـةِ العلمـاءِ هـذا كلُّه ... إنْ كـان فيمـا بيننـا علمـاءُ



الفصل السادس

ذمُّ الابتداع ، والتحذيرُ من أهل الأهواء ، وهجرُهم ، والشدَّةُ عليهم ، وقمعُهم

* * *

ذمُّ الابتداع ، والتَّحذيرُ من أهلِ الأهواء ، وهجرُهم ، والشدَّةُ عليهم ، وقمعُهم

□ قال العلاَّمةُ ابنُ بَطَّةَ العُكْبَرِيُّ :

(يا إخوانِي ، عَصمَنا اللهُ وإيَّاكم من غَلَبةِ الأهواء ومشاحنةِ الآراء ، وأعاذنا وإيَّاكم من نُصرةِ الخُطَّاء وشَماتةِ الأعداء ، وأجارنا وإيَّاكم من غِيَرِ الزَّمان[١] وزخاريفِ الشيطان ، فقد كثُر المغترُّون بتمويهاتها ، وتباهَى الزائغونَ والجاهلونَ بلُبْسِ حُلَّتها ، فأصبحنا وقد أصابَنا ما أصابَ الأممَ قبلنا ، وحَلَّ الذي حَذَّرَناه نبيُّنا ﷺ من الفُرقةِ والاختلاف ، وتركِ الجماعةِ والائتلاف ، وواقَعَ أكثرُنا الذي عنه نُهينا ، وترك الجمهورُ منَّا ما به أُمرنا ، فخُلعت لِبسةُ الإسلام ، ونُزعت حُلَّةُ الإيْمان ، وانكشف الغَطا ، وبَرِح الخَفا ، فعُبِدَت الأهواء ، واستُعملت الآراء ، وقامت سُوق الفتنةِ وانتشرت أعلامُها ، وظَهرت الرِّدَّةُ ، وانكَشف قناعُها ، وقُدِح زِنادُ الزَّندقة فأُضرِمَتْ نيرانُها[٢]، وخُلِفَ مُحمَّدٌ ﷺ فِي أمَّته بأقبحِ الخُلْف ، وعظُمت البليَّة ، واشتدَّت الرزيَّة ، وظهَر المبتدعون ، وتنطَّعَ المُتنطِّعون ، وانتشرت البدع ، وماتَ الورع ، وهُتكت سُجْفُ المُشاينة[٣]، وشُهر سيفُ المُحاشة[٤]، بعد أنْ كان أمرُهم

(١) الغِيَر -بكسر الغين وفتح الياء-: تقلُّبُ الأحوال .

(٢) أُضرِمت : اشتعلت .

(٣) السِّجف -بفتح السين وكسرها-: السِّتْر .. المُشاينة : العَيب .. والمقصود : أن البدع والأباطيل لَم تَعُدْ مَعيبةً عند الخلق .

(٤) المُحاشَة : الخوف .. والمقصود : أنه صار للمبتدعة منافحون يدافعون عن خبائثهم ، ويُخوِّفون مَن يُحاول ردعَهم عن باطلهم ؛ والله أعلم .

هيِّنًا ، وحَدُّهم ليِّنا ، وذاك حينَ كان أمرُ الأمَّة مُجتمعًا ، والقلوبُ متآلفةً ، والأئمَّة عادلةً ، والسلطانُ قاهرًا ، والحقُّ ظاهرًا ، فانقلَبتِ الأعيان ، وانعكس الزَّمان ، وانفرد كلُّ قومٍ ببدعتهم ، وحُزِّب الأحزاب ، وخُولفَ الكتاب ، واتُّخذَ أهلُ الإلْحادِ رؤوسًا وأربابًا ، وتَحوَّلتِ البدعةُ إلَى أهل الاتِّفاق ، وتَهوَّك فِي العُسرةِ[1] العامَّةُ وأهلُ الأسواق ، ونَعِقَ إبليسُ بأوليائه نَعْقةً فاستجابوا له مِن كلٍّ ناحية ، وأقبَلوا نَحوَه مُسرِعينَ مِن كلٍّ قاصية ، فأُلبسوا شيَعًا ، ومُيِّزوا قطَعًا ، وشَمتت بهم أهلُ الأديان السَّالفة والمَذاهبِ المُخالفة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، وما ذاك إلاَّ عقوبةٌ أصابت القومَ عند تركِهم أمرَ الله ، وصَدْفهم[2] عن الحقِّ ، ومَيلِهم إلَى الباطل ، وإيثارِهم أهواءَهم ، ولله عزَّ وجلَّ عقوباتٌ فِي خَلقه عند ترك أمرِه ومُخالفة رُسُله ، فأُشعلت نِيرانُ البدع فِي الدِّين ، وصاروا إلَى سبيلِ المُخالفِين ، فأصابَهم ما أصاب مَن قبلهم مِن الأممِ الماضين)[3].

□ قال الشَّاطبِيُّ فِي «الاعتصام» (١/٣٨) :

(هذا تَمامُ الحكاية ، فكأنه -رحمه الله- تكلَّم على لسانِ الجميع) .

ولقد وردت عن سيِّد البَريَّة ﷺ أحاديثُ عطرةٌ فِي ذمِّ البدع والتَّنفيرِ من أهلها :

---

(١) أي : تشكّك العامَّةُ والجهلاءُ فِي دينهم بسبب هذه الفِتَن المُظلِمة .

(٢) صَدْفهم : إعراضهم .

(٣) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة (١/١٦٣ : ١٦٥) .

■ فعن عائشةَ -رضى الله عنها- قالت : قال رسولُ الله ﷺ : (**مَن أحدثَ فِي أمرِنا هذا ما ليس منه ، فهو ردٌّ**)[١].

■ ولفظُ مسلم : (**مَن عمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**) .

■ وعن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**أبغضُ النَّاس إلَى الله ثلاثةٌ : مُلْحِدٌ فِي الحرمِ ، ومُبتغٍ فِي الإسلام سُنةَ الجاهلية ، ومطِّلبٌ دمَّ امرئٍ بغير حقٍّ لِيُهرِيقَ دمَّه**)[٢].

■ وعن أبِي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال : (**كلُّ أمَّتِي يَدخلُون الجنَّةَ إلاَّ مَن أبَى** . قيل : ومَن أبَى ؟ قال : **مَن أطاعنِي دخلَ الجنَّةَ ، ومَن عصانِي فقد أبَى**)[٣].

■ وفِي رواية عن أبِي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ : (**والذي نفسي بيدِه لَتَدْخُلُنَّ الجنَّةَ كلُّكم -إلاَّ مَن أبَى وشرد على الله كشراد البَعير-**، قالوا : يا رسول الله ، ومَن يأبَى أن يدخلَ الجنَّة ؟ قال : **مَن أطاعنِي دخل الجنة ، ومَن عصانِي فقد أبَى**)[٤].

■ وفِي حديث أنس ﷺ : (**فمَن رغِب عن سُنتِي ، فليس مِني**)[٥].

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

(٤) **صحيح بشواهده** : رواه ابن حبان (١/١٩٦ - الإحسان) ، وصحَّحه الشيخ شعيب الأرنؤوط .

(٥) متفق عليه .

■ وعن عائشةَ -رضى الله عنها- قالت : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ هُوَ الّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ وقرأ إلَى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الألبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] ، فقال رسول الله ﷺ : **فإذا رأيتَ الذين يتَّبعون ما تشَابَه منه ؛ فأولئك الذين سَمَّاهم الله ؛ فاحذروهم**)[١].

■ وعند مسلم : (**فإذا رأيتُم**) .

■ وعن أبِي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**يكونُ فِي آخرِ الزَّمان دجَّالون كذَّابون ، يأتونَكم من الأحاديثِ بما لَم تسمَعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيَّاكم وإيَّاهم ، لا يُضِلونَكم ولا يَفتنوكُم**)[٢].

■ وعن عبدالله بن عمرٍو -رضي الله عنهما- قال : (هَجَّرتُ[٣] إلَى رسولِ الله ﷺ يومًا ، قال : فسمِعَ أصواتَ رجُلَين اختلفا فِي آية ، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف فِي وجهه الغضب ، فقال : **إنَّما هَلَكَ مَن كان قبلَكم باختلافهم فِي الكتابِ**)[٤].

■ وعن أبِي هريرة رضي الله عنه قال : (كان أهلُ الكتاب يقرؤون التَّوراة بالعبرانيَّة ، ويفسِّرونَها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : **لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبوهم** ، ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالّذي أُنْزِلَ إلَيْنَا وَأُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَإلَهُنَا وَإلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦])[٥].

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) هجَّرت : بكَّرت .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البخاري .

■ وعن خبَّابٍ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**إنَّ بنِي إسرائيل لَمَّا هلَكوا قصُّوا**)[١].

أي : لَمَّا هلَكوا بتركِ العمل ، أخلَدوا إلَى القَصَصِ ، وعوَّلوا عليها واكتفَوا بِها .. قاله المُناوي .

وحالُ كثير مِن المسلمين اليوم يُشبِهُ حالَهم ، فقد أعرضوا عن العلمِ النَّافع والعملِ الصالِح .

■ وقال ﷺ : (**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الذين مِن قبلكم ، شِبرًا بشِبرٍ ، أو ذِراعًا بذراع ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضبٍّ لَسلَكْتموه** . قالوا : اليهودُ والنَّصارى ؟ قال : **فَمَن ؟!**)[٢].

■ وقال ﷺ : (**لَتركَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتَّى لو أنَّ أحدَهم دخلَ حُجْرَ ضبٍّ لَدَخلتُم ، وحتَّى لو أنَّ أحدهم جامعَ أمَّه بالطريق لَفَعلتُموه**)[٣].

---

(١) **صحيح** : رواه الطبَراني في « الكبير » ، والضياء في « المختارة » ، وأبو نُعيم في « الحلية » ، وصحَّحه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٤١) ، و« الصحيحة » (١٦٨١) .. وحسَّنه أيضًا الشيخ شُعيب الأرنؤوط في تَحقيق « الآداب الشرعيَّة » ، لابن مفلح (١٨٣/٢) بلفظ : (**إنَّ بني إسرائيل لَمَّا قصُّوا هلكوا**) .

(٢) رواه أحْمد والبخاري ومسلم وابن ماجة عن أبِي سعيد ، والحاكم عن أبِي هريرة .

(٣) **صحيح** : رواه الحاكم في « المستدرك » عن ابن عباس ، وصحَّحه الألبانِي في « صحيح الجامع » (٤٩٤٣) .

■ وقال ﷺ : (**ليس منّا مَن عملِ بسُنة غيرِنا**)(١).

■ وقال ﷺ : (**مَن صنعَ أمرًا على غيرِ أمرِنا ، فهو ردٌّ**)(٢).

■ وقال رسول الله ﷺ : (**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تأخُذ أُمَّتي أخذَ القرون قبلَها ، شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع . قيل : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ قال : ومَن النَّاسِ إلاَّ أولئك**)(٣).

■ وقال رسول الله ﷺ : (**لَيأتيَنَّ على أُمَّتِي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعل بالنَّعل ، وإنَّ بنِي إسرائيل تفرَّقت على ثنتَينِ وسبعينَ مِلّةً ، وتفترقُ أُمَّتي على ثلاثِ وسبعينَ ملّة ، كلُّهم فِي النَّار إلاَّ ملّةً واحدة ؛ ما أنا عليه وأصحابِي**)(٤).

■ وقال ﷺ : (**افترقت اليهودُ على إحدى وسبعينَ فرقةً ، فواحدةٌ فِي الجنَّة ، وسبعون فِي النَّارِ ، وافترقت النَّصارى على اثنتَين وسبعينَ فرقةً ، فإحدى وسبعون فِي النَّار ، وواحدةٌ فِي الجنَّةِ ، والذي نفسُ مُحمدٍ بيده ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، فواحدةٌ فِي الجنَّةِ ، واثنتان وسبعون فِي النَّارِ**)(٥).

---

(١) **حسن** : رواه الديلمي فِي « مسند الفردوس » عن ابن عباس ، وحسَّنه الألباني فِي « صحيح الجامع » (٥٤٣٩) .

(٢) **صحيح** : رواه أبو داود عن عائشة ، وصحَّحه الألبانِي في « صحيح الجامع » (٦٣٦٩) .

(٣) رواه البخاري عن أَبِي هريرة .

(٤) **حسن** : رواه الترمذي عن ابن عمرو ، وحسَّنه الألباني فِي « صحيح الجامع » (٥٣٤٣) .

(٥) **صحيح** : رواه ابن ماجة عن عوف بن مالك ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (١٠٨٢) .

■ وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : (خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ، ثُمَّ قال : **هذا سبيلُ الله** .. ثُمَّ خَطَّ خطوطًا عن يَمينه وعن شِماله ، وقال : **هذه سُبُلٌ على كلٍّ سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه** .. وقرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣])(١).

■ وعن معاويةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**ألاَ إنَّ مَن قبلَكم مِن أهل الكتاب افتَرقوا على اثنتينِ وسبعينَ ملّةً ، وإنَّ هذه المِلّةَ سَتفترقُ على ثلاثٍ وسبعين ، ثنتان وسبعون فِي النَّارِ ، وواحدةٌ فِي الجنَّة ، وهي الجماعة ، وإنَّه سيخرجُ مِن أُمَّتِي أقوامٌ تَجارى بِهم تلك الأهواءُ كما يَتجارى الكَلَبُ(٢) بصاحبه ، لا يَبقى منه عِرقٌ ولا مِفصلٌ إلاَّ دَخَله**)(٣).

■ وعن أبِي أُمامةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : (**ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلاَّ أُوتوا الجَدل** .. ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨])(٤).

■ وعن عائشةَ -رضى الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ : (**أبغضُ**

---

(١) **حسن** : رواه أحْمد والنَّسائي والدارمي والحاكم -وصحَّحه-؛ وحسَّن إسنادَه الألبانِي فِي التعليق على «المشكاة» (١/٥٩) .

(٢) **الكَلَب** : مرضٌ ينتجُ من عضِّ الكلبِ الشَّرس .

(٣) **صحيح** : رواه أحْمد وأبو داود .. وقال الألبانِي : «سنده صحيح» .

(٤) **صحيح** : رواه أحْمد والترمذي وابن ماجة .. وقال الألبانِي : «سنده صحيح» .. انظر : «مشكاة المصابيح» (١/٦٤) .

الرِّجال إِلَى اللهِ الألدُّ الخَصِم)[١].

■ وعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال النَّبِيُّ ﷺ : **(المدينةُ حرامٌ ما بين عَيرٍ إِلَى ثور ، فمَن أحدَّث فيها حَدَثًا ، أو آوى مُحدثًا**[٢]**، فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجْمعين ، لا يَقبلُ اللهُ منه يومَ القيامة صرفًا ولا عدلاً**[٣]**)**[٤].

هذا فِي المُحدثِ المُبتدِع ، والذي يأوِيه لا يَقبلُ اللهُ منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً ، وعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاس أجْمعين .

---

(١) رواه البخاري ، وأحْمد ومسلم والترمذي والنسائي .

(٢) **آوَى مُحدثًا** : خبَّأ مُجرِمًا .. قال ابنُ بَطَّال -رحِمه اللهُ-: (دَلَّ الحديثُ على أنَّ مَن أحدث حدثًا أو آوى مُحدِثًا فِي غيرِ المدينة أنه غيرُ متوعَّدٍ بمثلِ ما تُوُعِّدَ به مَن فعل ذلك فِي المدينة -وإنْ كان قد عُلم أنَّ مَن آوى أهلَ المعاصي أنه يشاركُهم فِي الإثْم ، فإنَّ مَن رَضِيَ فِعلَ قومٍ وعَمَلَهم التَحَق بِهم-؛ ولكن خُصَّت المدينةُ بالذِّكر لشَرَفِها ، لكونِها مَهبِط الوحي وموطِنِ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ومنها انتَشر الدينُ فِي أقطار الأرض ، فكان لَها بذلك مَزيدُ فَضلٍ على غيرها) .. وقال غيره : (السرُّ فِي تَخصيص المدينة بالذِّكر أَنَّها كانت إذ ذاك موطنَ النبيِّ ، ثُم صارت موضعَ الخلفاء الراشدين) .. انظر : «فتح الباري» (١٣/٣٤٩) .

(٣) **الصَّرف** : الفريضة .. **والعَدْل** : النافلة .. وهذا قول الجمهور .. وفيه أقوالٌ أخرى .. انظر : «فتح الباري» (٤/١٠٦) .

(٤) رواه أحْمد والبخاري ومسلم والترمذي عن عليٍّ ، ومسلمٌ عن أبِي هريرة ، ونَحوه عن أنس ، رواه أحْمد والبخاري ومسلم ، ورواه الطيالسي وأبو نعيم والبيهقي فِي «السُّنن» .

■ وقال رسول الله ﷺ : (**المِراءُ فِي القرآنِ كُفرٌ**)[(١)].

■ وعن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه ، عن النَّبي ﷺ قال : (**إنَّما أخشى عليكم شهواتِ الغَيِّ فِي بطونِكم وفُروجِكم ، ومُضلاَّتِ الهَوى**)[(٢)].

■ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**وأمَّا المُهلكاتُ ؛ فشُحٌّ مُطَاع ، وهوًى مُتَّبَعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسه**)[(٣)].

■ وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ اللّهَ حَجَبَ التَّوبة عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتَّى يَدَعَ بدعتَه**)[(٤)].

■ وعن ابن عباسٍ -رضى الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : (**أبَى اللهُ أنْ يَقبلَ عملَ صاحبِ بدعةٍ حتَّى يَدَعَ بدعتَه**)[(٥)].

■ وعن عبدِالله بن عمرو -رضى الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود والحاكم عن أبِي هريرة ، وصحَّحه الحاكم والألباني فِي « صحيح الجامع » (٦٥٦٣) .

(٢) **صحيح** : رواه أحْمد والطبراني فِي معاجِمه الثلاثة .. وقال المنذري : « وبعض أسانيدهم رواته ثقات » .. وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الترغيب » (١/٢٥) .

(٣) **حسن** : رواه البزَّار والبيهقي ، وحسَّنه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (١/٢٥) .

(٤) **صحيح** : رواه البزار وقال المنذري : « إسناده حسن » .. وصحَّحه الألباني فِي « صحيح الترغيب » (١/٢٥) .

(٥) **صحيح** : رواه ابن ماجة وابن أبِي عاصم فِي « السُّنة » .. وصحَّحه الألباني فِي « صحيح الترغيب » (١/٢٦) .

(لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ ، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ[(١)] ، فمَن كانت فترتُه إلَى سُنَّتِي ، فقد اهتدى ، ومَن كانت فَترتُه إلَى غيرِ ذلك ، فقد هلكَ)[(٢)].

■ وعن أبِي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **(لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ ، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فإن كان صاحبُها سَدَّد أو قارَبَ فارجُوه ، وإنْ أُشير إليه بالأصابع فلا تَعُدُّوه)**[(٣)].

■ وعن العِرباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه أنّه سَمع رسول الله ﷺ يقول : **(لقد تركتُكم على مِثلِ البيضاء ، ليلُها كنهارِها ، لا يَزِيغُ عنها إلاَّ هالكٌ)**[(٤)].

قال أبو عِمرانَ الجَونِي : ليتَ شعري ، أيُّ شيءٍ عَلِمَ ربُّنا من أهلِ الأهواء حين أوجب لَهم النَّار ؟!!.

مَن سار على المَحجَّةِ البيضاء فِي الدنيا يسيرُ على المرمرةِ البيضاءِ -أرضِ الجنَّة- فِي الآخرة .. واحدةٌ بواحدة .

---

(١) **الشِّرَّة** : النَّشاط .. **والفَتْرة** : الكسل والملل .. والمقصود : أن لكل عمل فتراتِ نشاط .. وبعد النشاط تأتِي فتراتٌ من الفتور والكسل .

(٢) **صحيح** : رواه أحْمد والطحاوي وابن حبان وابن أبِي عاصم .. وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الترغيب » (١/٢٦) .

(٣) **صحيح** : رواه الترمذي والطحاوي وابن حبان فِي « صحيحه » .. وقال الترمذي : « حديث حسنٌ صحيح » .. وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الترغيب » (١/٢٦) .

(٤) **صحيح** : رواه أحْمد وابن ماجة والحاكم وابن أبِي عاصم .. وقال المنذري : « رواه بن أبِي عاصم بإسناد حسن » .. وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الترغيب والترهيب » (١/٢٧) .

أنتَ القتيـــلُ بكـــلِّ مـــن أحببتَـــه

فاخترْ لنفسِك فِي الْهَوى مَن تصطفِي

■ وعن أبي الدَّرداءِ ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ علينا ، فقال : (**وايْمُ الله لأتركَنَّكم على مثلِ البيضاء ، ليلُها كنهارِها سواءٌ**) .

قال أبو الدَّرداء ﷺ : صَدَقَ اللهُ ورسوله ، فقد تركَنا على مثل البيضاء[١] .

■ وعن العرباض ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إيَّاكم والبدعَ**)[٢] .

■ وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إيَّاكم والمُحدثاتِ ؛ فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ ضلالةٌ**) .

■ وفِي روايةٍ : (**إيَّاكم ومُحدثاتِ الأمور ، فإنَّها ضلالة**)[٣] .

■ وعن أنسٍ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال : (**إنَّ مِن النَّاسِ ناسًا مفاتيحَ للخير مَغَاليقَ للشَّرِّ ، ومِن النَّاسِ مفاتيحُ للشرِّ مغاليقُ للخير ، فطُوبَى لِمَن جعلَ الله مِفتاحَ الخير على يدَيه ، وويلٌ لِمَن جَعلَ مفتاحَ الشرِّ على يديه**)[٤] .

---

(١) **صحيح** : أخرجه ابن أبِي عاصم فِي « السُّنة » (٢٦/١) ، وصحَّحه الألبانِي .

(٢) **حسن** : رواه ابن أبِي عاصم فِي « السنة » (٢٠/١) ، وحسَّنه الألبانِي .

(٣) **صحيح** : رواه ابن أبِي عاصم -واللفظ له- وابن حبان وابن ماجة ، وصححَّه الألبانِي فِي التعليق على « السنة » لابن أبِي عاصم (١٧/١) .

(٤) **حسن** : رواه ابن أبِي عاصم فِي « السنة » (١٢٧/١ ، ١٢٨) ، وحسنه الألبانِي .

□ وعن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قال :

(واللهِ ما أظنُّ على ظَهر الأرض اليومَ أحدًا أحبَّ إلَى الشيطان هلاكًا منِّي .. فقيل : وكيف ؟ فقال : واللهِ أنّه لَيحدثُ البدعة فِي مشرقٍ أو مغربٍ ، فيَحملُها الرَّجلُ إلَيَّ ، فإذا انتهت إلَيَّ قمعتُها بالسُّنة ، فتُردُّ إليه كما أخرجه)[١] .

■ وعن أبِي الدَّرداءِ ﷺ ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : (**لا يدخلُ الجنَّةَ عاقٌّ ، ولا مكذّبٌ بقَدَر ، ولا مُدمنُ خَمر**)[٢] .

■ وعن أبِي أُمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**ثلاثةٌ لا يَقبلُ الله لَهم صَرْفًا ولا عَدْلاً : عاقٌّ ، ومنَّانٌ ، ومكذّبٌ بالقَدَر**)[٣] .

■ وعن جابرٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ مَجوسَ هذه الأمَّة المُكذّبون بأقدار الله ، إنْ مرِضوا فلا تَعودُوهم ، وإنْ لَقيتُموهم فلا تُسلّموا عليهم ، وإنْ ماتوا فلا تُصلُّوا عليهم**)[٤] .

■ وعن ابنِ عمرَ -رضى الله عنهما- أنَّ النَّبِي ﷺ قال : (**القَدَرية مَجوسُ هذه الأمَّة ، إنْ مرِضوا فلا تَعودُوهم ، وإنْ ماتوا فلا تشهدوهم**)[٥] .

■ وعن أبِي هريرةٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ مَجوسًا ،**

---

(١) « شرح أصول الاعتقاد » للالكائي (١/٥٥) .

(٢) **حسن** : رواه ابن أبِي عاصم -واللفظ له-، وأحْمد والبزار والطبرانِي وحسَّنه الألبانِي فِي التعليق على « السنة » لابن أبِي عاصم (١/١٤١) .

(٣) **حسن** : رواه ابن أبِي عاصم فِي « السنة » (١/١٤٢) ، وحسَّنه الألبانِي .

(٤) **حسن** : رواه ابن أبِي عاصم فِي « السنة » -واللفظ له- وابن ماجة والطبرانِي فِي « الصغير » ، والآجُرِّي فِي « الشريعة » ، وحسَّنه الألبانِي .

(٥) **حسن** : رواه ابن أبِي عاصم فِي « السنة » (١/١٥٠) ، وحسَّنه الألبانِي .

وإنَّ مَجوسُ هذه الأمَّة القَدَريَّةُ ، فلا تعودوهم إذا مرِضوا ، ولا تُصلُّوا على جنائزهم إذا ماتوا)[١].

■ وقال رسول الله ﷺ : (**الخوارجُ كِلابُ النَّار**)[٢].

■ وقال ﷺ : (**إنَّ من ضِئْضِئِ هذا**[٣] **قومًا يقرؤون القرآن ، لا يُجاوِزُ حناجرَهم ، يقتُلون أهلَ الإسلام ، ويَدَعونَ أهلَ الأوثان ، يَمرُقونَ مِن الإسلامِ كما يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّمية ، لئنْ أدركتُهم لأقتُلنَّهم قَتلَ عادٍ**)[٤].

■ وقال ﷺ : (**سيخرج فِي آخرِ الزَّمان قوم أحداثُ الأسنان ، سُفهاءُ الأحلام**[٥]**، يقولون من خيرِ قولِ البَريَّة ، يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ حناجرَهم ، يَمرقون من الدِّين كما يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّمية ، فإذا لقيتُموهم فاقتُلوهم ، فإنَّ فِي قتلِهم أجرًا لِمَن قَتَلهم عند الله يومَ القيامة**)[٦].

■ وقال ﷺ : (**سيكونُ بعدي من أُمَّتِي قومٌ يقرؤون القرآنَ لا يُجاوز حَلاقيمَهم ، يَخرجون من الدِّين كما يَخرج السَّهمُ من الرَّمية ، ثُمَّ لا يعودُون**

---

(١) **صحيح** : رواه ابن أبِي عاصم فِي « السنة » (١/١٥١) -واللفظ له-، والآجُرِّي فِي « الشريعة » ، والدُّولابِي فِي « الكُنَى » ، وصحَّحه الألبانِي .

(٢) **صحيح** : رواه أحْمد وابن ماجة والحاكم عن ابن أبِي أوفَى ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (٣٣٤٧) .

(٣) أي : من ذريَّته وصُلْبه .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبِي سعيد .

(٥) **الأحلام** : العقول .

(٦) رواه البخاري ومسلم عن عليٍّ .

فيه ، هم شرُّ الخَلقِ والخَليقة ، سيماهُمُ التَّحليقُ[(١)])[(٢)].

اعلم -يا أخي- أنَّ الدعوةَ إِلَى الاتِّباعِ والنَّهيِ عن الابتداعِ أصلٌ عظيمٌ من الدعوةِ إِلَى الله ، «وتبليغُ سُنته إِلَى الأمَّة أفضلُ من تبليغِ السِّهام إِلَى نُحور العدُّو ، ولأنَّ ذلك التبليغَ يفعلُه كثيرٌ من النَّاس ، وأمَّا تبليغُ السُّننِ ، فلا تقومُ به إلاَّ ورَثةُ الأنبياء وخلفاؤُهم فِي أُمَمِهم -جعَلنا الله منهم بِمنه وكرمه-» -كما قال ابنُ القيم-.

والمُبلِّغون لَهم مِن حفظِ الله وعصمته إيَّاهم بِحسب قيامهم بدينه .

▫ قال عمر بن الخطَّاب ﷺ فِي خُطبتِه التِّي ذكرها ابن وضَّاح فِي كتاب «الحوادث والبدع»[(٣)] له قال :

(الحمدُ لله الذي امتَنَّ على العبادِ بأنْ جعل فِي كلِّ زمانِ فتْرةٍ مِن الرُّسُلِ بقايا من أهل العلم ، يَدْعون مَن ضلَّ إلَى الْهُدى ، ويَصبِرون منهم على الأذى ، ويُحيُون بكتاب الله أهلَ العمى ، فكم من قتيلٍ لإبليسَ قد أحيَوه ! وضالٍّ تائه قد هدَوه ! بذَلوا دماءَهم وأموالَهم دون هَلَكةِ العباد ، فما أحسنَ أثرَهم على النَّاسِ ، وأقبحَ أثرَ النَّاس عليهم ! يقتُلونَهم فِي سالفِ الدَّهرِ وإلَى يومنا هذا ، فما نَسِيهم ربُّهم ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤] ، جَعل قَصَصَهم هُدًى ، وأخبَرَ عن حُسن مقالتِهم ، فلا تقصِدْ عنهم ، فإنَّهم فِي منْزلةٍ رفِيعة ، وإنْ أصابتهم الوضيعة) .

---

(١) أي : يتميَّزون بِحَلق رؤوسهم غالبًا -أو دائمًا-.

(٢) رواه أحْمد ومسلم وابن ماجة عن أبِي ذر ورافع بن عمرو الغِفاري .

(٣) «البدع والنهي عنها» لابن وضَّاح .

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه :

(إنَّ لله عند كلِّ بدعةٍ كِيدَ بها الإسلامُ وليًّا من أوليائه يَذُبُّ عنها ، ويِنطقُ بعلاماتِها ، فاغتنِموا حضورَ تلك المواطن ، وتوكَّلوا على الله) .

□ وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحِمه الله-:

(الرَّادُّ على أهل البدع مُجاهدٌ ، حتَّى كان يَحيَى بنُ يَحيَى يقول : الذبُّ عن السُّنة أفضلُ الجهاد)[1].

□ ويقول ابنُ القيم -رحِمه الله-:

(وأنتَ إذا تأمَّلتَ تأويلاتِ القرامطةِ والمَلاَحدةِ والفلاسفة والرَّافضة والقَدَريَّة والجهميَّة -ومَن سلكَ سبيل هؤلاء من المُقلِّدين لَهم فِي الحُكم والدَّليل-، ترى الإخبارَ بمضمونِها عن الله ورسوله لا يَقصُرُ عن الإخبار عنه بالأحاديث الموضوعة المصنوعة ، التِّي هي مِمَّا عملِته أيدي الوضَّاعين وصاغته ألسنِة الكذَّابين ، فهؤلاء اختلَقُوا عليه ألفاظًا وضعوها ، وهؤلاء اختلقوا فِي كلامه معانِيَ ابتدعوها ، فيا مِحنةَ الكتاب والسُّنة بين الفريقين !.

وما نازلةٌ نزلت بالإسلام إلاَّ مِن الطائفتينِ ، فهُما عدُوَّانِ للإسلام كائِدان ، وعن الصراطِ المستقيم ناكبان[2]، وعن قصدِ السبيل جائران) .

□ ثُمَّ قال -رحِمه الله-:

(فكَشْفُ عَوراتِ هؤلاء ، وبيانُ فضائحِهم ، وفسادُ قواعدِهم ، من أفضلِ

(١) « نقض المنطق » لابن تيمية (١٢) ، وانظر كتابه « التسعينية » (٢٣١/١) .
(٢) **ناكبان** : منحرفان .

الجهاد فِي سبيلِ الله ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ لِحسَّانَ بنِ ثابت رضي الله عنه : (**إنَّ رُوحَ القُدُسِ معك ما دُمتَ تُنافحُ عن رسولِه**) ، وقال ﷺ : (**اهْجُهُمْ -أو هاجِهِم- وجبريلُ معك**) ، وقال ﷺ : (**اللهمَّ أيِّدْه برُوحِ القدسِ ما دام يُنافحُ عن رسولك**) ، وقال ﷺ عن هجائه لَهم : (**والذي نفسي بيده لَهو أشدُّ فيهم مِن النَّبْلِ**)[١] ..)[٢].

□ وقال ابن القيم -رحِمه الله-:

(فكم من قتيلٍ لإبليسَ قد أحيَوه ! وكم مِن ضالٍّ جاهلٍ لا يعلمُ طريقَ رُشدِه قد هدَوه ! ومِن مبتدعٍ فِي دين الله بِشُهُبِ الحقِّ قد رَمَوْه ، جهادًا فِي الله ، وابْتغاءَ مرضاته)[٣].

□ وقال فِي «نونيَّته»[٤]:

هذا ونصرُ الدِّين فَرضٌ لازم ... لا للكفايةِ بل على الأعيانِ

بيَدٍ وإمَّا باللسانِ فإنْ عَجزْ ... تَ فبالتَّوجُّه والدُّعا بجَنانِ

□ وقال -رحِمه الله-:

(ومَن تأمَّلَ أحوال الرُّسُل مع أُمَمهم ؛ وجَدَهم كانوا قائمينَ بالإنكارِ عليهم أشدَّ قيامٍ حتَّى لقُوا اللّهَ تعالَى ، وأوصَوا مَن آمنَ بِهم بالإنكارِ على

---

(١) الحديثان الأول والرابع رواهُما مسلم ، والثاني والثالث رواهُما الشيخان .

(٢) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/٣٠١ ، ٣٠٢) .

(٣) «مفتاح دار السعادة» .

(٤) «النونيَّة» أو «الكافية الشافية فِي الانتصار للفرقة الناجية» ص(٤٠٨) .

مَن خالفهم ، وأخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّ المُتخلِّص من مقاماتِ الإنكار الثلاثة ليس معه مِن الإيْمانِ حبةُ خردلٍ[١]، وبالَغَ فِي الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكرِ أشدَّ المُبالغة ، حتَّى قال : (**إنَّ النَّاس إذا تركوه ؛ أوشكَ أنْ يَعُمَّهمُ الله بعقابٍ من عنده**)[٢].

وأخبَر أنَّ تركه يَمنعُ إجابةَ دعاءِ الأخيار ، ويُوجِبُ تسلُّطَ الأشرار .

وأخبر أنَّ تَركه يوقعُ المُخالفةَ بين القلوب والوجوه ، ويُحلُّ لعنةَ الله كما لَعن اللهُ بنِي إسرائيل على تركه[٣])[٤].

فالصحابةُ ﷺ قد واجهوا البدعَ وأهلَها بشدَّة ، فقَمعُوها وتبرَّؤوا مِن أهلها ، وذلك واضحٌ جليٌّ لِمَن تدبَّر سيرتَهم ، وعرفَ أخبارهم) .

□ قال ابن القيم -رحِمه الله-:

(وقد كان ابنُ عبَّاس شديدًا على القَدَريَّةِ ، وكذلك الصحابة)[٥].

□ قال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-:

(لا تُجالِسْ أهلَ الأهواء ، فإنَّ مُجالستَهم مُمرضةٌ للقلوب)[٦].

---

(١) كما فِي حديث : (**مَن رأى منكم منكرًا فلْيُغيِّرْه بيده ، فإن لَم يستطعْ فبلسانه ، فإنْ لَم يستطعْ فبقلبه -وهذا أضعفُ الإيْمان-**) .. رواه مسلم .

(٢) **صحيح** : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبِي بكر ، وصحَّحه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (١٩٧٣) ، وجوَّد إسنادَه الحافظ ، وقال الشيخ أحْمد شاكر : إسناده صحيح .. وصحَّحه أيضًا الأرنؤوط .

(٣) راجع كتابنا : (المسك الأذفر) .. ومطالع كتابنا (زهر البساتين) .

(٤) « مدارج السالكين » (١٢٣/٣) .

(٥) « شفاء العليل » لابن القيم (٦٠) .

(٦) « الإبانة » لابن بطة (٤٣٨/٢) .

□ وعن عطاءٍ -رحِمه الله- قال :

(أتيتُ ابنَ عباسٍ -رضى الله عنهما- وهو ينْزِعُ فِي زمزم -وقد ابتلَّت أسافلُ ثيابه-، فقلت : قد تُكُلِّمَ فِي القدر . قال : أوَ قد فعلُوها ؟ قلتُ : نعم . قال : فوالله ما نَزلت هذه الآية إلاَّ فيهم : ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٨ ، ٤٩] ، أولئك شِرارُ هذه الأمَّة ، لا تعودُوا مرضاهم ، ولا تُصلُّوا على موتاهم ، فإنْ أريتَنِي أحدَهم فقأتُ عينَه بإصبَعيَّ هاتين)[١] .

وعمرُ بن الخطَّاب ﷺ قد شجَّ رأسَ صَبيغِ بنِ عِسْلٍ لَمَّا كان يسألُ عن المُتشابه فِي القرآن .

□ فعن سليمانَ بن يَسَار :

(أنَّ رجلاً مِن بنِي تَميمٍ يقال له : صَبيغُ بنُ عِسْلٍ قَدِمَ المدينة ، وكانت عنده كُتب ، فجعل يسألُ عن مُتشابهِ القرآن ، فبلَغ ذلك عمرَ ، فبعث إليه -وقد أعدَّ له عَراجينَ النَّخيل-، فلمَّا دخل عليه جلس ، قال : مَن أنت ؟ قال : أنا عبدُالله صبيغٌ . قال عمرُ : وأنا عبدُالله عمرُ .. وأومأ عليه ، فجعل يضربُه بتلك العراجين ، فما زال يضربُه حتَّى شجَّه وجعل الدَّم يسيلُ على وجههِ . فقال : حسبُك يا أميرَ المؤمنين ، فقد -واللهِ- ذهبَ الذي أجدُ فِي رأسي)[٢] .

---

(١) « شرح السنة » للالكائي (٤/٧١٢) .. و« السنن الكبرى » للبيهقي (١٠/٢٠٥) .

(٢) « شرح السنة » للالكائي (٣/٦٣٥ ، ٦٣٦) .. وراجع ص (٥٣) .

□ وعن يَحيَى بن يَعْمَرَ قال :

(كان أولُ مِن قال بالقَدَرِ بالبصرةِ مَعبدٌ الجُهَنِيُّ ، فانطلقتُ أنا وحُمَيدُ ابنُ عبدالرحْمن الحميَريُّ حاجَّين -أو مُعتَمرَين-، فقلنا : لو لَقِينا أحدًا مِن أصحابِ رسول الله ﷺ فسألناه عمَّا يقول هؤلاء فِي القدرِ !!.. فوُفِّق لنا عبدُالله بنُ عمرَ بنِ الخطاب -رضى الله عنهما- داخلاً المسجد ، فاكتنَفتُه أنا وصاحبِي -أحدُنا عن يَمينه ، والآخرُ عن شِماله-، فظننتُ أنَّ صاحبِي سيَكِلُ الكلامَ إلَيَّ ، فقلتُ : أبا عبدالرحمن ، إنَّه قد ظهرَ قِبَلنا ناسٌ يقرؤون القرآنَ ويتقَفَّرون العلمَ[١] -وذَكَر من شأنِهم-، وأنَّهم يَزعُمون أنْ لا قَدَر ، وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ[٢]، قال ابنُ عمر : فإذا لَقِيتَ أولئك فأخبِرهم أنِي برِئٌ منهم ، وأنَّهم بُرَاءُ منِي ، والذي يَحلِفُ به عبدُالله بنُ عمر لو أنَّ لأحدِهم مِثلَ أُحُدٍ ذهبًا فأنفَقه ، ما قَبِلَ اللهُ منه حتَّى يؤمنَ بالقَدَر)[٣].

□ وكان سَمُرةُ بن جُندُب ﷺ شديدًا على الخوارجِ ، فكانوا يطعنون عليه[٤].

□ قال الإمامُ مالكٌ -رحِمه الله-:

(مَن ابتَدع فِي الإسلامِ بدعةً يراها حسنةً ، فقد زعم أنَّ مُحمدًا ﷺ

---

(١) يتقفَّرون : يتتبَّعون ويطلبونه .

(٢) أي : لَم يكتب الله تعالَى أعمالَ العباد ، ولا يعلمُها إلاَّ بعد وقوعها .. وهذا قولُ غُلاة القَدَرية -وليس جَميعَهم-؛ تعالَى الله عمَّا يقول الظالِمون علوًّا كبيرًا .. انظر : «شرح صحيح مسلم» (١/١٩٠) .

(٣) رواه مسلم (٨) .

(٤) «الإصابة» لابن حجر (٣/١٣٠) .

خان الرِّسالة ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لَم يكن يومئذٍ دِينًا ، فلا يكونُ اليومَ دينًا) .

نعم .. لئن لَم يَسَعْنا ما وَسِع القومَ ، فلا وَسِعَتْنا رحْمةُ الله .

▫ وعن حُمَيدِ بنِ مِهرانَ قال :

(سألت الحسنَ : كيف يَصنعُ أهلُ هذه الأهواءِ الخبيثةِ بهذه الآية : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ؟ قال : نبذُوها -وربِّ الكعبة- وراءَ ظهورهم) .

▫ وعن قتادةَ في قوله تعالَى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، قال :

(يعنَي أهلَ البدع) .

▫ وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- في قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، قال :

(تَبيضُّ وجوهُ أهلِ السُّنة ، وتَسودُّ وجوهُ أهلِ البدعة) .

قال تعالَى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

▫ قال بكرُ بنُ العلاء :

(أحسَبُه أراد شيطانًا من الإنس ، وهي البدعُ ، والله أعلم) .

▫ وعن مُجاهدٍ في قوله : ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ ، قال :

(البدع والشهوات) .

□ وعن عمرِو بنِ قَيسٍ المُلاَّئيِّ قال :

(لا تُجالِسْ صاحبَ زَيغٍ فيَزيغَ قلبُك)[١].

□ وقال إبراهيمُ النَّخَعي :

(لا تُجالسوا أهلَ الأهواء ، فإنَّ مُجالستَهم تَذهَبُ بنور الإيْمان من القلوب ، وتَسلُبُ مَحاسنَ الوجوه ، وتُورِّثُ البَغْضةَ فِي قلوب المؤمنين)[٢].

□ وقال مُجاهدٌ :

(لا تُجالِسْ أهلَ الأهواء ، فإنَّ لَهم عُرَّةً[٣] كعُرَّةِ الجُرْبِ)[٤].

□ وقال إسماعيلُ بنُ عُبيدالله :

(لا تُجالِسْ ذا بدعةٍ فيُمرِضَ قلبَك ، ولا تُجالِسْ مفتونًا ، فإنه مُلقَّنٌ حُجَّتَه)[٥].

□ وقال مُفضَّلُ بنُ مُهلهل :

(لو كان صاحبُ البدعة إذا جلستَ إليه يُحدِّثُك ببدعته حَذرتَه وفررتَ منه ، ولكنه يُحدِّثُك بأحاديثِ السُّنة فِي بُدُوِّ مَجلسه[٦]، ثُمَّ يُدخِلُ عليك بدعتَه ، فلعلها تلزمُ قلبَك ، فمتَى تَخرجُ من قلبك ؟!)[٧].

---

(١) «الإبانة» (٢/٤٣٦) .

(٢) «الإبانة» (٢/٤٣٩) .

(٣) العُرَّة -بضمِّ العين وتشديد الراء-: القذر .

(٤) «الإبانة» (٢/٤٤١) .

(٥) «الإبانة» (٢/٤٤٣) .

(٦) أي فِي بداية جلوسه معك .

(٧) «الإبانة» (٢/٤٤٤) .

◻ وكان الحسنُ ومُحمَّدُ بنُ سِيرين يقولان :

(لا تُجالِسوا أصحابَ الأهواء ، ولا تُجادِلوهم ، ولا تسمَعوا منهم)[١].

◻ وقال الإمام أحْمد -رحِمه الله-:

(أهلُ البدع ما ينبغي لأحدٍ أن يُجالسَهم ، ولا يُخالطَهم ، ولا يأنسَ بِهم)[٢].

◻ وعن ثابتِ بنِ عَجْلانَ قال :

(أدركتُ أنسَ بنَ مالكٍ ، وابنَ المسيَّب ، والحسنَ البصريَّ ، وسعيدَ بنَ جُبير ، والشَّعبِيَّ ، وإبراهيمَ النَّخعيَّ ، وعطاءَ بنَ أبِي رباحٍ ، وطاووسًا ، ومُجاهدًا ، وعبدَالله بنَ أبِي مُليكةَ ، والزُّهريَّ ، ومكحولاً ، والقاسمَ أبا عبدالرحْمن ، وعطاءً الخرسانِيَّ ، وثابتًا البُنانِيَّ ، والحَكمَ بنَ عُتيبةَ ، وأيوبَ السِّختيانِيَّ ، وحَمَّادًا ، ومُحمَّدَ بنَ سِيرين ، وأبا عامرٍ -وكان قد أدرك أبا بكرٍ الصديق-، ويَزيدَ الرَّقَاشيَّ ، وسليمانَ بنَ موسى : كلُّهم يأمرونِي بالجماعة ، ويَنهَونِي عن أصحاب الأهواء)[٣].

وقال تعالَى : ﴿ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [الحِجر : ٩] .

---

(١) « طبقات » (١٧٢/٧) ، و« سنن الدارمي » (١٢١/١) ، و« شرح السنة » للالكائي (١٣٣/١) ، و« الإبانة » لابن بطة (٤٤٤/٢) .

(٢) « الإبانة » (٤٧٥/٢) .

(٣) « المعرفة والتاريخ » للفَسَوي (٤٩١/٣ ، ٤٩٢) ، و« شرح السنة » لللالكائي (١٣٣/١) .

□ قال التُّستَريُّ :

(﴿ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ : طريقُ السنة ، ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ ، يعنَي إلَى النار ، وذلك المِلَلُ والبِدع) .

□ وجاء عن سُفيانَ بنِ عُيينةَ وأبِي قِلابةَ -وغيرِهما- أنَّهم قالوا :

(كلُّ صاحبِ بدعةٍ أو فِرْيةٍ ذليلٌ) .

واستدلوا بقوله تعالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

□ قال أبو الجَوزاء -وذَكر أصحابَ الأهواء-:

(والذي نفسُ أبِي الجَوزاءِ بيده ؛ لأَنْ تَمتلئَ داري قِردةً وخنازيرَ ، أحبُّ إلَيَّ من أن يُجاوِرَني رجلٌ منهم ، ولقد دخلُوا في هذه الآية : ﴿ هَاأَنْتُمْ أُوْلاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران ١١٩]) .

□ وقال الحسن :

(صاحبُ البدعة لا يزدادُ اجتهادًا -صيامًا وصلاةً-، إلاَّ ازدادَ من الله تعالَى بُعدًا) .

□ وعن أبِي إدريسَ الخَوْلانيِّ أنه قال :

(لأَنْ أَرى فِي المسجد نارًا لا أستطيعُ إطفاءَها ، أحبُّ إلَيَّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها) .

□ وقال الفُضيلُ بنُ عِياض :

(اتَّبِعْ طريقَ الهدى ، ولا يضُرُّك قلَّةُ السالكين ، وإيَّاك وطُرُقَ الضلالة ، ولا تغترَّ بكثرةِ الهالكين) .

□ وقال الحسنُ :

(لا تُجالِسْ صاحبَ هوًى فيَقذِفَ في قلبك ما تَتْبَعُهُ عليه فتهلِكَ ، أو تُخالفَه فيَمرَضَ قلبُك) .

□ وعن أبِي قِلابةَ قال :

(لا تُجالسوا أهلَ الأهواء ، ولا تُجادلوهم ؛ فإنِّي لا آمَنُ أن يَغمِسوكم في ضلالتهم ، ويَلبِسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[1].

قال أيوبُ : (وكان -أبو قلابةَ- واللهِ من الفقهاء ذوِي الألباب) .

□ وعنه أيضًا أنه كان يقول :

(إنَّ أهلَ الأهواء أهلُ ضلالة ، ولا أرى مصيرَهم إلاَّ إلَى النار) .

□ وعنه أيضًا قال :

(ما ابتَدع رجلٌ بدعةً إلاَّ استَحلَّ السَّيف) .

□ وعن أيوبَ السِّختيانيِّ قال :

(ما ازدادَ صاحبُ بدعةٍ اجتهادًا ، إلاَّ ازداد من الله بُعدًا) .

---

(١) «سنن الدارمي» (١/١٢٠) ، و«السنة» لعبدالله بن أحمد (١/١٣٧) ، و«شرح السنة» للالكائي (١/١٣٤) ، و«الإبانة» (٢/٤٣٥) .

□ وعن سُفيانَ قال :

(كان رجلٌ فقيهٌ يقول : ما أُحِبُّ أنِّي هَدَيتُ الناسَ كلَّهم وأضللتُ رجلاً واحدًا) .

□ وكان ابنُ سيرين يَرى أسرعَ الناسِ رِدَّةً أهلَ الأهواء .

□ وقال إبراهيم :

(لا تُكلِّموهم ، إنِّي أخافُ أنْ ترتدَّ قلوبُكم) .

□ وعن هشامِ بن حسَّانَ قال :

(لا يَقبلُ اللهُ من صاحبِ بدعةٍ صيامًا ، ولا صلاةً ، ولا حَجًّا ، ولا جهادًا ، ولا عُمرةً ، ولا صدقةً ، ولا عِتقًا ، ولا صَرْفًا ، ولا عَدْلاً ، ولَيأتيَنَّ على الناس زمانٌ يَشتبهُ فيه الحقُّ والباطل ، فإذا كان ذلك ، لَم ينفعْ فيه دعاءٌ إلاَّ كدعاءِ الغريق) .

□ وقال يَحيَى بنُ أبي كثيرٍ :

(إذا لَقيتَ صاحبَ بدعةٍ فِي طريقٍ ، فخُذْ فِي طريقٍ آخرَ) .

□ وقال بعضُ السلف :

(مَن جالَسَ صاحبَ بدعةٍ نُزعت منه العصمة ، ووُكِلَ إلَى نفسِه) .

□ وعن العوَّامِ بنِ حوشبٍ أنه كان يقولُ لابنه :

(يا عيسى ، أصلِحْ قلبك ، وأقلِلْ مالَك) .

□ وكان يقول :

(واللهِ لأنْ أَرى عيسى فِي مَجالسِ أصحابِ البَرابط[1] والأشربةِ والباطل ،

---

(١) البَرابط -جَمع بَرْبط-: المِزْهَر والعُود .. وهو فارسيٌّ معرب .

أحبُّ إلَيَّ من أنْ أَراه يُجالسُ أصحابَ الخصومات) .

قال ابنُ وضَّاح : (يعنِي أهلَ البدع) .

□ وقال يَحيَى بن أبِي عُمرَ الشَّيبانِي :

(كان يقال : يأبَى اللهُ لصاحب بدعةٍ توبةً ، وما انتَقل صاحبُ بدعةٍ إلاَّ إلَى شرٍّ منها) .

□ وقال أبو العالية :

(إيَّاكم وهذه الأهواءَ التِي تُلقي بين الناسِ العداوةَ والبغضاء) .

فحُدِّث الحسنُ بذلك ، فقال : (رحِمه الله ، صَدَق ونصح) .

□ وقال آخرُ :

(أهلُ هذه الأهواءِ آفةُ أُمَّة مُحمَّد ﷺ ، إنَّهم يذكرون النَّبيَّ ﷺ وأهلَ بيته ، فيَتصيَّدون بِهذا الذِّكرِ الحسنِ الجُهَّالَ من الناس ، فيَقذِفون بِهم فِي المَهالك ، فما أشبَهَهم بِمَن يَسقي الصَّبْرَ باسم العسل ! ومَن يَسقي السُّمَّ القاتلَ باسمِ التِّرياق[1]!.. فأبصِرْهم ، فإنك إنْ لَم تكن أصبحتَ فِي بَحرِ الماء ، فقد أصبحتَ فِي بَحر الأهواء -الذي هو أعمقُ غَورًا ، وأشدُّ اضطرابًا ، وأكثرُ صواعقَ ، وأبعدُ مَذهبًا من البحر وما فيه-، ففُلْكُ مطيَّتِكَ التِي تقطعُ بِها سَفَرَ الضلال : اتِّباعُ السُّنة)[2].

---

(١) التِّرياق : الدواء .

(٢) «الاعتصام» (١/٨٢ : ٨٦) .

□ وقال ابن شُبْرُمة :

إذا قلتَ : جِدُّوا فِي العبادةِ واصبِروا
أصرُّوا وقالوا : لا ، الخصومةُ أفضلُ

خلافًا لأصحابِ النَّبِيِّ وبدعةً
وهم لسبيلِ الحقِّ أعمى وأجهلُ

□ وقال مُطرِّفُ بنُ عبدالله بنِ الشِّخِّير :

(لو كانت هذه الأهواءُ كلُّها هوًى واحدٌ ، لقال القائل : الحقُّ فيه .. فلمَّا تشعَّبت واختَلفت ، عَرف كلُّ ذي عقلٍ أنَّ الحقَّ لا يَتفرَّق) .

□ وقال مالكُ بنُ أنس :

(الكلامُ فِي الدِّين كلُّه أكرهُه[١]، ولَم يَزَلْ أهلُ بلدِنا يكرهونه : القَدَرُ ، ورأيُ جهمٍ -وكلُّ ما أشبَهَ-، ولا أُحبُّ الكلامَ إلاَّ فيما كان تَحتَه عملٌ ، فأمَّا الكلامُ فِي الله ، فالسكوتُ عنه ؛ لأنِّي رأيتُ أهلَ بلدِنا يَنهَون عن الكلام فِي الدِّين ، إلاَّ ما كان تَحته عملٌ) .

□ وقال أيضًا :

(مهما تلاعَبْتَ به من أمرِ شيءٍ ، فلا تلاعَبَنَّ بأمرِ دينِك) .

□ وقال الأوزاعي :

(إذا أراد اللهُ بقومٍ شرًّا ألزَمهم الجدل ، ومَنَعهم العمل) .

---

(١) يقصد البدعَ فيه .

□ وقال عبدُالله بن المبارك :

(صاحبُ البدعة على وجهِ الظُّلْمة ، وإنِ ادَّهن كلَّ يومٍ ثلاثين مرَّةً) .

□ وقال عطاءٌ الخُراسانِي :

(ما يكادُ اللهُ أن يأذنَ لصاحبِ بدعةٍ بتوبة) .

□ وقال الحسنُ البصريُّ :

(أبَى اللهُ تبارك وتعالَى أن يأذنَ لصاحب هوًى بتوبةٍ) .

□ وقال أيضًا :

(ليس لصاحبِ بدعةٍ ولا لفاسقٍ يُعلِنُ بفسقه غِيبةٌ) .

□ وقال كثيرُ بنُ أبِي سَهلٍ :

(يقال : أهلُ الأهواء لا حُرمةَ لَهم)[1].

□ وقال الفُضيلُ بنُ عِياض :

(المؤمنُ يقفُ عند الشُّبهة ، ومَن دخل على صاحبِ بدعةٍ فليست له حُرمةٌ ، وإذا أحبَّ اللهُ عبدًا وَفَّقه لعملٍ صالِحٍ ، فتقرَّبوا إلَى اللهِ بِحُبِّ المساكين) .

□ وقال ابنُ المبارك :

(لَم أرَ مالاً أحقَّ من مالِ صاحبِ بدعة) .

□ وقال :

(اللهمَّ ، لا تَجعلْ لصاحب بدعةٍ عندي يدًا فيُحبَّه قلبِي) .

---

(١) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/١٤٠ : ١٥٠) .

□ وقال أيضًا :

(لِيَكُنْ مَجلسُك مع المساكين ، وإياك أن تُجالسَ صاحبَ بدعةٍ) .

□ وقال الفُضيل :

(من أتاه رجلٌ فشَاوَرَه ، فدَلَّه على مبتدعٍ ، فقد غَشَّ الإسلام ، واحذَروا الدخولَ على أصحاب البدع ؛ فإنَّهم يَصُدُّون عن الحق) .

□ وقال -رحِمه الله-:

(لا تَجلسْ مع صاحب بدعة ، فإنِّي أخافُ أن تنْزلَ عليك اللعنة) .

□ وقال أيضًا :

(مَن جلس مع صاحب بدعةٍ أحبطَ اللهُ عملَه ، وأخرجَ نورَ الإسلام من قلبه) .

□ وقال أيضًا :

(صاحبُ البدعة لا تأمَنْه على دينك ، ولا تشاوِرْه فِي أمرك ، ولا تَجلسْ إليه ، فمَن جَلس إلَى صاحب بدعةٍ وَرَّثَه اللهُ العمى)[1].

□ وقال أيضًا :

(إنَّ لله ملائكةً يطلبون حِلَقَ الذِّكر ، فانظرْ مع من يكونُ مَجلسُك ؛ لا يكونُ مع صاحب بدعةٍ ؛ فإنَّ الله لا ينظرُ إليهم ، وعلامةُ النِّفاق أن يقومَ الرجلُ ويقعدَ مع صاحب بدعة) .

---

(١) أي : عمى القلب والبصيرة .

□ وقال أيضًا :

(الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدة ، ولا يُمكنُ أن يكون صاحبُ سُنة يُمالِئُ[(١)] صاحبَ بدعةٍ إلاَّ من النفاق) .

□ وقال أيضًا :

(أدركتُ خيارَ الناس كلُّهم أصحابُ سُنةٍ ، ويَنهَون عن أصحاب البدع) .

□ وقال أيضًا :

(لا يُرفَعُ لصاحبِ بدعةٍ إلَى الله عملٌ) .

□ وقال عبدُالله بن عمر السَّرَخْسي -عالِم الخَرز-:

(أكلتُ عند صاحب بدعةٍ أكْلةً ، فبلغ ذلك ابنَ المبارك ، فقال : لا كلَّمتُه ثلاثين يومًا) .

□ وقال إبراهيمُ بنُ مَيْسرة :

(مَن وقَّر صاحبَ بدعةٍ ، فقد أعان على هدمِ الإسلام)[(٢)].

□ وقال يونسُ بنُ عُبيد :

(لا تُجالِسْ سُلطانًا ، ولا صاحبَ بدعة) .

□ وقال مُحمَّدُ بنُ النَّضرِ الحارثيُّ :

(مَن أصغى سَمْعَه إلَى صاحب بدعة -وهو يعلمُ أنه صاحبُ بدعة- نُزعت منه العصمةُ ، ووُكِلَ إلَى نفسِه) .

---

(١) يُمالِئ : يوافق .

(٢) راجع -لزامًا- الهامش رقم (٤) ص (٣٩) .

□ وقال الثوريُّ :

(إياكَ والأهواءَ والخصومة ، وإيَّاك والسلطانَ) .

□ وقال أيضًا :

(المسلمون كلُّهم عندنا على حالةٍ حسنةٍ إلاَّ رجلين : صاحبَ بدعة ، أو صاحبَ سلطان) .

□ وقال عمرُ بنُ عبدالعزيز :

(إذا رأيتَ قومًا يتناجَون فِي دينهم بشيءٍ دون العامة ، فاعلم أنَّهم على تأسيسِ ضلالة)[1].

□ وقال مَعْمَر :

(كان ابنُ طاووسٍ جالسًا ، فجاء رجلٌ من المعتزلة ، فجعل يتكلم ؛ فأدخل ابنُ طاووس إصبَعَيه فِي أُذنيه ، وقال لابنه : أي بنَي ، أدخِلْ إصبعيَك فِي أذنيك ، واشدُدْ ، لا تسمعْ من كلامه شيئًا) .

قال معمرٌ : (يعنِي أنَّ القلب ضعيفٌ)[2].

□ وقال عبدُالرزاق :

(قال لِي إبراهيمُ بنُ أبِي يَحيَى : إنِّي أرى المعتزلةَ عندكم كثيرًا ! قلتُ : نعم ، وهم يَزعمون أنك منهم . قال : أفلا تدخلُ معي هذا الحانوتَ حتَّى أُكلِّمَك ؟ قلتُ : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ القلبَ ضعيفٌ ، وإنَّ الدِّينَ ليس لمن غَلَب)[3].

---

(١) « شرح أصول الاعتقاد » للالكائي (١/١٣٥ : ١٤١) .
(٢) « المصنَّف » ، عبدالرزاق الصنعانِي رقم (٢٠٠٩٩) .
(٣) « الإبانة » لابن بطة .

□ وقال الثوريُّ :

(مَن سَمِع بدعةً فلا يَحكِها لِجُلسائه ، لا يُلقِها فِي قلوبِهم) .

□ وقال أيوب :

(لستَ تردُّ عليهم بشيءٍ أشدَّ من السكوت) .

□ وقال عبدُالله بنُ السَّري :

(ليس السُّنةُ عندنا أنْ يُردَّ على أهلِ الأهواء ، ولكنَّ السُّنةَ عندنا ألاَّ نُكلِّمَ أحدًا منهم) .

□ ورُوي عن حنبلِ بنِ إسحاقَ بنِ حنبل قال :

(كتب رجلٌ إلَى أبِي عبدالله[1] -رحمه الله- كتابًا يستأذنُ فيه أن يضعَ كتابًا يشرحُ فيه الردَّ على أهل البدع ، وأن يَحضُرَ مع أهل الكلامِ فيُناظِرَهم ويَحتجَّ عليهم .. فكتب إليه أبو عبدالله كتابًا فيه : الذي كنا نسمعُ -وأدركنا عليم مَن أدرَكْنا من أهل العلمِ-: أنَّهم كانوا يكرَهون الكلامَ والجلوسَ مع أهلِ الزيغ ، وإنَّما الأمرُ فِي التسليم والانتهاءِ إلَى ما كان فِي كتاب الله ، أو سُنَّة رسولِ الله ﷺ ، لا فِي الجلوس مع أهل البدع والزيغ لتردَّ عليهم ، فإنَّهم يَلْبِسون عليك ، وهم لا يَرجِعون ؛ فالسلامةُ -إن شاء الله- فِي ترك مُجالستِهم والخوضِ معهم فِي بدعتهم)[2] .

---

(١) يعنِي الإمامَ أحْمد بن حنبل .

(٢) «الإبانة» لابن بطة .

□ وعن إسماعيلَ بنِ خارجةَ قال :

(دخل رجلانِ من أهل الأهواء على مُحمَّدِ بنِ سيرينَ ، فقالا : يا أبا بكرٍ ، نُحدِّثُك بحديثٍ ؟ فقال : لا . قالا : فنقرأُ عليك آيةً من كتابِ الله ؟ فقال : لا .. ثُمَّ قال : تقومانِ عنِّي ، وإلاَّ قمتُ .. فقام الرجلان ، فخرجا ، فقال بعضُ القوم : ما كان عليك أن يقرآ آيةً ؟! قال : إنِّي كرهتُ أن يقرآ آيةً فيُحرِّفاها ، فيَقَرَّ ذلك فِي قلبِي) .

□ وقال الحسنُ البصري :

(أهلُ الهوى بِمنْزلةِ اليهود والنصارى) .

□ وقال مُحمَّدُ بنُ سيرين :

(لو خَرج الدجَّالُ لَرأيتُ أنه سيَتْبَعُه أهلُ الأهواء) .

□ وعن إبراهيمَ قال :

(إذا امتَنع الإنسان على الشيطان قال : مِن أين آتيه ؟! ثُمَّ قال : بلى ، آتيهِ مِن قِبَلِ الأهواء) .

□ وعن الشَّعبيِّ قال :

(إنَّما سُمِّيَتِ «الأهواءَ» لأنَّها تَهوِي بصاحبها فِي النار) .

□ وقال أبو العالية :

(ما أدرِي أيَّ النِّعمتَين عليَّ أعظم ؟ أنْ أخرجَنِي اللهُ من الشِّرك إلَى الإسلام ؟ أو عصَمنِي فِي الإسلام أن يكون لِي فيه هوًى ؟!) .

□ وعن الحسن أن رجلاً أتاه ، فقال :

(يا أبا سعيد ، إنِّي أُريد أن أخاصمَك . فقال الحسن : إليك عنِّي ، فإنِّي قد عرفتُ دينِي ، وإنَّما يُخاصِمُك الشاكُّ فِي دينه)[1].

□ وقال جعفرٌ الباقر :

(إيَّاكم والخصوماتِ فِي الدِّين ، فإنَّها تُشغِلُ القلب ، وتُورِّثُ النفاق) .

□ وقال الأحنفُ بنُ قَيس :

(كثرةُ الخصومة تُنبتُ النفاقَ فِي القلب) .

□ وقال معاويةُ بنُ قُرَّة :

(إياكم وهذه الخصوماتِ ، فإنَّها تُحبِطُ الأعمال) .

□ وقال هَرِمُ بنُ حَيَّان :

(صاحبُ الكلام على إحدى المنْزلتين : إنْ قَصَّر فيه خُصم ، وإن أغرَقَ فيه أَثِم) .

□ وقال الفُضيل بنُ عياض :

(لا تُجادلوا أهلَ الخصومات ، فإنَّهم يَخوضون فِي آيات الله) .

□ وعن مُجاهد قال :

(قيل لابنِ عمر : إنَّ نَجْدَةَ[2] يقول كذا وكذا . فجعل لا يَسمعُ منه كراهةَ أن يقعَ فِي قلبه منه شيءٌ) .

---

(١) رواه الآجُرِّي فِي « الشريعة » (٥٧) .. و« شرح أصول الاعتقاد » للالكائي (١/١٢٩) .

(٢) هو نَجْدَةُ بن عامر الحروريُّ الخارجيُّ .

□ وعن عبدالله بنِ خبَّابِ بن الأرَتِّ قال :

(بينما نَحن فِي المسجد ، ونَحن جلوسٌ مع قومٍ نقرأُ السَّجدةَ ونبكي ، فأرسل إلَيَّ أبِي ، فوجدتُه قد أحضر معه هِرَاوةً له[١]، فأقبَل عليَّ ، فقلتُ : يا أبَهْ ، ما لِي ، ما لِي ؟! قال : ألَم أرَكَ جالسًا مع العمالقة[٢]!! ثُمَّ قال : هذا قرنٌ خارجٌ الآن) .

□ وعن عبدِالله بن أبِي الهُذَيل العَنبرِيِّ قال :

(كنَّا جلوسًا مع عبدالله بنِ خبَّابِ بنِ الأرتِّ ، وهو يقول : سبِّحوا كذا وكذا ، واحْمَدوا كذا وكذا ، وكبِّروا كذا وكذا .. فمرَّ خبابٌ ، فنظر إليه ، ثُمَّ أرسل إليه ، فدعاه ، فأخذَ السَّوطَ ، فجَعل يضربُ رأسَه به وهو يقول : يا أبتاه ، فِيمَ تضرِبُني ؟ فقال : مع العمالقة ؟!! هذا قرنُ الشيطان قد طَلَع .. أو قد بَزَغ) .

□ وعن الضَّحَّاك قال :

(رأيتُ عمرَ بنِ عبدالعزيز يَسجُنُ القُصَّاصَ ومَن يَجلسُ إليهم) .

□ وقال عمرُ بنُ العلاء اليمانيُّ لسفيانَ الثوريِّ :

(يا أبا عبدالله ، أستقبلُ القاصَّ ؟ فقال : وَلُّوا البِدعَ ظهورَكم)[٣].

---

(١) الهِراوة -بكسر الهاء-: العصا الضخمة .

(٢) يقال لِمن يَخدعُ الناس : عملاق .. والعَمْلقة : التعمُّق فِي الكلام .

(٣) «البدع والنهي عنها» لابن وضَّاح القرطبِي (٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨) .

□ وعن حُميد الأعرجِ قال :

(قَدِم غَيلانُ[١] مكةَ يُجاوِرُ بها ، فأتى غَيلانُ مُجاهدًا ، فقال : يا أبا الحَجَّاج ، بلغَنِي أنك تَنهى عنِّي وتَذكُرُني ، بلغَك عنِّي شيءٌ لا أقوله ؛ إنَّما أقولُ كذا -فجاء بشيءٍ لا يُنكر-، فلمَّا قام قال مُجاهدٌ : لا تُجالِسوه ؛ فإنه قَدَريٌّ .

قال حُميدٌ : فبينا أنا يومًا فِي الطواف ، لَحِقَنِي غَيلانُ من خَلْفِي يَجذبُ ردائي ، فالتفتُّ ، فقال : كيف يقولُ مُجاهدٌ حرفَ كذا ؟ فأخبَرتُه ، فمشَى معي ، فبَصُرَ بِي مُجاهدٌ معه ، فأتيتُه ، فجعلتُ أُكلِّمُه ، فلا يردُّ عليَّ ، وأسألُه فلا يُجيبُنِي .

فغدوتُ إليه ، فوجدتُه على تلك الحال ، فقلتُ : يا أبا الحَجَّاج ، أبَلَغَكَ عنِّي شيءٌ ؟ ما أحدثتُ حَدَثًا ! ما لِي ؟ قال : ألَم أَرَك مع غَيلان ، وقد نَهيتُكم أن تُكلِّموه أو تُجالِسوه ؟! قلتُ : يا أبا الحجَّاجِ ، ما أنكرتُ قولَك ، وما بدأتُه ، هو بَدَأنِي . قال : واللهِ يا حُميدُ ، لولا أنك عندي مُصدَّقٌ ما نظرتَ لِي فِي وجهٍ منبسطٍ ما عشتَ ، ولئن عُدتَ لا تنظرْ لِي فِي وجهٍ مُنبَسِطٍ ما عشتُ) .

□ وعن أيوبَ قال :

(كنتُ يومًا عند مُحمَّدِ بن سيرين ، إذ جاء عمرُو بنُ عُبيد[٢] فدخل ، فلمَّا جلس ، وضع مُحمدٌ يدَه فِي بطنه وقام ، فقلتُ لعمرٍو : انطلِقْ بنا .

---

(١) هو غيلان القدريُّ . (٢) الخارجيُّ .

قال : فخرَجْنا ، فلمَّا مضى عمروٌ رجعتُ ، فقلتُ : يا أبا بكر ، قد فطِنتُ إلَى ما صنعتَ . قال : أقَدْ فطنتَ ؟ قلت : نعم . قال : أمَا إنه لَم يكن لِيَضُمَّنِي معه سَقفُ بيتٍ واحدٍ) .

□ وقال أيضًا :

(دخل رجلٌ على ابن سيرينَ ، فقال : يا أبا بكرٍ ، أقرأُ عليك آيةً من كتاب الله ، لا أزيدُ أن أقرأها ثُمَّ أخرُج ؟ فوضع إصبَعَيه فِي أُذنيه ، ثُمَّ قال : أعزِمُ عليك -إنْ كنتَ مسلمًا- إلاَّ خرجتَ من بيتِي .. فقال : يا أبا بكرٍ ، لا أَزيدُ على أن أقرأَ الآيَةَ ثُمَّ أخرج .. فقام لإزارِه يَشُدُّه ، وتَهيَّأَ للقيام ، فأقبَلْنا على الرجل ، فقلنا : قد عَزمَ عليكَ إلاَّ خرجتَ ، أفيَحِلُّ لك أنْ تُخرِجَ رجلاً من بيتِه ؟ قال : فخرج ، فقلنا : يا أبا بكر ، ما عليكَ لو قرأ آيةً ثُمَّ خرج ؟! قال : إنِّي واللهِ لو ظننتُ أنَّ قلبِي يثبتُ على ما هو عليه ما بالَيتُ أن يقرأ ، ولكن خِفتُ أن يُلقيَ فِي قلبِي شيئًا أَجهَدُ فِي إخراجه من قلبِي فلا أستطيع) .

□ ورُوِي عن ابن مسعودٍ ﷺ أنه قال :

(مَن أَحبَّ أن يُكرِمَ دينه ، فلْيَعتزلْ مُخالطةَ السلطان ومُجالسةَ أصحاب الأهواء ؛ فإنَّ مُجالستَهم ألصقُ من الجَرَب) .

□ وعن بعضِهم قال :

(كنتُ أمشي مع عمرِو بنِ عُبيدٍ ، فرآنِي ابنُ عونٍ ، فأعرَضَ عنِّي .

وقيل : إنه دخل دارَ ابنِ عون ، فسكت ابنُ عونٍ لَمَّا رآه ، وسكتَ

عمرٌو عنه فلم يسألْه عن شيءٍ ، فمكث هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قال ابنُ عون : بِمَ استَحلَّ أن يدخلَ داري بغير إذنِي ؟!) .. مرارًا يردِّدُها .

□ وعن مؤمَّلِ بنِ إسماعيلَ قال :

(قال بعضُ أصحابنا لِحمَّاد بن زيدٍ : ما لك لَم تَرْوِ عن عبدالكريم إلاَّ حديثًا واحدًا ؟ قال : ما أتيتُه إلاَّ مرةً واحدةً لِمَسَاقِه فِي هذا الحديث ، وما أُحبُّ أن أيوبَ عَلِمَ بأتيانِي له وأنَّ لِي كذا وكذا ، وإنِّي لأظنُّه لو عَلِم لكانت الفصيلةُ بينِي وبينه) .

□ وعن إبراهيمَ أنه قال لِمُحمَّدِ بن السائب :

(لا تَقْرَبْنا مادمتَ على رأيك هذا) .. وكان مُرجئًا .

□ وعن حَمَّادِ بن زيدٍ قال :

(لَقِيَنِي سعيدُ بنُ جبير ، فقال : ألَم أرَك مع طَلْقٍ ! قلتُ : بلى ، فما له ؟ قال : لا تُجالسْه ، فإنه مرجئٌ) .

□ وعن مُحمَّدِ بنِ واسعٍ قال :

(رأيتُ صفوانَ بنَ مُحرِز وقريبٌ منه رجلانِ يتجادلانِ ، فرأيتُه قائمًا ينفضُ ثيابَه ، ويقول : إنَّما أنتم جُرْبٌ) .

□ وعن الأوزاعيِّ قال :

(لا تُكلِّموا صاحبَ بدعةٍ من جدل ، فيُورِّثَ قلبَكم من فِتنتِه)[1].

---

(١) «الاعتصام» للشاطِبي (٢/٢٧٦ ، ٢٧٨) .

□ وقال أبو يوسف لِبِشرٍ المَرِيسيِّ :

(يا بِشر ، إمَّا أنْ تتوبَ أو تُفسد علينا خَشَبَة) .

وانظرْ إلَى جعدِ بن درهمٍ -وهو أوَّلُ من تفوَّهَ بكلمةٍ خبيثةٍ فِي الاعتقادِ ونَفْيِ صفات الله ، وقال بخَلق القرآن ، وأنكر أن يكون الله قد تكلم به ، وقال : إنَّ اللهَ لَم يتَّخذْ إبراهيمَ خليلاً-، فذبَحه خالدُ بن عبدالله أميرُ العراق بواسط فِي يومِ أضحًى ، حيث قال : (أيها النَّاس ، اذهبُوا إلَى أضاحِيكم -يتقبَّلُ اللهُ منكم-، فإنِّي مُضحٍّ بالجَعدِ بن درهم ، إنه زعمَ أنَّ اللهَ لَم يتَّخذْ إبراهيمَ خليلاً ولَم يُكلم موسى تكليمًا) .. ثُمَّ نزل فذبَحه ، وكان ذلك بفتوى أهلِ زمانه مِن التَّابعين ، فشَكَر له صنيعَه أهلُ السُّنةِ والجماعة ..

شكرَ الضَّحيَّةَ كلُّ صاحبِ سُنةٍ   للهِ درُّك مــن أخــي قُربانِ !

ننظرُ إلَى أُسِّ الضلالةِ ورأسِ الجهمية : جَهمِ بنِ صفوان ، الذي تَبَنَّى آراءَ الجعد ، وزاد عليها بدعًا أخرى .

□ قال عنه إبراهيمُ بن طَهْمان :

(ما ذكرتُه -وما ذُكر عندي- إلاَّ دعوتُ اللَّهَ عليه ، ما أعظمَ ما أورثَ أهلَ القبلة مِن منطقه العظيم !) .

لَمَّا أُسر الجَهمُ وأُوقف بين يدَيْ سَلْمِ بنِ أحوزَ ، فأَمر بقتله لإنكاره أنَّ اللَّهَ كلَّم موسى ، فقال : إنَّ لِي أمانًا مِن أبيك .. فقال : ما كان له أنْ يؤمِّنك ، ولو فعل ما أمَّنتُك ، ولو ملأتَ هذه المَلاءةَ كواكبَ ما نَجوتَ ، واللهِ لو كنتَ فِي بطنِي لشققتُ بطنِي حتَّى أقتُلَك) .. وأمَر ابنَ ميسرةَ فقتله .

وفي روايةِ ابن جرير : (وأبرأك إلَيَّ عيسى بنُ مريَمَ ما نَجوتَ)[١].

وأحمدُ بن أبي دُوَاد الإيادي الذي جرَّ البلاد إلَى محنةِ خلق القرآن ، وأهان علماءَ الأمَّة ، وتكلَّم فِي عقيدةِ أهل السُّنة ، دعا عليه الإمامُ أحْمد ، فَحَبَسه اللهُ فِي جسدهِ ، فدخل عليه عبدُالعزيز الكنانِيُّ ، وقال له : (لَم آتك عائدًا ، بل لأحْمدَ اللَّهَ أنْ سجنَك فِي جِلْدِك)[٢].

□ قال الخطيبُ البغدادي :

(لَمَّا مات بِشرُ بن غِياثٍ المَرِيسي لَم يشهَدْ جنازتَه من أهلِ العلم والسُّنة أحدٌ إلاَّ عُبيدٌ الشونيزي ، فلمَّا رجعَ من جنازتِه أقبلَ عليه أهلُ السُّنة والجماعة ، وقالوا له : يا عدوَّ الله ، تَنتحلُ السُّنة ، وتشهدُ جنازةَ المَريسي ؟! فقال : أنظِروني[٣] حتَّى أُخبِرَكم ، ما شهدتُ جنازةً رجوتُ بِها من الأجرِ ما رجوتُ فِي شهودِ جنازته .. لَمَّا وُضع فِي موضعِ الجنائز قمتُ فِي الصفِّ ، فقلتُ : اللهمَّ ، إنَّ عبدكَ هذا كان لا يؤمِنُ برؤيتِك فِي الآخرةِ ؛ اللهمَّ ، فاحجُبْه عن النَّظر إلَى وجهِك يومَ ينظُرُ المؤمنون إليك .. اللهمَّ ، عبدُك هذا كان لا يؤمنُ بعذاب القبر ؛ اللهمَّ ، فعذِّبْه اليوم فِي قبرِه عذابًا لَم تعذِّبْه أحدًا من العالَمين .. اللهمَّ ، عبدُك هذا كان يُنكرُ الميزانَ ؛ اللهمَّ ، فخفِّف

---

(١) « البداية والنهاية » (٢٨/١٠) ، « تاريخ الطبري » (٢٩٥/٤) ، « سير أعلام النبلاء» (٢٧/٦) .

(٢) « سير أعلام النبلاء» (١٧٠/١١ ، ١٧١) .

(٣) أي : انتظِروني .

ميزانه يومَ القيامة .. اللهمَّ ، عبدُك هذا كان يُنكرُ الشَّفاعة ؛ اللهمَّ ، فلا تُشَفِّع فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة .

فسكتوا عنه وضحكوا)[1].

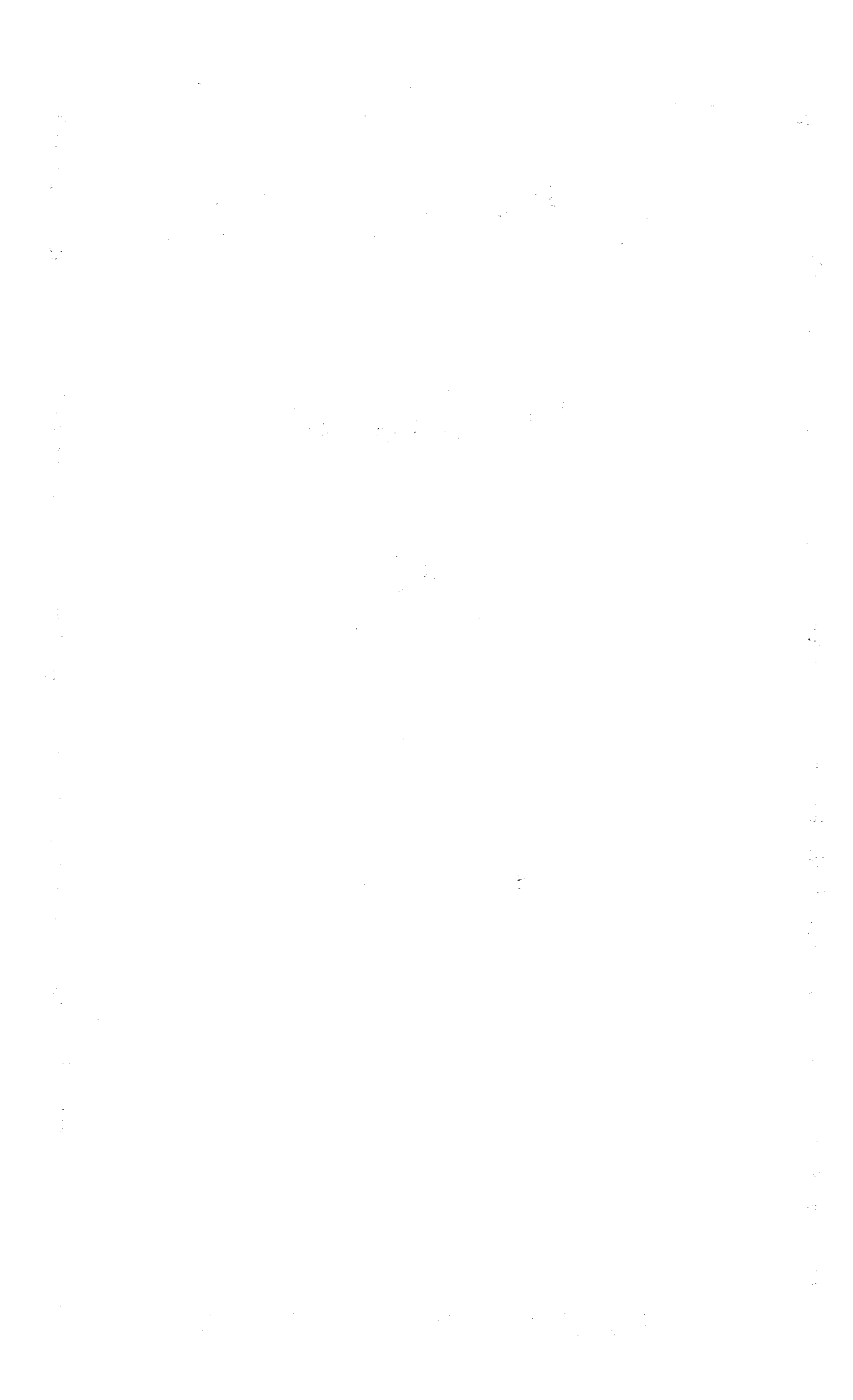
* * *

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٦٦/٧) .

الفصل السابع

ذمُّ الرَّأي

* * *



ذمُّ الرَّأي

وهو الرأيُ المذمُومُ غيرُ المبنيِّ على أُسٍّ من كتاب ولا سُنَّةٍ .

■ قال ﷺ : (**إنَّ اللّه تعالَى لا يَقبِض العلمَ انتزاعًا ينتزِعُه من العِباد ، ولكن يقبِضُ العلمَ بقبضِ العلماء ، حتَّى إذا لَم يُبقِ عالمًا ، اتَّخذ الناسُ رؤساءَ جُهَّالاً ، فسُئلوا ، فأفتَوا بغيرِ علم ، فَضَلُّوا وأضلُّوا**)[1].

■ وعند ابنِ عبدالبَر فِي « التَّمهيد » : (**فيبقى ناسٌ جُهَّالٌ يُستَفتَون ، فيُفتُون برأيهم ، فيَضِلُّون ويُضِلُّون**) .

■ وعن أبِي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ اللّهَ لا ينْزِعُ العلمَ منكم بعدما أعطَاكموه انتزاعًا ؛ ولكن يَقبضُ العلماءَ بعلمِهم ، ويَبقى جُهَّال ، فيُسألون فيُفتُون ، فيَضِلُّون ويُضِلُّون**)[2].

□ وعن ابنِ عباسٍ -رضى الله عنهما- قال :

(مَن أحدثَ رأيًا ليس فِي كتابِ الله ، ولَم تَمضِ به سنةٌ من رسولِ الله ﷺ ، لَم يَدْرِ ما هو عليه إذا لَقِيَ الله عزَّ وجل) .

□ وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال :

(قُراؤكم يذهبُون ، ويتَّخذُ الناسُ رؤساءَ جُهَّالاً يَقيسون الأمورَ برأيهم) .

---

(١) رواه أحْمد والبخاري ومسلم والترمذي وبن ماجة عن ابن عمرو .

(٢) حسن : رواه الطبري فِي « الأوسط » عن أبِي هريرة ، وحسَّنه الألبانِي فِي « صحيح الجامع » (١٨٥٧) .

□ وعن عمرِ بن الخطاب ﷺ قال :

(السُّنةُ ما سَنَّه الله ورسوله ، لا تَجعلوا حظَّ الرأي سُنَّةً للأمَّة) .

□ وعن عُروةَ بن الزُّبيْر ﷺ قال :

(لَم يزل أمرُ بني إسرائيل مستقيمًا حتَّى أدرَك فيهم المَولَّدون أبناءُ سبايا الأُمم ، فأخذوا بالرأي ، فأضلُّوا بنِي إسرائيل) .

□ وعن الشَّعبِيِّ قال :

(إنَّما هَلكتُم حين تركتُم الآثارَ ، وأخذتُم بالمقاييس) .

□ وعن الحسنِ قال :

(إنَّما هَلَكَ من كان قبلَكم حين تشَعَّبت بهم السُّبل ، وحادوا عن الطريق ، فتركوا الآثارَ ، وقالوا فِي الدينِ برأيهم ، فضَلُّوا وأضَلُّوا) .

□ وعن دَرَّاج بن السَّهم بن أبِي السَّمح قال :

(يأتِي على الناسِ زمانٌ يُسمِّنُ الرجلُ راحلتَه حتَّى تَعقدَ شحمًا ، ثُمَّ يسيرُ عليها فِي الأمصارِ حتَّى تعود نقضًا ، يلتَمسُ من يُفتِيه بسُنةٍ قد عُمل بها ، فلا يَجد إلاَّ من يُفتِيه بالظَّنِّ) .

□ وقال أبو بكر بن أبِي داود :

(أهلُ الرأي هم أهل البدع) .

□ وقال أيضًا :

ودَع عنكَ آراءَ الرِّجالِ وقولَهم فقولُ رسولِ الله أزكَى وأشرحُ

□ وقال مسْروق :

(مَن رَغِبَ برأيه عن أمرِ الله يَضِل) .

□ وقال الشّافعيُّ :

(مَن استحسَن فقد شرَع) .

والرأيُ المذمُوم يشملُ البدعَ المُحدَثة في الاعتقادِ ، ويشملُ أيضًا العمليَّات ، وإعمالَ النَّظر العقليِّ مع طرحِ السُّنن : إمَّا قصدًا أو غَلطًا وجهلاً .

فعليكُم بالسُّنن والآثار .. وتركِ ومُجانبةِ أهلِ البدع الأشرار ، وعليكم بطريق الصحابةِ الأبرار .

□ قال ابن مسعود رضي الله عنه :

(مَن كان منكم مُتأسِّيًا فليتَأسَّ بأصحاب مُحمد ﷺ ، فإنَّهم كانوا أَبرَّ هذه الأُمَّة قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلَّها تكلُّفًا ، وأقومَها هديًا ، وأحسنَها خلالاً ، قومٌ اختارَهمُ الله لِصُحبةِ نبيِّه ﷺ وإقامةِ دينه ، فاعرِفوا لهم فضلهم ، واتَّبِعوهم فِي آثارِهم ، فإنَّهم كانوا على الهدى المُستقيم) .





الفصل الثامن

نصائحُ للسَّلف أغلى من الذهَب

❋ ❋ ❋



نصائحُ للسَّلف أغلى منَ الذَّهب

نصيحةُ إمامِ أهلِ الشام : الإمام الأوزاعيِّ :

قال -رحمه الله-:

(اتَّقوا اللَّهَ معشرَ المسلمين ، واقبَلُوا نُصحَ النَّاصحِين ، وعِظةَ الواعظِين ، واعلموا أنَّ هذا العلم دينٌ ، فانظروا ما تَصنعونَ ، وعمَّن تأخُذون ، وبِمن تقتَدون ، ومَن على دينكم تأمنُون ؛ فإنَّ أهلَ البدع كلُّهم مُبطِلون ، أفَّاكون ، آثِمُون ، لا يَرعَوُوْنَ ، ولا يَنظُرون ، ولا يتَّقونَ ، ولا مع ذلك يؤمَنون على تحريفِ ما تسمَعون ، ويقولونَ ما لا تعلمون في سردِ ما يُنكِرون وتسديدِ ما يَفترون ، واللهُ مُحيطٌ بما يعملون ، فكونوا لهم حَذِرين مُتَّهِمين رافضِين مُجانبين ، فإنَّ علماءَكم الأولَين -ومَن صَلَح من المُتأخِّرين- كذلك كانوا يَفعَلون ويأمرُون ، واحذَروا أن تكونوا على اللهِ مُظاهِرين ، ولدينه هادِمين ، ولِعُراهُ ناقضِين مُوهِنين بتوقيرٍ لَهم أو تعظيمٍ أشدَّ من أن تأخذوا عنهم الدِّينَ وتكونوا بِهم مُقتدِين ولَهم مُصَدقين مُوادِعين مؤالفين[1]، مُعينين لَهم بما يصنعون على استهواءِ من يستَهوون ، وتأليفِ من يتألفون من ضعفاءِ المسلمين لرأيهم الذي يرَون ، ودينِهم الذي يَدِينُون ، وكفى بذلك مُشاركةً لَهم فيما يعملون)[2].

---

(١) أي : إذا فعلتم كلَّ هذا كنتم للدين هادمين ولعُراه ناقضين .

(٢) «تاريخ دمشق» (٦/٣٦٢) .

❁ نصيحةُ الإمامِ عبدالرَّحمن بن أبي الزِّناد (ت : ١٧٤) :

□ قال -رحِمه الله-:

(أدركنا أهلَ الفضلِ والفقه من خيارِ أوليَّةِ الناس يَعيبون الجدلَ والتَّنقيبَ والأخذَ بالرأي أشدَّ العيبِ ، وينهوننا عن لقائهم ومُجالستهم ، ويُحذِّرونا مُقاربتَهم أشدَّ التَّحذير ، ويُخبِرونا أنَّهم على ضلالٍ وتحريفٍ لكتابِ الله وسُنن رسولِه ﷺ ، وما تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ حتَّى كرِهَ المَسائلَ والتَّنقيبَ عن الأمورِ وزَجَرَ عن ذلك ، وحَذَّره المسلمين في غيرِ موضعٍ حتَّى كان من قولِ النَّبي ﷺ في كراهيةِ ذلك أن قال : (**ذرُونِي ما تركتُكم ، فإنَّما هَلَكَ الذين من قبلِكم بسؤالِهم واختِلافهم على أنبيائهم ، فإذا نَهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم**)[1] ..) .

❁ نصيحةُ الفضيل بن عِياض :

□ قال -رحِمه الله-:

(إنَّ للهِ عزَّ وجل ملائكةً يطلبون حِلَقِ الذِّكر ، فانظُر مع مَن يكون مَجلسُك ، لا يكون مع صاحب بدعةٍ ، فإنَّ الله تعالَى لا ينظُر إليهم ، وعلامةُ النِّفاق أن يقومَ الرجلُ ويقعُدَ مع صاحبِ بدعة ، وأدركتُ خِيار الناسِ كلُّهم أصحابُ سُنةٍ ، وهم يَنْهَونَ عن أصحابِ البدعة)[2].

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (٢/٥٣٢) .

(٢) «حلية الأولياء» (٨/١٠٤) .

□ وقال -رحمه الله-:

(مَن عَظَّمَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعان على هدمِ الإسلام ، ومن تبَسَّم فِي وجه مُبتدعٍ فقد استَخفَّ بِما أَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على مُحمد ﷺ ، ومَن زوَّج كريمتَه مِن مُبتدعٍ فقد قَطَعَ رحِمها ، ومَن تبعَ جنازةَ مُبتدع لَم يزل فِي سُخطِ اللهِ حتَّى يرجع)[1].

□ قال الشَّاطِبِيُّ -رحِمه الله- معلِّقًا :

(فإنَّ توقير صاحبِ البدعة مظِنَّةٌ لِمَفسدَتين تَعودَان على الإسلامِ بالهدمِ :

أحدهُما : الْتفاتُ الجُهَّالِ والعامَّةِ إلَى ذلك التوقير ، فيعتَقدون فِي المُبتدعِ أنَّه أفضلُ النَّاس ، وأنَّ ما هو عليه خيرٌ ممَّا عليه غيره ، فيؤدِّي ذلك إلَى اتباعهِ على بدعتهِ دون اتِّباعِ أهلِ السُّنةِ على سُنَّتهم .

والثانية : أنه إذا وُقِّرَ مِن أجلِ بدعتهِ صار ذلك كالحادي المُحرِّضِ له على إنشاءِ الابتداعِ فِي كلِّ شيءٍ .

وعلى كلِّ حالٍ فتحيا البدعُ وتَموت السُّنن ، وهو هدمُ الإسلام بعينه)[2].

□ وقال الفُضيل -رحِمه الله-:

(مَن جالسَ صاحبَ بدعةٍ لَم يُعْطَ الحكمة) .

□ وقال -رحِمه الله-:

(لا تَجلسْ مع صاحبِ بدعةٍ ، فإنِّي أخافُ أن تَنْزِلَ عليك اللَّعنة) .

---

(١) « شرح السنة » للبَربَهاري (١٣٩) .

(٢) « الاعتصام » للشاطِبِي (١/١١٤) .

□ وقال -رحمه الله-:

(مَن أحبَّ صاحبَ بدعةٍ أحبطَ اللهُ عمله ، وأخرج نورَ الإسلام من قلبه) .

□ وقال -رحمه الله-:

(آكُلُ مع يهوديٍّ ونصرانيٍّ ، ولا آكُل مع مبتدعٍ ، وأحبُّ أن يكون بيني وبين صاحبِ بدعةٍ حِصْنٌ من حديد)[1].

❁ نصيحةُ شيخ الإسلام حقًّا ، وإمامِ أهلِ السُّنة : أحمد بن حنبل :

□ قال -رحمه الله-:

(إيَّاكم أن تكتُبوا عن أحدٍ من أصحابِ الأهواء قليلاً أو كثيرًا ، عليكُم بأصحابِ الآثارِ والسُّنن) .

□ وقال :

(إذا سَلَّمَ الرجل على المبتدعِ فهو يُحِبُّه)[2].

□ وقال أبو داود السِّجستاني :

(قلتُ لأبي عبدالله -أحمد بن حنبل-: أرى رجلاً من أهلِ البيتِ مع رجلٍ من المبتدعةِ أترُكُ كلامه ؟ قال : لا ، تُعْلمه أن الذي رأيتَه معه صاحبُ بدعة ، فإنْ تركَ كلامَه وإلاَّ فألْحِقه به .. قال ابنُ مسعود : المرءُ بخِدْنه)[3].. أي : بصاحبه .

---

(١) « شرح السنة » للبَربَهاري (١٣٨ ، ١٣٩) ، و« الإبانة » (٢/٤٦٠) .
(٢) « طبقات الحنابلة » لأبي يعلى (١/١٩٦) .
(٣) « طبقات الحنابلة » (١/١٦٠) ، و« مناقب الإمام أحمد » (٢٥٠) .

وصدقَ واللهِ الإمام .

□ فقد قال ابنُ مسعود رضي الله عنه :

(إنَّما يُماشِي الرجل ويصاحبُ من يُحبُّه ومَن هو مِثلُه)[١].

□ وقال أبو الدَّرداء رضي الله عنه :

(مِن فِقهِ الرجُل مَمشاهُ ومَدخَلُه ومَجلسُه)[٢].

□ وقال الفُضيل :

(الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدة ، فما تعارفَ منها ائتَلف ، وما تَنَاكَر منها اختَلف ، ولا يُمكنُ أن يكون صاحبُ سُنةٍ يُمالئُ صاحبَ بدعةٍ إلاَّ من النِّفاق)[٣].

□ وقال الإمامُ أحمد :

(الذي كُنَّا نسمع -وأدركنا عليه مَن أدركنا مِن أهلِ العلمِ-: أنَّهم يكرهُون الكلامَ والجُلوسَ مع أهلِ الزيغ ، وإنَّما الأمورُ بالتَّسليم والانتهاء إلَى ما كان فِي كتابِ الله أو سُنةِ رسول الله ﷺ ، لا فِي الجُلوسِ مع أهلِ البدع والزيغ لتردَّ عليهم ، فإنَّهم يَلْبِسونَ عليك ، وهم لا يرجعون .

فالسلامةُ -إن شاء الله- فِي تركِ مُجالستهم والخَوضِ معهم فِي بدعتِهم وضلالتهم)[٤].

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (٢/٤٧٦) .

(٢) «الإبانة» لابن بطة (٢/٤٦٤) .

(٣) المصدر السابق (٢/٤٥٦) .

(٤) «مسائل الإمام أحْمد» لابنه صالِح (٢/١٦٦ ، ١٦٧) .

□ وقال -رحمه الله-:

(إنه لا يُفلح من أحبَّ الكلام ، وكلُّ مَن أحدثَ كلامًا لَم يكن آخرُ أمرِه إلاَّ إلَى بدعةٍ ؛ لأنَّ الكلامَ لا يدعو إلى خير .. ودعُوا الجدالَ وكلامَ أهل الزيغ والمِراء ، أدركنا الناسَ ولا يعرفون هذا ، ويُجانبون أهلَ الكلام)[1].

❁ نصيحةُ الإمامِ المُزَني (ت : ٢٦٤) :

□ قال -رحِمه الله- فِي رسالتِه «شرح السُّنة» عن أهلِ البدع :

(فمَن ابتَدعَ منهم ضلالاً كان على أهلِ القِبلةِ خارجًا ، ومِن الدِّين مارقًا ، ويُتقرَّبُ إلَى الله بالبراءةِ منه ، ويُهجَرُ ويُحتقَر ، وتُجتَنَبُ غُدَّتُه[2]، فهي أعدى من غُدَّةِ الجُرْب) .

❁ نصيحةُ الإمامِ الآجُرِّي :

□ قال -رحِمه الله-:

(ينبغي لكلٍّ من تَمسَّكَ بِما رسْمناه فِي كتابنا هذا -كتاب الشَّريعة-، أن يَهجُرَ جميع أهل الأهواء من الخوارج ، والقدريَّة ، والمُرجئة ، والجهميَّة ، وكلَّ من يُنسب إلَى المُعتزلة ، وجَميعِ الروافِض ، وجَميعِ النواصِب ، وكلِّ من نَسبَه أئمَّةُ المسلمين أنه مبتدعٌ بدعةَ ضلالة ، وصحَّ عنه ذلك ، فلا ينبغي أنْ يُكلَّم ولا يُسلَّم عليه ، ولا يُجالَس ، ولا يُصلَّى خَلفه ، ولا يُزوَّج ، ولا يَتزوَّج إليه مَن عرفه ، ولا يُشاركُه ، ولا يُعاملُه ولا يُناظرُه ، ولا يُجادلُه ، بل يذلُّه بالهوان له ، وإذا لَقيتَه في طريقٍ أخذتَ فِي غيره -إنْ أمكنك-)[3].

(١) «الإبانة» (٢/٥٣٩) .
(٢) الغُدَّة : الدُّمَّل .
(٣) «الشريعة» للآجرِّي (٣/٥٧٤) .

۞ نصيحةُ الإمامِ ابنِ بَطَّةَ العُكبريِّ :

□ قال -رحمه الله-:

(لا تُشاوِرْ أحدًا من أهلِ البدع فِي دينك ، ولا تُرافِقْه فِي سفرك ، وإنْ أمكنَك أن لا تَقربَه فِي جوارك .. ومِن السُّنة مُجانبةُ كلِّ مَن اعتقدَ شيئًا ممَّا ذكرناه[1]، وهِجرانُه والمَقتُ له ، وهِجرانُ مَن والاه ونَصَره وذبَّ عنه وصاحَبَه ، وإن كان الفاعلُ لذلك يُظهِرُ السُّنة)[2].

۞ نصيحةُ الإمامِ شَيث بن إبراهيمَ القِفْطيِّ ، المعروف بـ : ابن الحاجِّ (ت : ٥٩٨) :

□ قال -رحمه الله-:

(فبيَّن سبحانه بقوله ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ [النساء : ١٤٠] .. ما كان أَمَرهم به من قوله فِي السورةِ المكية ﴿ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ؛ ثُمَّ بيَّن فِي هذه السورةِ المَدنيَّة أن مُجالَسة مَن هذه صفتُه لُحوقٌ به فِي اعتقاده ، وقد ذهبَ قومٌ من أئمَّةِ هذه الأُمَّة إلَى هذا المَذهب ، وحَكَمَ بِموجَبِ هذه الآيات فِي مُجالسِ أهلِ البدعِ على المُعاشرةِ والمُخالطةِ ، منهم أحْمد بن حنبل ، والأَوزَاعي ، وابن المُبارك .. فإنَّهم قالوا فِي رجلٍ شأنه مُجالسةُ أهلِ البدع : يُنهى عن مُجالستهم ، فإنِ انتهى ، وإلاَّ أُلْحقَ بهم .. يَعنُونَ فِي الحكم)[3].

---

(١) أي : من البدع .

(٢) «الشرح والإبانة» (٢٨٢) .

(٣) «جز الطلاسم فِي إفحام المخاصم» للقفطي (١١٠ ، ١١١) .

❁ نصيحةُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة :

▫ قال -رحِمه اللهُ- فيمَن يوالِي الاتِحاديَّة -وهي قاعدةٌ عامةٌ فِي جَميعِ البدع-:

(ويَجبُ عقوبةُ كلٍّ مَن انتسبَ إليهم أو ذبَّ عنهم ، أو أثنَى عليهم ، أو عَظَّمَ كتُبَهم ، أو عُرِفَ بمساندتِهم ومُعاونتِهم ، أو كَرِهَ الكلامَ فيهم ، أو أخذَ يعتذرُ لَهم بأنَّ هذا الكلامَ لا يُدرى ما هو ؟ أو : مَن قال إنه صَنَّفَ هذا الكتاب ؟.. وأمثالَ هذه المَعاذير التي لا يقولُها إلاَّ جاهلٌ أو مُنافقٌ ، بل تَجبُ عقوبةُ كلٍّ من عَرَفَ حالَهم ، ولَم يُعاوِن على القيامِ عليهم ، فإنَّ القيام على هؤلاءِ من أعظمِ الواجباتِ ، لأنَّهم أفسدوا العقولَ والأديان ، على خَلْقٍ من المَشايخِ والعلماءِ والملوكِ والأُمراءِ ، وهم يَسعَون فِي الأرضِ فسادًا ، ويصدُّونَ عن سبيلِ اللهِ)[١].

❁ نصيحةُ الإمامِ أبِي عثمانَ الصابونِي :

▫ قال -رحِمه اللهُ-:

(واتَّفقوا -أي أهلُ السُّنة- مع ذلك على القولِ بقَهرِ أهلِ البدع وإذلالِهم ، وإخزائهم ، وإبعادِهم ، وإقصائهم ، والتَّباعُدِ منهم ومن مصاحبتِهم ومُعاشرتِهم ، والتقرُّبِ إلَى اللهِ عزَّ وجل بمُجانبتِهم ومُهاجرتِهم)[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/١٣٢) .

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابونِي (١٢٣) .

□ وقال -رحمه الله-:

(ويُبغضُونَ أهلَ البدعِ الذين أحدَثوا فِي الدينِ ما ليس منه ، ولا يُجادلونهم فِي الدِّينِ ، ولا يُناظرونهم ، ويرَون صَونَ آذانِهم عن سَماعِ أباطيلهم التِي إذا مرَّت بالآذانِ ووَقَرَت فِي القلوبِ ضرَّت ، وجرَّت إليها من الوساوسِ والخطراتِ الفاسدةِ ما جرَّت ، وفيه أَنْزلَ اللهُ عزَّ وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٦٨]) .

۞ نصيحةُ الإمامِ عبدالله بن داودَ المعروف بـ : سنديلة :

□ قال -رحمه الله-:

(من علاماتِ الحقِّ البُغضُ لِمَن يَدينُ بالهَوى ، ومَن أحبَّ الحقَّ فقد وجبَ عليه البُغضُ لأصحابِ الهَوى ، يعنِي : أهلَ البدع)[١].

۞ وهاكم دُرَرًا أخرى :

□ قال رجلٌ لأيوب السِّختيانِي :

(يا أبا بكر ، أسألُك عن كلمةٍ ؟ فأشار بيده وقال : ولا نصفِ كلمة ، ولا نصفِ كلمة)[٢].

□ وعن ابنِ سيرين :

(أنه كان إذا سَمِعَ كلمةً من صاحبِ بدعةٍ وضع إصْبَعَيه فِي أذنيه ، ثُمَّ قال : لا يَحلُّ لِي أن أُكلِّمَه حتَّى يقومَ من مَجلسه)[٣].

---

(١) « سير السلف » للتيمِي (١١٥٤/٣) ، و« الحلية » (٣٩٢/١٠) .
(٢) « الإبانة » لابن بطة (٤٧٢/٢) .
(٣) المصدر السابق (٤٧٣/٢) .

□ وقال مَعْمَر :

(كان ابنُ طاووسٍ جالسٌ ، فجاء رجلٌ من المُعتزلة ، فجعل يَتَكلَّم ، فأَدخلَ ابنُ طاووس إصْبَعَيه فِي أُذنيه ، وقال لابنه : أي بُنَي أدخِل إصْبَعيك فِي أُذنيك واشدُدْ ، ولا تَسمع مِن كلامه شيئًا)[1].

□ وقال يَحيَى بن أَبِي كثير :

(إذا لَقِيتَ صاحبَ بدعةٍ فِي طريقٍ ، فخُذ فِي طريقٍ آخر)[2].

□ وقال الإمامُ البَغَويُّ -رحمه الله-:

(والنَّهيُ عن الهجرانِ فوقَ الثلاث فيما يقعُ بين الرجُلين من التَّقصيرِ فِي حقوقِ الصُحبَة والعِشرةَ ، دون ما كان من ذلك فِي حقِّ الدين ، فإنَّ هجرة أهلِ الأهواءِ والبدع دائمةٌ إلَى أنْ يتوبوا)[3].

□ وقال أبو العبَّاس القُرطبِي (ت : ٦٥٦هـ) -بعد أن ذَكرَ تَحريم الهجرِ فوقَ ثلاث-:

(وهذا الهجرانُ الذي ذكرناه هو الذي يكونُ عن غَضبٍ لأمرٍ جائزٍ لا تَعَلُّقَ له بالدِّين .

فأمَّا الهجرانُ لأجلِ المعاصي والبدعةِ ، فواجبٌ استصحَابُه إلَى أنْ يتوبَ من ذلك ، ولا يُختلف فِي هذا)[4].

---

(١) «الإبانة» (٢/٤٤٦) .
(٢) المصدر السابق (٢/٤٧٥) .
(٣) «شرح السنة» للبغوي (١/٢٢٤) .
(٤) «المفهم لِما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/٥٣٤) .

□ وقال صاحبُ «عون المعبُود»[١]:

(وهذا فيما يكونُ من المسلمين مِن عَتبٍ ومَوجِدةٍ أو تقصيرٍ يقعُ فِي حقوقِ العشرةِ والصُحبةِ ، دون ما كان من ذلك فِي جانب الدين ، فإنَّ هِجرَةَ أهلِ الأهواء والبدعِ واجبةٌ على مرِّ الأوقات ، ما لَم يظهَر منهم التوبةُ والرُجوع)[٢].

ويرحَمُ الله مَن قال :

وخَيْرُ أُمورِ الدِّين ما كان سُنةً ... وشرُّ الأُمورِ المُحدثاتُ البدائعُ



(١) ذكر أخونا الفاضل الشيخ مشهور حسن -حفظه الله- أن صاحب (عون المعبود) ليس هو (شَمس الحق العظيم أبادي) .. بل هو : (أبو عبد الرحْمن ، شرف الحق العظيم أبادي) .. انظر : كتب حذر منها العلماء (١/٥٩) .

(٢) «عون المعبود شرح سنن أبِي داود» (١٣/١٧٤) .



الفصل التاسع

تحذيرُ السَّلف من أهلِ البدع بأعيانهم

* * *



تحذيرُ السَّلفِ مِن أهلِ البِدَعِ بأعيانِهم

□ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رحِمه الله-:

(فلابدَّ من التحذير من تلك البدع ، وإنِ اقتَضى ذلك ذِكرَهم وتعيينَهم)[1].

وتَحذيرُ السَّلف من أهلِ البدع بأعيانِهم كثيرٌ جدًا ، وما حَمَلهم على ذلك إلاَّ النَّصيحةُ لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم .

فهذا إمامُ دار الهِجرة مالكُ بن أنسٍ -رحِمه الله- حَذَّر من أهلِ البدع بأعيانِهم .

□ كما قال عبدالرحمن بن مهديٍّ :

(دخلتُ عند مالكٍ وعنده رجلٌ يسأله عن القرآن ، فقال : لعلَّك من أصحابِ عمرِو بنِ عُبيد ؟! لعنَ اللهُ عَمْرًا ، فإنَّه ابتدعَ هذه البدعةَ من الكلام)[2].

□ وقال -رحِمه الله-:

(إيَّاكم وأصحابَ الرأي ، فإنَّهم أعداء السُّنة)[3].

□ وقال ابنُ أبي زيد :

(قال رجلٌ لِمالك : يا أبا عبدالله ، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾

---

(١) «مَجموع الفتاوى» (٢٨/٢٣٣) .

(٢) «مناقب مالك» للزواوي (١٤٧ ، ١٤٨) .

(٣) «مناقب مالك» (١٤٨) .

[طه : ٥] ، كيف استوى ؟ قال : الاستواءُ غيرُ مَجهولٍ[١]، والكَيفُ غيرُ معقول ، والسؤالُ عنه بدعة ، والإيمانُ به واجب ، وأراك صاحبَ بدعة .. وأمَر بإخراجه)[٢].

وهذا إمامُ أهل السُّنة أحمدُ بن حنبل -رحِمه الله-، جاء عنه التحذيرُ من أهلِ البدع بأسمائهم فِي كثيرٍ من أقواله ، وما ذلك إلاَّ نصيحةً لدين الله .

□ قال ابن الجَوزي -رحِمه الله-:

(وقد كان الإمامُ أبو عبدالله أحْمدُ بنُ حنبل -لِشدَّة تَمسُّكه بالسُّنة ونَهيِه عن البدعةِ- يتكلمُ فِي جَماعةٍ من الأخيار -إذا صَدَر منهم ما يُخالفُ السُّنة-، وكلامُه محمولٌ على النَّصيحة للدِّين)[٣].

*** فمن ذلك :**

□ عن أبِي مُزاحم -موسى بن عُبيدالله بنِ خَاقان- قال :

(قال لِي عمِّي -أبو عليٍّ عبدالرحمن بنُ يَحيَى بن خاقان-: أَمَر المُتوكِّلُ بِمسألةِ أحمد بن حنبل عمَّن يتقلَّد القضاء ، فسألته .

قال أبو مُزاحم : فسألتُه[٤] أن يُخرِجَ إلَيَّ جوابَه ، فوجَّه إلَيَّ بنُسخةٍ ، فكتبها ، ثُمَّ عُدتُ إلَى عمِّي ، فأقرَّ لِي بصحَّة ما بُعثَ به .

---

(١) أي : معناه معروف .. وهو العلو والارتفاع .

(٢) «مناقب مالك» (١٣٤) .

(٣) «مناقب الإمام أحْمد» لابن الجوزي (٢٥٣) .

(٤) أي : سألت عمِّي .

وهذه نسختُه : بسم الله الرحْمن الرحيم ، نسخةُ الرقعةِ التي عرضتُها على أحمدَ بنِ مُحمدِ بن حنبل -بعد أن سألتُه عمَّا فيها-، فأجابنِي عن ذلك بما قد كتبتُه ، وأَمر ابنَه عبدَالله أن يوقِّع بأسفلها بأمره ، ما سألتُه أنْ يوقِّع فيها : سألتُ أحمدَ بنَ حنبل عن أحمدَ بنِ رَبَاح ، فقال فيه : إنه جهميٌّ معروفٌ بذلك ، إنه إنْ قُلِّد القضاءَ من أمورِ المسلمين كان فيه ضررٌ على المسلمين لِمَا هو عليه من مذهبه وبدعته .

وسألته عن ابنِ الخَلَنجيِّ ، فقال فيه أيضًا مثلَ ما قال فِي أحمد بن رباح .. وذَكر أنه جهميٌّ معروفٌ بذلك ، وأنه كان من شرِّهم وأعظمِهم ضررًا على النَّاس .

وسألتُه عن شُعيب بن سَهل ، فقال فيه : جهميٌّ معروفٌ بذلك .

وسألتُه عن عُبيدالله بن أحمد ، فقال فيه : جهميٌّ معروفٌ بذلك .

وسألتُه عن المَعروفِ بأبِي شُعيب ، فقال فيه : جهميٌّ معروفٌ بذلك .

وسألتُه عن مُحمدِ بن منصور -قاضي الأهواز-، فقال فيه : إنه كان مع ابنِ أبي دُوَاد وفِي ناحيتِه وأعمالِه ، إلاَّ أنه كان من أمثلِهم ، ولا أعرفُ رأيَه .

وسألتُه عن ابنِ عليٍّ بن الجَعد ، فقال : كان معروفًا عند النَّاس بأنَّه جهميٌّ مشهورٌ بذلك ، ثُمَّ بلغنِي عنه الآن أنه رجعَ عن ذلك .

وسألتُه عن الفتح بن سَهل -صاحبِ مظالِم مُحمد بن عبدالله ببغداد-، فقال : جهميٌّ معروفٌ بذلك ، من أصحابِ بِشر المَريسيِّ ، وليس ينبغي أن يُقلَّد مِثلُه شيئًا من أمورِ المسلمين ، لِمَا فيه ذلك من الضَّرر .

وسألتُه عن ابنِ الثَّلجيِّ ، فقال : مبتدعٌ صاحبُ هوى .

وسألتُه عن إبراهيمَ بن عتَّاب ، فقال : لا أعرفه .. إلاَّ أنه كان من أصحابِ بِشر المَريسيِّ ، فينبغي أن يُحذَرَ ولا يُقرَّب ، ولا يُقلَّدَ شيئًا من أمورِ المسلمين .

وفِي الجُملة : فإنَّ أهلَ البدع والأهواء لا ينبغي أن يُستعان بِهم فِي شيءٍ من أمورِ المسلمين ؛ فإنَّ فِي ذلك أعظمَ الضرر على الدِّين ، مع ما عليه رأي أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- من التَّمسكِ بالسُّنةِ والمخالفةِ لأهلِ البدع)[1] .

□ وقال عليُّ بن أبِي خالد :

(قلتُ لأحمد بن حنبل -رحِمه الله-: إنَّ هذا الشيخ -لشيخٍ حضرَ معنا- هو جارِي ، وقد نَهيتُه عن رجل ، ويُحبُّ أن يسمعَ قولَك فيه : حارثٌ القصير -يعنِي حارثًا المُحاسبِيَّ-، وكنتَ رأيتَنِي معه منذُ سنينَ كثيرةٍ ، فقلتَ لِي : لا تُجالسْه ، فما تقول فيه ؟ فرأيتُ أحمد قد احْمرَّ لونُه ، وانتفخَتْ أودَاجُه وعيناه ، وما رأيتُه هكذا قطُّ ، ثُمَّ جعل يَنتفضُ ، ويقول : ذاك فعلَ اللهُ به وفعل ، ليس يَعرفُ ذاك إلاَّ مَن خَبرَه وعَرَفه ، أويه ، أويه ، ذاك جالسه المَغَازِليُّ ويعقوبُ وفلانٌ ، فأخرجهم إلَى رأي جهمٍ ، هلكوا بسببه ، فقال له الشيخُ : يا أبا عبدِالله ، يَروي الحديث ، ساكنٌ خاشعٌ ، مِن قصَّته ومن قصَّته ؟ فغضبَ أبو عبدِالله ، وجعل يقول : لا يَغُرَّك خشوعُه

(١) «مناقب الإمام أحْمد» لابن الجوزي (٢٥١ ، ٢٥٢) .

ولِينُه ، ويقول : لا تَغْتَرَّ بتنكيسِ رأسه ، فإنه رجلُ سَوءٍ ، ذلك لا يعرفُه إلاَّ من خَبِرَه ، لا تُكلِّمه ، ولا كرامةَ له ، كلُّ من حدَّث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعًا تَجلسُ إليه ؟! لا ، ولا كرامةَ ولا نُعمى عينٍ .. وجعل يقول : ذاك .. ذاك)[1].

□ وقال أبو داود في مسائله للإمام أحمد[2]:

(رأيتُ أحمدَ سَلَّم عليه رجلٌ من أهلِ بغداد -قال أبو داود : بلغني أنه أبو بكر المَغازلِي- مِمَّن وقف فيما بلغني[3]، فقال له : اغْرُبْ ، لا أُرَيَنَّك تَجيءُ إلَى بابِي -فِي كلامٍ غليظ- ولَم يردَّ عليه السلام ، وقال له : ما أحوجَكَ أن يُصنعَ بك ما صَنَعَ عمرُ بصَبيغ .. ثُم دخل بيته وردَّ الباب) .

□ وقال أبو بكر المَرُّوذي :

(أظهرَ يعقوبُ بنُ شيبةَ الوقفَ فِي ذلك الجانب من بغداد ، فَحَذَّر أبو عبدالله -أحمد بن حنبل- منه ، وقد كان المُتوكِّل أَمَر عبدَالرحمن بنَ يَحيَى ابن خاقان أن يسألَ أحمدَ بن حنبل عمَّن يُقلَّد القضاء . قال عبدالرحْمن : فسألتُه عن يعقوبَ بن شَيبة ، فقال : مبتدعٌ صاحبُ هوى) .

قال الخطيبُ : (وصفَه أحمدُ بذلك لأجل الوقوفِ)[4].

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/٢٣٤) .

(٢) ص(٣٥٥) برقم (١٧٠٧) .

(٣) أي : توقَّفَ فِي القول بِخَلق القرآن ، فلم يُثبت ، ولَم يَنْفِ .. وهذا مُخالفٌ لعقيدة السَّلف -المُجمَع عليها-، من أنَّ القرآنَ غيرُ مَخلوق .

(٤) انظر «تاريخ بغداد» (١٤/٣٥٠) ، و«السير» للذهبي (١٢/٤٧٨) .

□ وقال الحاكم -رحمه الله- :

(سَمعت أبا الحسين -مُحمدَ بنَ أحْمدَ الحنظليَّ- ببغدادَ يقول : سَمعت أبا إسْماعيلَ التِّرمذيَّ يقول : كنتُ أنا وأحْمدُ بن الحسن التِّرمذي عند أبِي عبدالله ، فقال له أحْمدُ بنُ الحسن : يا أبا عبدالله ، ذَكروا لابن أبِي قُتيلةَ بِمكةَ أصحابَ الحديث ، فقال : « أصحابُ الحديث قومُ سَوءٍ » .. فقام أبو عبدالله -وهو يَنفضُ ثوبَه-، فقال : زنديق زنديق .. ودخل البيت)[١].

□ وقال عبدُالله بن أحْمد :

(سَمعت أبِي يقول : مَن قال : « لَفظي بالقرآن مَخلوقٌ » ، هذا كلامُ سَوءٍ رديءٌ ، وهو كلامُ الجهمية ، قلتُ له : إنَّ الكرابيسيَّ يقول هذا ، فقال : كذَبَ هتكه الله الخبيث ، وقال : قد خَلَفَ هذا بشرًا المَريسي)[٢].

□ وقال صالِح بن أحْمد :

(جاء الحزاميُّ إلَى أبِي -وقد كان ذهب إلَى ابن أبِي دُوَاد-، فلمَّا خرج إليه ورآه ، أغلق البابَ فِي وجههِ ودخل)[٣].

□ وقدم داودُ الأصبهانِي -الظاهري- بغداد -وكان بينه وبين صالِح بن أحْمد حسنٌ-، فكلَّمَ صالِحًا أن يتلطَّف له فِي الاستئذان على أبيه ، فأتى صالِحٌ أباه ، فقال له :

---

(١) « معرفة علوم الحديث » (٤) ، و« مناقب الإمام أحْمد » لابن الجوزي (٢٤٧) ، و« طبقات الحنابلة » (١/٣٨) .

(٢) « السنة » لعبدالله بن أحْمد (١/١٦٥ ، ١٦٦) .

(٣) « مناقب الإمام أحْمد » لابن الجوزي (٢٥٠) .

(رجلٌ سألنِي أن يأتيَك . قال : ما اسْمُه ؟ قال : داود . قال : مِن أين ؟ قال : من أهلِ أصبهان ، قال : أيُّ شيءٍ صَنعتُه ؟ -وكان صالِحٌ يروغُ عن تعريفه إياه-، فما زال أبو عبدالله يفحصُ عنه حتَّى فَطِن ، فقال : هذا قد كَتب إلَيَّ مُحمَّد بن يَحيَى النَّيسابوري فِي أمره أنه زَعم أن القرآن مُحدَثٌ ، فلا يَقرَبْنِي .. قال : يا أبتِ ، يَنتفِي من هذا وينكرُه ، فقال أبو عبدالله : مُحمَّدُ بنُ يَحيَى أصدقُ منه ، لا تأذَنْ له فِي المصير إلَيَّ)(١).

□ وقال عاصمٌ الأحول :

(جلستُ إلَى قتادةَ ، فذُكر عمرُو بنُ عبيد ، فوقع فيه ، فقلتُ : لا أرى العلماءَ يقعُ بعضُهم فِي بعض ! فقال : يا أحولُ ، أو لا تدري أن الرجلَ إذا ابتدع فينبغي أن يُذكَرَ حتَّى يُحذَرَ !! فجئتُ مُغتَمًّا ، فنمتُ ، فرأيتُ عمرَو ابنَ عُبيدٍ يَحُكُّ آيةً من المصحف ، فقلتُ له : سبحانَ الله !! قال : إنِّي سأعيدُها . فقلتُ : أعِدْها . قال : لا أستطيع)(٢).

□ وقال الفَلاَّس :

(عمرٌو متروكٌ صاحبُ بدعة)(٣).

□ وقال الذهبِيُّ فِي واصلِ بن عطاء :

(كان من أجلادِ المعتزلة)(٤).

---

(١) «تاريخ بغداد» (٣٧٤/٨) .

(٢) «الميزان» للذهبِي (٢٧٣/٣) .

(٣) «الميزان» للذهبِي (٢٧٥/٣) .

(٤) «الميزان» للذهبِي (٣٢٩/٤) .

□ وقال أيضًا فِي ابن أبِي دُوَاد :

(جهميٌّ بغيض)[١].

□ وقال أحْمدُ :

(كان ثورٌ يَرى القَدَر ، وكان أهلُ حِمصَ نَفَوه وأخرجُوه)[٢].

□ وقال أبو توبة :

(حَدَّثَنا أصحابُنا أنَّ ثَورًا لَقِي الأوزاعيَّ ، فمدَّ يدَه إليه ، فأَبى الأوزاعيُّ أن يَمُدَّ يدَه إليه ، وقال : يا ثورُ ، لو كانت الدنيا لكانت المقاربةُ ، ولكنَّه الدِّين)[٣].

□ وقال أبو إدريسَ الخَوْلانِيُّ :

(ألاَ إنَّ أبا جَميلةَ لا يؤمِنُ بالقَدَر ، فلا تُجالِسوه)[٤].

□ وقال إسماعيلُ بنُ عُلَيَّة :

(قال لِي سعيدُ بنُ جبير -غيرَ سائِله ولا ذاكرًا ذا كلِّه-: لا تُجالسوا طَلْقًا .. يعنِي لأنه مرجئٌ)[٥].

□ وقال الإمامُ ابنُ بطَّة -بعد أن ذكر مقالاتِ أهلِ البدع وطوائفَهم-:

(هم شعوبٌ وقبائلُ ، وصنوفٌ وطوائف ، أنا أذكرُ طرَفًا من أسْمائهم

---

(١) «الميزان» للذهبِي (١/٩٧) .

(٢) «الميزان» للذهبِي (١/٣٧٤) .

(٣) «السير» للذهبِي (١١/٣٤٤) .

(٤) «الإبانة» لابن بطة (٢/٤٤٩) .

(٥) «الإبانة» (٢/٤٥٠) .

وشيئًا من صفاتِهم ؛ لأنَّ لَهم كُتبًا قد انتَشرت ، ومقالاتٍ قد ظَهرت ، لا يعرفُها الغُرُّ من الناس ، ولا النَّشءُ من الأحداث ، تَخفَى معانيها على أكثرِ من يقرؤُها ، فلعلَّ الحَدَثَ يقعُ إليه الكتابُ لرجلٍ من أهل هذه المقالات -قد ابتدأ الكتابَ بحمدِ الله والثناء عليه ، والإطناب فِي الصلاة على النَّبي ﷺ-، ثُمَّ أتبع ذلك بدقيقِ كفرِه وخَفِيِّ اختراعِه وشرِّه ، فيَظنُّ الحَدَثُ الذي لا عِلمَ له والأعجميُّ والغَمْرُ[1] من الناس أنَّ الواضعَ لذلك الكتاب عالِمٌ من العلماء ، أو فقيهٌ من الفقهاء ، ولعله يَعتقدُ فِي هذه الأُمَّةِ ما يراه فيها عَبَدَةُ الأوثان ومَن بارزَ اللَّهَ ووالَى الشيطان .

فمِن رؤسائهم المتقدِّمين فِي الضلالة منهم : الجهمُ بن صفوان الضَّال .

وقد قيل له وهو بالشام : أين تريد ؟ فقال : أطلبُ ربًّا أعبدُه ، فتقلَّد مقالتَه طوائفُ من الضُّلال ، وقد قال ابنُ شوذب : « تَرَك جهمٌ الصلاةَ أربعين يومًا على وجهِ الشك » .

ومِن أتباعه وأشياعه : بِشرٌ المَريسي ، والمرداد ، وأبو بكرٍ الأصمُّ ، وإبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ عُلَيَّة ، وابنُ أبِي دُوَاد ، وبَرغوث ، وربالويه ، والأرمنِيُّ ، وجعفرٌ الحَذَّاء ، وشُعيبٌ الحَجَّام ، وحسنٌ العطَّار ، وسهلٌ الحرَّار ، وأبو لقمانَ الكافر .. فِي جَماعةٍ سواهم من الضُّلَّال ، وكلُّ العلماء يقولون فِي مَن سَمَّيناهم : إنَّهم أئمَّةُ الكفرِ ورؤساءُ الضلالة .

ومن رؤسائهم أيضًا -وهم أصحابُ القَدَر-: مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ ، وغَيلانُ

---

(١) الغَمْر : الجاهل .

القَدَريُّ ، وثُمَامةُ بنُ أشرس ، وعمرُو بن عُبيد ، وأبو الهُذيل العلاَّف ، وإبراهيمُ النَّظَّام ، وبشرٌ المعتمر .. فِي جَماعةٍ سواهم أهلِ كفرٍ وضلالٍ يَعُمُّ .

ومنهم : الحسنُ بن عبدالوهَّاب الجُبَّائيُّ ، وأبو العنبس الصُّمَيريُّ .

ومن الرافضة : المُغيرةُ بنُ سعيد ، وعبدُالله بنُ سبأ ، وهشام الفُوطيُّ ، وأبو الكروس ، وفُضيل الرَّقاشي ، وأبو مالكٍ الحَضْرميُّ ، وصالِحٌ قُبة .

بل هم أكثر من أن يُحصَوا فِي كتاب ، أو يُحوَوْا بِخِطاب ، ذكرتُ طرفًا من أئمَّتهم ليَتجنبَ الحَدَثُ ومَن لا عِلمَ له ذِكرَهم ، ومُجالسةَ مَن يَستشهِدُ بقولِهم ويُناظِرُ بكُتبهم .

ومِن خُبثائهم ومَن يظهرُ فِي كلامهِ الذبُّ عن السُّنةِ والنُصرةِ لَها ، وقولُه أخبث القول : ابن كُلاَّب ، وحُسين النَّجار ، وأبو بكر الأصم ، وابن عُلَيَّة[١] .. أعاذنا الله وإيَّاكم من مقالتهم ، وعافانا وإيَّاك من شرورِ مذاهبهم)[٢] .

□ وقال الإمام أبو عمرو عُثمانُ بن سعيد الدَّاني (ت : ٤٤٤) :

أهونْ بقــولِ جهــمٍ الخسيسِ	وواصــلٍ وبِشــرٍ المَــريسي
ذي السَّخفِ والجهلِ وذي العنادِ	مُعَــمَّــرٍ وابــنِ أبــي دُوَادِ
وابــنِ عُبيــدٍ شيــخِ الاعتزالِ	وشارعِ البــدعــةِ والضَّــلالِ
والجاحظِ القــادحِ فِي الإسلامِ	وجِبْــتِ هــذي الأمَّــةِ النَّظَّامِ

(١) هو إبراهيم بن الإمام إسْماعيل بن علية .

(٢) «الشرح والإبانة» (٣٤٨ : ٣٥٢) .

والفاسقِ المعروفِ بالجُبَّائي ونَجلِهِ السَّفيهِ ذي الخَناءِ
واللاحقيٍّ وأبي الهُذيلِ مؤيِّدي الكفرِ بكلِّ ويلِ
وذي العَمى ضرارٍ المرتابِ وشِبْهِهم من أهلِ الارتيابِ
جَميعُهم قد غالطَ الجُهَّالاَ وأظهرَ البدعةَ والضَّلالاَ
وعَدَّ ذاك شِرْعةً ودِينَا فمنهم لله قد بَرِينا[1]

اعلم -رحمك الله- أنَّ هجرَ أهل البدع ومنابذتَهم من أعظمِ أصول الدِّين .

قال تعالَى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

وقال تعالَى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

□ قال ابن عَونٍ :

(كان مُحمدُ بنُ سيرين -رحمه الله- يرى أنَّ أسرعَ النَّاس رِدَّةً أهلُ الأهواء ، وكان يرى أنَّ هذه الآية أُنزلت فيهم : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾)[2].

---

(١) « الأرجُوزة المنبِّهة » للداني ص(١٨٢ : ١٨٤) ، وانظر : « السير » (٨٢/١٨ ، ٨٣) .

(٢) « الإبانة » لابن بطة (٤٣١/٢) .

◘ وعن أبي جعفرٍ قال :

(لا تُجالِسوا أهلَ الخصومات ، فإنَّهم الذين يَخوضون فِي آياتِ الله)[1].

◘ وقال الإمامُ الطبريُّ فِي « تفسيره » :

(وفِي هذه الآيةِ الدِّلالةُ الواضحةُ على النَّهي عن مُجالسةِ أهلِ الباطل من كلِّ نوعٍ من المبتدعة والفسقة عند خوضهم فِي باطلهم)[2].

◘ وقال الإمامُ ابن القيم -رحِمه الله- عند ذكر مكايد الشيطان :

(ومن أنواعِ مكايدِه ومكره : أنْ يدعوَ العبدَ بِحُسنِ خُلُقه وطلاقته وبِشْرِه إلَى أنواعٍ من الآثامِ والفجور ، فيَلقاه مَن لا يُخلِّصه مِن شرِّه إلاَّ تَجَهُّمُه والتعبيسُ فِي وجهِه والإعراض عنه ، فيُحسِّنُ له العدوُّ أن يلقاهُ ببشرِه وطلاقةِ وجهِه وحُسنِ كلامه ، فيَتعلَّقُ به ، فيَرومُ التَّخلصَ منه فيعجزِ ، فلا يزالُ العدوُّ يسعى بينهما حتَّى يُصيبَ حاجتَه ، فيَدخُلُ على العبدِ بكيده من بابِ حُسن الخُلُق وطلاقةِ الوجه .

ومن هاهنا وصَّى أطبَّاءُ القلوب بالإعراضِ عن أهل البدع ، وألاَّ يُسَلِّمَ عليهم ، ولا يُريَهم طلاقةَ وجهه ، ولا يلقاهم إلاَّ بالعُبوسِ والإعراض)[3].

---

(١) « تفسير الطبري » (٧/٢٢٩) ، و« تفسير القرطبي » (٧/١٢) .

(٢) « تفسير الطبري » (٥/٣٣٠) .

(٣) « إغاثة اللهفان » (١/١٤٠) لابن القيم .. وانظر « إجماع العلماء على التحذير من أهل الأهواء » لخالد الظفيري (١٩ : ٥٦ - دار المنهاج) .

وانظر إلَى ردود أهل السُّنةِ على مُخالفيهم مثل (الصارم المنكى فِي الردِّ على السُّبكي) لابن عبدالهادي ، وردود الأئمَّة على النبهانِي كـ (غاية الأمانِي فِي الردِّ على النبهانِي) لِمحمود الألوسي ، وردِّ نُعمان الألوسي على ابن حجر الهيتَمي فِي كتابه (جِلاء العينين) ، وردود أئمَّة الدَّعوة فِي نَجدٍ ، كردودهم على ابن جرجيس وغيره ، وكردودِ الأئمَّة على الكوثريِّ وأبِي غدَّة ، كردِّ المعلميِّ فِي تنكيله وغيرِه ، وردودهم على ضلالاتِ سيد قُطب وغيره .

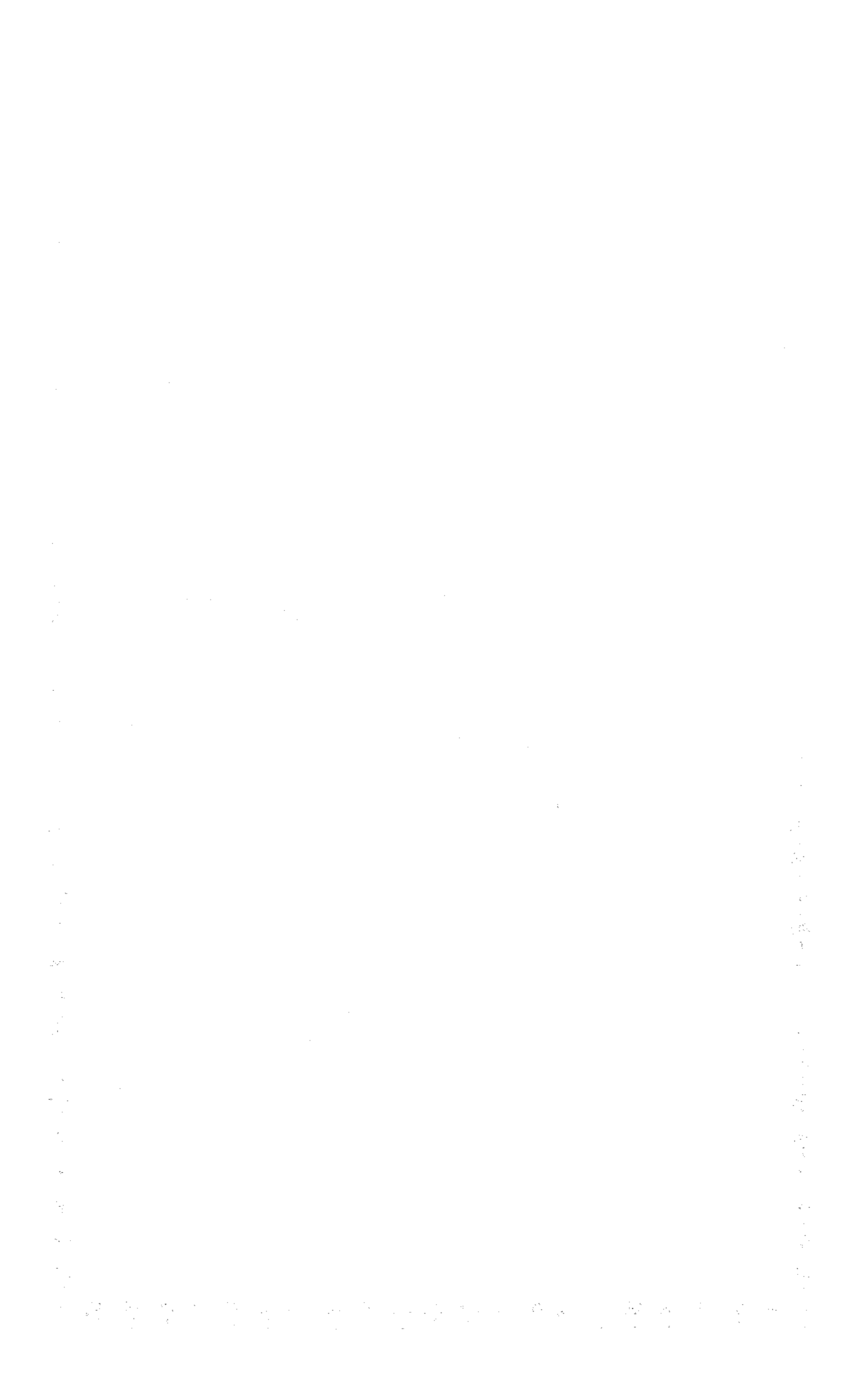




الفصل العاشر

شدَّةُ أهلِ السُّنة على المبتدعةِ أهلِ الأهواءِ منقبةٌ لهم

* * *



شدَّةُ أهلِ السُّنة على المُبتدعةِ أهلِ الأهواءِ مَنْقَبةٌ لَهم

وكُتب التَّراجم مليئةٌ بذلك .

فهذا الإمامُ الرشيد المُتَمسك بالمنهج الحميد : أبو إسماعيل حَمَّاد بن زيد :

□ قال فِطرُ بن حَمَّاد بن واقد :

(سألتُ حَمَّادَ بن زيد ، فقلت : يا أبا إسماعيل ، إمامٌ لنا يقول : «القرآنُ مَخلوقٌ» ، أُصلِّي خلفَه ؟ قال : لا ، ولا كرامة) .

□ وكان يقول :

(لا يزالُ الرجلُ منكم داحضًا فِي بَوله ، يذكُرُ أهلَ البدع فِي مَجلسِ عشيرته حتَّى يَسقُطَ من أعينهم)[١] .

□ وكان يقول :

(لئن قلتَ : إنَّ عليًّا أفضلُ من عُثمان ، فلقد قلتَ : إنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ قد خانوا) .

وهذا أيضًا الإمامُ القدوة شيخُ الإسلام أبو سلمة حَمَّاد بن سَلَمةَ البَصْري (ت : ١٦٧) .

□ قال الذهبِي فِي ترجَمته :

(قال شيخُ الإسلام أبو إسْماعيل الأنصَّاريُّ فِي «الفاروق» -له-: قال أحْمدُ بن حنبل : إذا رأيتَ الرجلَ يغمِزُ حَمَّادَ بنَ سلمةَ ، فاتَّهِمْه على الإسلام ؛ فإنَّه كان شديدًا على المبتدعة) .

---

(١) «الحلية» (٦/٢٥٨) .

والقاضي شَرِيكُ بنُ عبدِالله النَّخَعيُّ الكوفِي (ت : ١٧٧) .

□ قال معاوية بن صالِح الأشعري :

(سألتُ أحْمدَ بنَ حنبل عن شَريكٍ ، فقال : كان عاقلاً صدوقًا مُحدِّثًا ، وكان شديدًا على أهلِ الرَّيب والبدع)[١].

□ وقال عنه الحافظ ابن حجر :

(وكان عادلاً فاضلاً شديدًا على أهلِ البدع)[٢].

□ ومن أقواله -رحِمه الله-:

(لأَنْ يكون فِي قبيلة حِمارٌ أحبُّ إلَيَّ من أن يكون فيها رجلٌ من أصحاب أبِي فلان -رجلٌ كان مبتدعًا-)[٣].

وكذلك الإمامُ عبدالرحْمن بن هُرْمز الأعرج (ت : ١٢٦) ، والإمام عبدالرحْمن بن القاسم -رحِمهما الله-.

□ قال عنهما الإمامُ مالكٌ :

(كان ابن هُرمز قليلَ الكلام ، وكان يشدُّ على أهلِ البدع ، وكان أعلمَ النَّاس بِما اختلفوا فيه من ذلك ، وكذا كان عبدالرحْمن بن القاسم)[٤].

□ وقال أبو الصَّلْت عبدُالسلام بن صالِح الْهَرَوي فِي ترجَمة إبراهيمَ بنِ طَهْمان (ت : ١٦٣) :

(كان شديدًا على الجهميَّة)[٥].

---

(١) «السير» (٨/٢٠٩) .
(٢) «التقريب» لابن حجر (٤٣٦) .
(٣) «السير» لابن بطة (٢/٤٦٩) .
(٤) «مناقب مالك» للزواوي (١٥٢) .
(٥) «السير» (٧/٣٨٠) .

□ وهذا إمامُ دار الهجرة مالك بن أنس (ت ١٧٩) -رحِمه الله- يقول :

(لا تُسلِّمْ على أهلِ الأهواء ، ولا تُجالسهم إلاَّ أن تُغلظَ عليهم ، ولا يُعادُ مريضُهم ، ولا تُحدَّثُ عنهم الأحاديث)[١].

□ وقال أيضًا :

(لا تُجالسِ القَدَريَّ ، ولا تُكلِّمْه إلاَّ أن تَجلسَ إليه فتُغلظَ عليه ، لقوله تعالَى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، فلا توادُّوهم)[٢].

وهذا الإمامُ مُحمد بن إدريس الشَّافعيُّ -رحِمه الله- (ت ٢٠٤) .

□ قال عنه البيهقي :

(كان الشَّافعيُّ رضي الله عنه شديدًا على أهلِ الإلْحاد وأهلِ البدع ، مُجاهرًا ببُغضهم وهجرهم) .

□ وقال قُتيبةُ بنُ سعيد عن عُمرَ بن هارون :

(كان عمرُ بن هارون شديدًا على المُرجئةِ ، وكان يَذكُر مساوِيهم وبلاياهم)[٣].

والإمامُ العظيم أبو يعقوب يوسف بن يَحيَى البُويطيُّ صاحبُ الإمام الشَّافعيِّ .

---

(١) «الجامع» لابن أبِي زيد القيرواني (١٢٥) .
(٢) «الاعتصام» للشاطبِي (١٣١/١) .
(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٦٥/٤٥) .

□ قيل فِي ترجَمته :

(إنَّه كان شديدًا على أهلِ البدع)[١].

والإمام عُثمان بن سعيد الدَّارمي .

□ قال عنه ابن حِبَّان :

(كان الدَّارمي من الحُفَّاظِ المُتقنين وأهلِ الورع فِي الدِّين ، مِمن حَفِظَ وجَمع ، وتفقَّه وصنَّف وحدَّث ، وأظهر السُّنة ببلده ، ودعا إليها ، وذبَّ عن حرِيمها ، وقمع مُخالفَها) .

□ وقال الذَّهبِيُّ :

(كان لَهِجًا بالسُّنة ، بصيرًا بالمُناظرة ، جِذْعًا فِي أعينِ المبتدعة)[٢].

(وهو الذي قام على مُحمد بن كرَّام -الذي يُنسب إليه الكرامية- وطردَه عن هراةَ فيما قيل)[٣].

□ ومِمَّا جاء فِي ترجَمةِ إسْماعيل بن إسحاق القاضي (ت : ٢٨٢) :

(وكان شديدًا على أهلِ البدع يَرى استتابتهم ، حتَّى إنَّهم تَحامَوا بغداد فِي أيامه ..)[٤].

وأبو جعفر مُحمد بن العبَّاس بن أيوب الأخرم (ت : ٣٠١) جاء فِي

---

(١) «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر ص(٣٤٨) .

(٢) «السير» (١٣/٣٢٢) .

(٣) «السير» (١٣/٣٢٣) ، و«تذكرة الحفاظ» للذهبِي (٢/٦٢٢) .

(٤) «الديباج المذهب» لابن فرحون (٩٤) .

ترجَمته أنه (كان متعصِّبًا للسُّنة ، غليظًا على أهلِ البدع)[1].

وجاء فِي ترجَمة الُمحدِّث الإمام أحْمد بن عَونِ الله بنِ حُدَير أبِي جعفر الأندلسيِّ القرطبِي (ت : ٣٧٨هـ) ، فقد قال أبو عبدالله بن أحْمد بن مفرِّج :

(كان أبو جعفر -أحْمد بن عون الله- مُحتسبًا على أهلِ البدع غليظًا عليهم ، مُذِلاًّ لَهم ، طالبًا لِمساوئهم ، مسارعًا فِي مضارِّهم ، شديدَ الوطأةِ عليهم ، مشرِّدًا لَهم إذا تَمكنَ منهم غيرَ مُبْقٍ عليهم ، وكان كلُّ مَن كان منهم خافيًا منه على نفسه متوقِّيًا ، لا يداهنُ أحدًا منهم على حال ولا يُسالِمُه ، وإنْ عَثُر على مُنكرٍ وشُهِدَ عليه عنده بانْحرافٍ عن السُّنة نابذَه وفَضَحه وأعلن بذكره والبراءةِ منه ، وعيَّره بذكر السوء فِي المَحافلِ ، وأغرَى به حتَّى يُهلكه أو ينْزعَ عن قبيحِ مذهبه وسُوء معتقَده ، ولَم يزل دؤوبًا على هذا جاهدًا فيه ابتغاء وجه الله إلَى أنْ لَقِي اللَّه عزَّ وجلَّ)[2].

وكذلك ما جاء فِي ترجَمةِ بكر بن جعفر بن راهب أبِي عمرو المؤذِّن (ت : ٣٨٠) :

□ قال جعفر بن مُحمد الُمعتز فِي «تاريخ نَسَف» :

(وكان -رحِمه الله- قارئًا آناءَ الليل والنَّهار ، شديدًا على أهلِ البدع)[3].

---

(١) «طبقات الُمحدِّثين بأصبهان» لأبِي الشيخ ابن حبان (٣/٤٤٧) .

(٢) «تاريخ دمشق» (٥/١١٨) .

(٣) «التقييد» لابن نقطة (١/٢٦٤) .

□ ومِمَّا جاء فِي ترجَمة ابن السوسنجري :

(أنه كان حَسَنَ الاعتقاد ، شديدًا فِي السُّنة)[١].

ومُحمد بن أحْمد بن مُحمد أبو الحسن البزَّاز المعروف بابن رزقويه (ت : ٤١٢هـ) .

□ قال عنه الخطيب :

(كان حَسَنَ الاعتقاد ، جَميلَ المذهب ، مُدِيمًا لتِلاوة القرآن ، شديدًا على أهلِ البدع)[٢].

□ وقال الخطيب البغدادي عن أبِي القاسم الخفَّاف المعروف بابن النَّقيب (ت : ٤١٥) :

(كتبتُ عنه ، وكان شديدًا فِي السُّنة)[٣].

□ وقال الذَّهبِيُّ فِي ترجَمةِ الإمامِ أبِي عُمرَ أحْمد بن مُحمد المَعافريِّ الأندلسيِّ الطَّلَمَنكيِّ عالِمِ أهل قرطُبة (ت : ٤٢٩) :

(وكان فاضلاً شديدًا فِي السُّنة .. قال خَلَف بن بُشْكُوال : كان سيفًا مُجرَّدًا على أهلِ الأهواء والبدع ، قامعًا لَهم ، غَيُورًا على الشريعةِ ، شديدًا فِي ذاتِ الله)[٤].

---

(١) «تاريخ بغداد» (٤/٢٧٣) .

(٢) «تاريخ بغداد» (١/٣٥١) .

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠/٣٨٢ ، ٣٨٣) .

(٤) «السير» (١٨/٥٠٩) .

□ وقال الذَّهبيُّ أيضًا فِي ترجَمة الشيخ مسند الأندلس أبِي العاص حَكَمَ بن مُحمد بن حكم الجُذامي القُرطبِي (ت : ٤٤٧) :

(قال الغسَّانِي : كان رجلاً صالحًا ، ثقةً مُسندًا ، صَلْبًا فِي السُّنة ، مشدِّدًا على أهلِ البدع ، عفيفًا ورعًا صبورًا على القُلِّ ، رافضًا الدنيا ، مُهينًا لأهلها)[1].

□ وقال الخطيب فِي ترجَمة أبِي منصور عبدِالملك بن مُحمد بن يوسف البغدادي (ت : ٤٦٠) :

(كان أوحَدَ وقته فِي فعلِ الخير ، ودوامِ الصدقة ، والإفضال على العلماء ، والنَّصر لأهلِ السُّنة ، والقمع لأهلِ البدع)[2].

□ وقال ابنُ كثير :

(كان أوحَد زمانه بالأمر بالمَعروفِ والنَّهيِّ عن المنكرِ ، والمُبادرةِ إلَى فعلِ الخيرات واصطِناع الأيادِي عند أهلها من أهلِ السُّنة ، مع شدَّةِ القيام على أهلِ البدع ولَعْنِهم)[3].

□ وقال أبو الحسين الفرَّاء فِي ترجَمةِ الشريف أبِي جعفر عبدالخالق بن أبِي موسى الهاشِمي الحنبلي (ت : ٤٧٠) :

(لَزِمتُه خَمسَ سنين ، وكان إذا بلغه مُنكرٌ عظُمَ عليه جدًّا ، وكان

---

(١) «العبر» (٣٤٣/٢) .

(٢) «السير» (٣٣٣/١٨) .

(٣) «البداية والنهاية» (١٠٣/١٢) .

شديدًا على المبتدعة ، لَم تزلْ كلمتُه عاليةً عليهم ، وأصحابُه يقمعُونَهم ، ولا يردُّهم أحدٌ ، وكان عفيفًا نَزِهًا)[1].

□ وقال أيضًا فِي ترجَمةِ عبدالرحْمن بن مُحمد بن مَنْدَة (ت : ٤٧٠) :

(وكان شديدًا على أهلِ البدع ، مُباينًا لَهم)[2].

□ وقال فِي ترجَمةِ أبِي عليٍّ -الحسن بن أحْمد-، المعروف بابن البنَّا (ت : ٤٩١) :

(وكان أديبًا شديدًا على أهلِ الأهواء)[3].

□ وقال فِي ترجَمةِ القاضي أبِي علي -يعقوب بن إبراهيمَ البرزِيني- (ت : ٤٨٦) :

(وكان متشدِّدًا فِي السُّنة)[4].

□ وكذلك ما قيل فِي شيخِ الإسلام أبِي إسْماعيل عبدالله بن مُحمد الأنصَّاري الْهَروي (ت : ٤٨١) ، فقد قال عنه الرُّهاوي :

(وكان شيخُ الإسلام مشهورًا فِي الآفاقِ بالحنبَليَّة والشدَّةِ فِي السُّنة)[5].

□ وقال ابن رجب :

(كان سيدًا عظيمًا ، وإمامًا عارفًا ، وعابدًا زاهدًا ، ذا أحوالٍ ومقامات

---

(١) «طبقات الحنابلة» لأبِي يعلى (٥٣٨/١) ، وانظر «السير» (٥٤٧/١٨) .
(٢) «طبقات الحنابلة» (٢٤٢/٢) .
(٣) «طبقات الحنابلة» (٢٤٣/٢) .
(٤) «طبقات الحنابلة» (٢٤٦/٢) .
(٥) «ذيل طبقات الحنابلة» (٥٧/٣) .

وكرامات ومُجاهدات ، كثيرَ السهرِ بالليل ، شديدَ القيام فِي نصرِ السُّنة والذبِّ عنها والقمعِ لِمَن خالفها ، وجرَى له بسبب ذلك مِحنٌ عظيمة ، وكان شديد الانتصار والتعظيم لِمذهب أحْمد)[١].

□ وقال الذَّهبِيُّ :

(وكان هذا الرجلُ سيفًا مسلولاً على المتكلِّمين ، له صَوْلةٌ وهيبةٌ واستيلاءٌ على النُّفوسِ ببلده ، يُعظِّمونه ويُغالُون فيه ، ويبذِلُون أرواحهم فيما يأمُر به ، كان عندهم أطوَعَ وأرفعَ من السلطانِ بكثير ، وكان طَودًا راسيًا فِي السُّنة ، لا يتزَلزل ولا يَلين)[٢].

□ وقال -أيضًا-:

(كان سيفًا مسلولاً على المخالفين ، وجِذْعًا فِي أعينِ المتكلِّمين ، طودًا فِي السُّنةِ لا يتزلزل) .

□ وقال -أيضًا-:

(كان جِذْعًا فِي أعينِ المبتدعة ، وسيفًا على الجهميَّة)[٣].

□ وقال ابن الجوزِّي :

(وكان كثيرَ السهرِ بالليلِ،وحدَّثَ وصنَّفَ ، وكان شديدًا على أهلِ البدع ، قويًّا فِي نُصرةِ السُّنة)[٤].

---

(١) «ذيل الطبقات» (٣/٦٠ ، ٦١) .

(٢) «السير» (١٨/٥٠٩) .

(٣) «العبر» (٢/٣٤٣) .

(٤) «المنتظم» (١٦/٢٧٨) .

◘ وقد جاء فِي ترجَمته أنه قال :

(عُرِضْتُ على السيفِ خَمسَ مرات ، لا يقال لِي : ارجع عن مذهبِك ، لكن : اسْكُت عن مَن خالفك ، فأقول : لا أسكُت)[١].

◘ وجاء فِي ترجَمة الأستاذ أبِي مُحمد عبدالله بن سَهل الأنصَّاريِّ الْمُقرئ شيخِ القرَّاء بالأندلُس (ت : ٤٨٥) :

(أنه كان إمامَ وقته فِي فَنِّه ، وبَعُدَ صيتُه ، وكان شديدًا على أهلِ البدع ، قوَّالاً بالحقِّ مهيبًا ، امتُحِنَ وغُرِّب)[٢].

وكذلك ما جاء فِي ترجَمةِ الإمام أبِي الْمظفَّر منصور بن عبدالجبَّار التَّميميِّ السَّمعاني (ت : ٤٨٩) -رحِمه الله تعالَى- :

◘ فقد قال الذَّهبِيُّ :

(صنَّفَ كتابَ « الاصطِلام » ، وكتابَ « البُرهان » ، وله « الأمَالِي » فِي الحديث ، تَعصَّب لأهلِ الحديثِ والسُّنة والجماعة ، وكان شَوكًا فِي أعينِ المخالفين ، وحُجَّةَ أهلِ السُّنة)[٣].

وما جاء فِي ترجَمةِ أبِي عبدالله مُحمد بن فرج (ت : ٤٩٧) :

◘ قال ابن فرحون :

(وكان شيخًا فاضلاً فصيحًا ، وكان قوَّالاً بالْحقِّ ، شديدًا على أهلِ البدع)[٤].

---

(١) « السير » (٥٠٩/١٨) .

(٢) « معرفة القراء الكبار » للذهبِي (٤٣٦/١) ، و« لسان الميزان » لابن حجر (٢٩٨/٣) .

(٣) « السير » (١١٦/١٩) .

(٤) « الديباج المذهَّب » (٢٧٥) .

□ وقال أيضًا فِي ترجَمةِ أحْمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الزُّبيْر الثّقفي (ت : ٧٨٠) :

(كان صَلْبًا فِي الْحقِّ ، شديدًا على أهلِ البدع ، مُلازمًا للسُّنة)[(١)].

❀ ❀ ❀

---

(١) «الديباج المذهَّب» ص(٤٢) .



الفصل الحادي عشر

حَذارِ حَذار من قراءةِ كُتب المبتدعةِ الفجار

* * *



حَذَارِ حَذَارِ مِن قراءةِ كُتبِ المُبتدِعةِ الفُجَّار

□ قال ابنُ القيم -لله دَرُّه- عن المُبتدعة :

يا مَن يظُنُّ بأنَّنا حِفْنا عليـــ ـــهم كُتُبُهم تُنبيك عن ذا الشَّانِ
فانظُر تَرى لكن نَرى لكَ تركَها حذرًا عليــكَ مصــائدَ الشيطانِ
فشباكُها -واللهِ- لَم يَعْلَقَ بها مِن ذي جَنــاحٍ قاصــرِ الطيرانِ
ألاَ رأيتَ الطيرَ فِي قَفَصِ الرَّدَى يَبكي له نَوْحٌ على الأغصانِ !
ويظلُّ يَخبِــطُ طالبًــا لخلاصه فَتضيقُ عنــه فُرْجَــةُ العيدانِ !
والذَّنبُ ذنبُ الطير خلَّى أطيبَ الثـ ـــمرات فِي عــالٍ مــن الأفنانِ
وأتى إلَى تلك المَزابلِ يبتغي الـ ـــفضلاتِ كالحشراتِ والديدانِ[١]

□ قال الشيخُ مُحمد خليل هرَّاس شارحًا هذه الأبيات :

(ولا يظُنَّ أحدٌ أنَّنا نتجنَّى على القومِ أو نتَّهمَهم بغيرِ الحقِّ ، فتلكَ كُتبهم تُخبِرُ عنهم كلَّ من ينظُرُ فيها ، وتشهدُ عليهم شهادةَ صِدقٍ ، فليقرأْها مَن شاء ليتأكدَ من صحَّة ما نسبناه إليهم ، لكننا مع ذلك نَنصحُ كلَّ أحدٍ ألاَّ يقرأَ هذه الكُتبَ ، حتَّى لا يقعَ فِي حبائلها ويَغُرَّه ما فيها من تَزويقِ المَنطقِ وتَنميقِ الأفكار ، لا سيَّما إذا لَم يكن مِمَّن رَسَخَ فِي علومِ الكتابِ والسُّنة قَدَمُه ، ولا تَمكَّن منهُما فهمُه ، فهذا لا يلبثُ أن يقعَ أسيرَ شباكِها ، تَبكيه نائحةُ الدَّوحِ على غُصنها ، وهو يَجتهدُ فِي طلبِ الخلاصِ فلا يستطيع ، والذنبُ ذنبُه هو ، حيثُ تركَ أطيبَ الثمراتِ على أغصانها

(١) «نونية ابن القيم» ص(١٨٠) .

العالية حُلوةِ المُجتنَى طيِّبةِ المأكل ، وهَبَطَ إلَى المَزابلِ وأمكنةِ القذارة يَتَقَمَّمُ الفضلات كما تفعلُ الدِّيدانُ والحشرات .

وما أروعَ تشبيهَ الشيخ -رحمه الله- حال مَن وقعَ أسيرَ هذه الكُتب وما فيها من ضلالات مُزوَّقة قد فُتِنَ بِها لُبُّه وتأثرَ بِها عقلُه ، بِحالِ طيرٍ فِي قفصٍ قد أُحكِمَ غَلَقُه ، فهو يضربُ بِجناحيه طالبًا للخلاص منه لا يَجدُ فُرْجَةً يَنفذُ منها لضيق ما بين العيدانِ من الفُرَجِ !.

وما أجْملَ أيضًا تَشبِيهَه لعقائد الكتاب والسُّنة بثَمرات كرِيمةِ المَذاقِ على أغصانٍ عالية ، بِحيثُ لا يَصِلُ إليها فسادٌ ولا يلحقُها تلوُّث ! وتَشبِيهَه لعقائد هؤلاء الزَّائغين بفضلاتٍ قذرةٍ وأطعمة عفنة أُلقيت فِي إحدى المزابل ، فلا يأوي إليها إلاَّ أصحابُ العقول القذِرة والفِطَرِ المُنتكِسة)[1].

□ قال ابنُ القيم -رحمه الله-:

(وكذلك لا ضمانَ فِي تَحريقِ الكُتب المُضِلَّةِ وإتلافِها) .

□ قال المَرُّوذي :

(قلتُ لأحْمد : استعرتُ كتابًا فيه أشياءُ رديئةٌ ، ترى أنِّي أخرقه أو أحْرِقُه ؟ قال : نعم ، وقد رأى النَّبِيُّ ﷺ بيدِ عمرَ كتابًا اكْتَتَبَهُ من التَّوراة ، وأعجبه مُوافقتُه للقرآن ، فَتمعَّرَ وجهُ النَّبِي ﷺ ، حتَّى ذهبَ به عُمرُ إلَى التَّنور ، فألقاه فيه)[2].

---

(١) « شرح النونية » للشيخ مُحمَّد خليل هراس (١/٣٦٠ ، ٣٦١) .

(٢) « الطرُق الحُكميَّة » لابن القيم (٢٣٣ : ٢٣٥) .

❁ ابنُ خلْدُون لله دَرُّه :

◻ قال -رحمه الله-:

(وأمَّا حُكْمُ هذه الكُتبِ المُتَضمِّنة لتلك العقائدِ المُضلَّةِ وما يوجدُ من نُسختها بأيدي الناس ، مثل : (الفُصوص) و(الفُتوحات) لابن عربِي ، و(البُدْ) لابن سبعين ، و(خَلعِ النعلين) لابن قسي ، و(اليقين) لابن برَّجان ، وما أجدرَ الكثيرَ من شعر ابن الفارض والعفيف التِّلمساني وأمثالهما أن تُلحق بِهذه الكُتب ، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التَّائية من نَظْمِ ابن الفارض : فالحُكمُ فِي هذه الكُتب كلِّها وأمثالِها إذهابُ أعيانِها متَى وُجدت بالتَّحريقِ بالنَّارِ والغسلِ بالْماء ، حتَّى يَنمحيَ أثرُ الكتابةِ ، لِمَا فِي ذلك من المَصلحةِ العامَّةِ فِي الدينِ بِمحو العقائد المُضلَّة) .

◻ ثُمَّ قال :

(فيتعينُ على ولِيِّ الأمرِ إحراقُ هذه الكُتب دفعًا للمفسدةِ العامَّة ، ويتعينُ على مَن كانت عنده التَّمكينُ منها للإحراق ، وإلاَّ فينْزعُها ولِيُّ الأمر ، ويؤدِّبه على معارضتهِ على منعها ، لأنَّ ولِيَّ الأمر لا يُعَارَض فِي المصلحةِ العامَّة)[1].

❁ الحافظ ابنُ حَجَر العسقَلانِي وغضبُه لله ورسوله :

◻ قال الحافظ السَّخَاوي فِي ترجَمةِ الحافظ ابن حجر :

(ومِن الاتِّفاقاتِ الدَّالة على شدَّةِ غضبه لله ورسوله أنَّهم وجدوا فِي

---

(١) «العقد الثمين فِي تاريخ البلد الأمين» للفاسي (٢/١٨٠ ، ١٨١) .

زمنِ الأشرف برْسِباي شخصًا مِن أتباعِ الشيخ نَسيم الدين التِّبْريزي وشيخ الخروفِية المَقتول على الزَّندقة سنةَ عشرين وثَمانمئة -ومعه كتابٌ فيه اعتقادات مُنكرة-، فأحضروه ، فأَحْرَقَ صاحبُ التَّرجَمة الكتاب الذي معه ، وأراد تأديبه ، فحَلَفَ أنه لا يَعرفُ ما فيه ، وأنه وجده مع شخص ، فظنَّ أن فيه شيئًا من الرَّقائق ، فأُطلِقَ بعد أن تَبرَّأ مِمَّا فِي الكتابِ المذكور ، وتَشهَّدَ والتزمَ بأحكامِ الإسلام)[1].

۞ لآلئ البيان للشيخ ابن العُثيمين -رحِمه الله-:

◻ قال الشيخ مُحمد بن صالِح العُثيمين -رحِمه الله-:

(ومن هجرانِ أهلِ البدع تركُ النَّظر فِي كُتبهم خوفًا مِن الفتنةِ بِها ، أو ترويجِها بين الناس ، فالابتعادُ عن مواطنِ الضَّلال واجب ؛ لقوله ﷺ فِي الدَّجَّالِ : (**مَن سَمِعَ به فلْينأَ عنه ، فوالله إن الرجلَ ليأتيه وهو يَحسَبُ أنه مؤمن ، فيتَّبعُه مِمَّا يُبعثُ به من الشُّبهات**) .. رواه أبو داود ، وقال الألبانِي : وإسنادُه صحيح[2].

لكن إذا كان الغرضُ من النَّظرِ فِي كُتبهم معرفةَ بدعتهم للردِّ عليها ، فلا بأسَ بذلك **لِمَن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحَصنُ به ، وكان قادرًا على الردِّ عليهم** ، بل ربما كان واجبًا ؛ لأنَّ ردَّ البدعةِ واجبٌ ، وما

(١) « الجواهر والدرر فِي ترجَمة شيخ الإسلام ابن حجر » ، للسخاوي (٦٣٧/٢ ، ٦٣٨ - دار ابن حزم) .

(٢) وانظر لزامًا : الآداب الشرعية (٢٦٥/١) .

لا يَتِمُّ الواجبُ إلاَّ به فهو واجب)[١].

□ قال الحافظ أبو عُثمان سعيدُ بن عمر البَردعي :

(شهدتُ أبا زُرعة –وقد سُئل عن الحارثِ المُحاسبِي وكُتبه– فقال للسَّائل : إيَّاك وهذه الكُتبَ ، هذه كُتب بدعٍ وضلالات ، عليك بالأثرِ ، فإنَّك تَجدُ فيه ما يُغْنِيكَ عن هذه الكُتب .

قيل له : فِي هذه الكُتب عِبْرَةٌ .

فقال : مَن لَم يكن له فِي كتابِ اللهِ عِبْرَةٌ فليس فِي هذه الكُتب عِبْرَة ، بلَغكُم أنَّ مالك بن أنس وسُفيانَ الثوري والأوزاعيَّ والأئمةَ المُتقدمين صنَّفوا هذه الكُتبَ فِي الخَطراتِ والوساوسِ وهذه الأشياء ؟! هؤلاء قومٌ خالفوا أهلَ العلم .. ثُمَّ قال : ما أسرعَ الناس إلَى البدع !)[٢].

قاضي الجماعة ابنُ حَمدين الأندلُسي (ت : ٥٠٨) وإحراقُه لكتابِ إحياءِ علوم الدين :

هو شيخ القاضي عياضٍ ، ولِيَ القضاءَ فِي عهدِ يُوسفَ بن تاشفين ، فسار فيه أحسنَ سيرة ، وفِي عهدِ عليٍّ بن يُوسف بن تاشفين كان يَشغَلُ منصبَ قاضي الجماعة بقرطُبة ، وكان حَميدَ الأحكام ، واقفًا عند حدود الله ، صارمًا للحقِّ ، مُنكرًا للبدعة .

(١) « مَجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مُحمد بن صالح العثيمين » (٨٩/٥) .

(٢) « كتاب الضعفاء » لأبِي زرعة ، ضمن كتاب « أبو زرعة الرازي وجهوده فِي السنة النبوية » (٥٦١/٢ ، ٥٦٢) .

□ وقال عنه الذَّهبيُّ :

(وكان يَحطُّ على الإمامِ أبي حامد فِي طريقةِ التَّصوف ، وألَّفَ فِي الردِّ عليه) .

« ومُلخصُ القضيَّة أنه ما إنْ وصلَ كتابُ « إحياء علوم الدين » إلَى المغرب والأندلُس ، وقرأه الفقهاءُ السَّلفيُّون -خاصةً قاضي الجَماعة ابن حَمدين- حتَّى ثارت ثائرتهم ، فاجتَمعوا ، واتَّفقوا على ضرورةِ إتلافه ، لِمَا يتضمَّنه من الفكرِ الصُّوفِي ، ومذاهبِ الفلاسفة ، ورفعوا أمرَه إلَى أمير المسلمين عليٍّ بن يوسف بن تاشفين ، فنَزل على رأيهم ، وأصدرَ أمره إلَى جَميعَ الأقاليم التَّابعةِ لِحكمه بمُصادرةِ الكتاب وحَرْقه ، كما أمر بتفتيش المكتباتِ العامَّة والخاصَّة ، وأن يَحلفَ من يُشَكُّ فِي أمرهم بأنَّهم لا يَملكون كتابَ « الإحياء » .

وقد نُفِّذَ أمرُ عليٍّ بنِ يوسفَ على أكمَلِ وجه ، حيثُ جُمعت نُسَخُ « الإحياء » التي تَم العثورُ عليها ، وأُشْبِعت بالزَّيتِ ، وأُحرِقت على البابِ الغربيِّ من رَحْبةِ مسجد قرطُبة الجامع بِحضور جَماعةٍ من أعيانِ قرطُبة وعلمائها ، يتقدَّمهم القاضي ابن حَمدين ، وكان الإحراقُ عام ٥٠٣هـ .

وفِي الحقيقة أنَّ هذه الحادثة تُمثِّلُ موقفًا حازمًا ضدَّ التَّصوفِ الفلسفيِّ الذي يتضمَّنه كتابِ « الإحياء » .

قال الطُرْطُوشي المتوفَّى عام ٥٢٠ أنَّ الغزالِي فِي كتابِ « الإحياء » دخل فِي علومِ الخَواطرِ ومزاميرِ الصوفية ، ثُمَّ شاب ذلك بآراء الفلاسفة ، وأن

هذا الكتابَ إن تُرِكَ انتشر بين ظُهور الخلق ومن لا معرفةَ لَهم بِسمومه القاتلة ، وخِيفَ عليهم أن يعتقدوا صحَّة ما سُطِّرَ فيه مِما هو ضلال ، فَحُرِقَ قياسًا على ما أحرقته الصحابةُ -رضي الله عنهم- من صحائفِ المصحف التي تُخالفُ المصحف العثمانِي .

وقد أورد الذَّهبِيُّ مُلخَّص هذه الرِّسالة التِّي أرسلها أبو بكر الطرْطُوشي إلَى عُبيدالله بن مغفر يُجيبه فيها عن حقيقةِ الغزالِي »[1].

□ وفِي كلامِ القاضي عياض ما يدلُّ بذلك ، فقد أورد قضيَّةَ الحَرْقِ فِي كتابه « معجم أبِي علي الصَّدَفِي »[2]، وذَكَرَ أن الغزالِي غلا فِي طريقةِ التَّصوفِ بقوله :

(والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشَّنيعة ، والتَّصانيف العظيمة ، غلا فِي طريقةِ التَّصوف ، وتَجرَّدَ لِنُصرةِ مذهبهم ، وصار داعيةً فِي ذلك ، وألَّفَ فيه تَواليفَه المشهورة ، أُخِذَ عليه فيها مواضع ، وساءتَ به ظُنُونُ أُمَّة ، والله أعلم بسرِّه ، ونَفَذَ أمرُ السلطان عندنا بالمغربِ وفتوى الفقهاءِ بإحراقها والبُعد عنها ، فامتُثل لذلك)[3].

---

(١) انظر : « سير أعلام النبلاء » (١٩/٤٩٤ ، ٤٩٦) .

(٢) هذا الكتاب مفقود ، وقد أورد الذهبِيُّ هذا النصَّ فِي « السير » (١٩/٣٢٧) .

(٣) « السلفية وأعلامُها فِي موريتانيا » ، للشيخ الطيب بن عمر بن الحسين (١٩٣ ، ١٩٥) .

■ **قال ﷺ : (وإنه سيخرجُ فِي أُمَّتِي أقوامٌ تتجارى بِهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه ، لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مِفصلٌ إلاَّ دخله)**[١].

□ قال الشيخُ العلاَّمة عُبيدالله بن عبدالسَّلام المُباركفُوري عن قول النَّبِيِّ ﷺ فِي هذا الحديث :

(وفِي هذا التَّشبيه فوائدُ ، منها : التَّحذير من مقاربةِ تلك الأهواء ومُقاربة أصحابِها ، وبيانُ أنْ داءَ الكَلَبِ فيه ما يُشبه العدْوَى ، فإنَّ أصلَ الكَلَبِ واقع فِي الكَلْبِ ، ثُمَّ إذا عَضَّ ذلك الكلبُ أحدًا صار مثلَه ، ولَم يقدِر على الانفصال منه فِي الغالبِ إلاَّ بالهَلَكة ، فكذلك المُبتدع إذا أورد على أحدٍ رأيه وإشكالَه فقلَّما يَسْلَمُ من غائلته ، بل إمَّا أنْ يقعَ معه فِي مذهبه ويصيرَ من شيعته ، وإمَّا أنْ يُثبِّت فِي قلبه شكًّا يطمعُ فِي الانفصالِ عنه فلا يَقدِر ، هذا بِخلافِ المعاصي ، فإنَّ صاحبها لا يُضارُّه ولا يداخلُه فيها غالبًا إلاَّ مع طولِ الصُّحبة والأُنسِ به ، والاعتيادِ لِحضور معصيته ، وقد أتَى فِي الآثارِ ما يدلُّ على هذا المعنَى ، فإنَّ السَّلف الصالِحَ نَهَوْا عن مُجالستهم ، ومُكالَمتهم وكلامِ مُكالِمِهم ، وأغلَظوا فِي ذلك)[٢].

فإيَّاك ومُجالسةَ أهلِ البدع ، فكم لَهم من خَفيٍّ مكرٍ ودقيق كُفْرٍ !.

---

(١) صحيح : رواه أحْمد (١٠٢/٤) ، وأبو داود (٤٥٩٧) ، وصحَّحه الألبانِي ، كما فِي «السنة» لابن أبِي عاصم (٧/١) .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٢٧٨/١) .

■ قال ﷺ : (مَن سَمعَ منكم بِخروجِ الدَّجَّال فلْيَنأ عنه ما استطاع ، فإنَّ الرجلَ يأتيهِ وهو يَحسبُ أنه مؤمنٌ ، فما يزالُ به حتَّى يتَّبعه لِمَا يرى من الشُّبهات)[1].

❀ ❀ ❀

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٤/٤٣١) ، وأبو داود (٤٣١٩) من حديث عمران بن حُصين .



الفصل الثاني عشر

﴿ يا قومَنا أَجيبُوا داعيَ اللهِ ﴾

* * *

﴿ يَا قَوْمَنا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ ﴾

□ قال الإمامُ ابن القيم -رحمه الله-:

(أسْمَعَ -واللهِ- لو صادف آذانًا واعية ، وبصَّر لو صادف قلوبًا من الفسادِ خالية .. لكن عَصَفت على القلوبِ هذه الأهواء ، فأطفأت مصابيحَها ، وتَمكَّنت منها آراءُ الرِّجال ، فأغلقت أبوابَها وأضاعت مفاتيحَها ، ورانَ عليها كسبُها فلم تَجدْ حقائقُ القرآن إليها مَنفذًا ، وتَحكَّمت فيها أسقامُ الجهلِ ، فلم تنتَفع معها بصالِح العمل .

واعجبًا لَها ! كيف جعلَت غذاءَها من هذه الآراء التي لا تُسْمِنُ ولا تُغْنِي من جُوعٍ ؟! ولَم تقبلْ الاعتِداد بكلامِ ربِّ العالمين ونُصوصِ حديث نبيِّه ﷺ المرفوع ؟! أم كيف اهتَدت فِي ظُلَمِ الآراء إلَى التَّمييز بين الخطأِ والصواب ؟! وخَفيَّ عليها ذلك فِي مطالعِ الأنوارِ من السُّنة والكتاب ؟!.

واعجبًا ! كيف مَيَّزت بين صحيح الآراء وسقِيمها ، ومَقبولِها ومردُودِها ، وراجِحِها ومَرجُوحها ، وأقرَّت على أنفسها بالعجزِ عن تلقِّي الهُدى والعلمِ من كلامِ مَن كلامُه لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الكفيلُ بإيضاحِ الحقِّ مع غاية البَيان وكلامِ من أوتِي جوامع الكَلِم واستولَى كلامُه على الأقصى من البيان ؟!.

كلاًّ ، بل هي واللهِ فتنةٌ أعْمَت القلوب عن مواقعِ رُشدِها ، وحيَّرتِ العقولَ عن طرائقِ قَصْدِها ، يربو فيها الصغير ، ويَهرَمُ فيها الكبير .

وظَنَّت خفافيشُ البصائرِ أنَّها الغايةُ التي يتسابقُ إليها المُتسابقون ، والنِّهايةُ التِّي يتنافسُ فيها المُتنافسون ، وتزاحَموا عليها ، وهَيْهات ، أينَ السُّهى من شَمسِ الضُّحى ؟! وأينَ الثَّرى من كواكب الجوزاء ؟! وأينَ الكلامُ الذي لَم تُضْمَنْ لنا عصمةُ قائله بدليلٍ معلوم مِن النَّقلِ المَصدَّق عن القائلِ المعصومِ ؟! وأينَ الأقوالُ التي أعلى درجاتِها : أن تكونَ سائغةَ الاتباع ، من النُصوصِ الواجبِ على كلِّ مسلمٍ تقديمُها وتَحكيمُها والتَّحاكُمُ إليها في مَحلِّ النزاع ؟! وأينَ الآراءُ التِّي نَهى قائلُها عن تقليدهِ فيها وحذَّر من النُصوصِ التي فَرضَ على كلِّ عبدٍ أن يَهتَديَ بِها ويَتَبَصَّر ؟! وأينَ المذاهبُ التي إذا ماتَ أربابُها فهي من جُملةِ الأموات ، مِن النُصوصِ التي لا تزولُ إذا زالت الأرضُ والسماوات ؟! .

سُبحانَ الله ! ماذا حُرِمَ المُعرضونَ عن نصوصِ الوحي واقتباسِ العلمِ من مشكَاتِه من كنوزِ الذَّخائر ؟! وماذا فاتَهم من حياةِ القلوبِ واستنارةِ البصائر ؟! قَنعُوا بأقوالِ استَنْبَطتها معاولُ الآراء فِكرًا ، وتقطَّعوا أمرَهم بينهم لأجلها زُبُرًا ، وأوحى بعضُهم إلَى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرورًا ، فاتَّخذوا لأجلِ ذلك القرآنَ مهجورًا .

دَرَسَت معالِمُ القرآن فِي قلوبِهم فليسوا يعرفونَها ، ودَرَسَت معاهدُه عندهم فليسوا يَعمُرونَها ، ووقعت ألوِيَتُه وأعلامُه مِن أيديهم فليسوا يرفعونَها ، وأَفَلَتْ كواكبُه النَّيِّرةُ من آفاقِ نفوسهم ، فلذلك لا يُحبونَها ، وكُسفَت شَمسُه عند اجتماعِ ظُلَمِ آرائهم وعُقَدِها فليسوا يُبصِرونَها .

خَلَعُوا نصوصَ الوحي عن سُلطانِ الحقيقة ، وعزلُوها عن ولايةِ اليَقين ، وشَنُّوا عليها غاراتِ التَّأويلات الباطلة ، فلا يزالُ يَخرجُ عليها من جيوشهم كَمينٌ بعد كمين ، نزلت عليهم نُزولَ الضَّيفِ على أقوامٍ لِئام ، فعاملُوها بغير ما يليقُ بِها من الإجلالِ والإكرامِ ، وتَلقَّوها من بعيدٍ ، ولكن بالدَّفعِ في صدورِها والأعجاز ؛ وقالوا : ما لكِ عندنا من عُبورٍ -وإن كان ولابدَّ- فعلى سبيلِ الاجتِياز .

أنْزَلوا النُصوص مَنْزلةَ الخليفةِ في هذا الزَّمان ؛ له السِّكَّة والخُطبة ، وما له حُكْمٌ نافذٌ ولا سُلطان !! المُتَمسِّكُ عندهم بالكتابِ والسُّنة صاحبُ ظواهر ، مَبْخُوسٌ حظُّه من المعقول .. والمُقلِّدُ للآراءِ المُتناقضة المُتعارضة ، والأفكارِ المُتهافتة لديهم هو الفاضلُ المقبول ؛ وأهلُ الكتابِ والسُّنة المُقدِّمونَ لنصوصها على غيرها جُهَّال لديهم مَنقُوصون ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣] .

حُرِمُوا -والله- الوصول بعدُولِهم عن منهجِ الوحي ، وتَضْييعهم الأصول .. وتَمسَّكوا بأعجازٍ لا صدورَ لَها ، فخانتْهم أحرصَ ما كانوا عليها ، وتقطَّعت بِهم أسبابُها أحوجَ ما كانوا إليها ، حتَّى إذا بُعْثِرَ ما في القبورِ ، وحُصِّلَ ما في الصدورِ ، وتَميَّز لكلِّ قومٍ حاصلُهم الذي حصَّلوه ، وانكشفت لَهم حقيقةُ ما اعتقدوه ، وقَدِمُوا على ما قدَّموه ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] ، وسُقِطَ في أيديهم عند الحصاد لَمَّا عاينوا غَلَّة ما بَذَروه .

فيا شدَّةَ الحسرةِ عندما يُعَاينُ المُبطلُ سَعْيَه وكدَّه هَبَاءً مَنْثُورًا ، ويا عِظَمَ المُصيبةِ عندما يتبيَّنُ بَوارِقُ أمانيه خُلَّبًا وآمالَه كاذبةً غرورًا !! فما ظَنُّ مَن انطَوَت سَرِيرَتُه على البدعةِ والْهَوى والتَّعصُّب للآراء بربِّه يومَ تُبْلَى السَّرَائر ؟! وما عُذرُ مَن نَبَذ الوحيينِ وراءَ ظَهرِه في يومٍ لا تَنْفَعُ الظالمين فيه المَعاذِر ؟ .

أفيظنُّ المُعرِضُ عن كتابِ ربِّه وسُنةِ رسوله أنْ يَنجوَ مِن ربِّه بآراء الرِّجال ؟! أو يتخلَّص من بأسِ اللهِ بكثرةِ البُحوثِ والجدَال ، وضروبِ الأقيسةِ وتَنَوعِ الأشكال ؟! أو الإشاراتِ والشَّطحات ، وأنواع الْخيال ؟! .

هَيْهاتَ واللهِ ، لقد ظنَّ أكذَبَ الظنِّ ، ومَنَّتْه نفسُه أبينَ المُحال .. وإنَّما ضُمِنَت النَّجاةُ لِمَن حَكَّمَ هُدى اللهِ على غيره ، وتَزوَّد التقوى وائتَمَّ بالدَّليل ، وسَلَكَ الصراطَ المستقيم ، واستَمْسَكَ من الوحي بالعُروةِ الوثْقَى التِي لا انفصامَ لَها واللهُ سَميعٌ عليم) اهـ.

❁ عليكُم بالعتيق ، وإيَّاكم والهَمَجَ الرَّعاع :

إيَّاكم والْهَمَجَ الرَّعاعَ الذين ضَلُّوا وتنكَّبوا الطريق ، المُحقبين[1] دينَهم ، أشباهَ الرِّجال الذين تَنَكَّبُوا الجَادةَ وتَركوا المَحجَّةَ البيضاء .

□ وهم الذين عناهم عليٌّ رضي الله عنه حين قال لكميل بن زِياد :

(وهَمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ ، لَم يستضيئوا بنورِ العلمِ ، ولَم يلجؤوا إلَى رُكنٍ وثيق .. أُفٍّ لِحاملِ حقٍّ لا بصيرةَ له ، ينقدحُ الشَّكُّ في قلبِه بأولِ

---

(١) المُحقبُ : المقلِّدُ التابع لغيره ، من الإحقاب ، وهو الإرداف وشَدُّ المتاع وراءَ ظهر الراكب .

عارضٍ من شُبهة ، لا يدري أينَ الحقُّ ، إنْ قال أخطأ ، وإنْ أخطأَ لَم يَدْرِ ، مَشْغُوفٌ بِما لا يدري حقيقتَه ، فهو فتنةٌ لِمَن فُتِن به) .

□ وعن عليٍّ ﷺ قال :

(إيَّاكم والاستِنانَ بالرِّجال ، فإنَّ الرجلَ لَيعملُ بعملِ أهلِ الجنَّة ، ثُمَّ ينقلبُ -لعلمِ الله فيه- فيعملُ بعملِ أهلِ النَّار ، فيموتُ وهو من أهلِ النَّار ، وإنَّ الرجلَ لَيعملُ بعملِ أهلِ النَّار ، فينقلِبُ -لعلمِ الله فيه- فيعملُ بعملِ أهل الجنَّة ، فيموتُ وهو من أهلِ الجنَّة ، فإنْ كنتم لابدَّ فاعلين ، فبالأمواتِ لا بالأحياءِ) .. وأشار إلى رسولِ الله ﷺ وأصحابه الكرام .

□ وفِي « الصحيح » عن أبِي وائلٍ قال :

(جَلستُ إلَى شَيْبَةَ فِي هذا المسجد فقال : جلسَ إلَيَّ عُمر فِي مَجلسكَ هذا ، قال : هَممتُ أن لا أدعَ فيها صفراءَ ولا بيضاءَ إلاَّ قسَمتُها بين المسلمين .. قلت : ما أنتَ بفاعل . قال : لِمَ ؟ قلتُ : لَم يفعلْه صاحِباك . قال : هُما المرءانِ أهْتَدي بِهما) .. يعنِي النَّبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ ﷺ .

❁ دُرَّةٌ من دُرَرِ ابن القيم :

□ قال -رحِمه الله- فِي بيانِ أقسامِ الناس من حيثُ المُخالطة :

(القسمُ الرابع : مَن مُخالطَته الهَلاكُ كلُّه ، ومُخالطتُه بِمنْزلةِ أكلِ السُّم ، فإنْ اتَّفقَ لآكله ترياقٌ ، وإلاَّ فأحسنَ اللهُ فيه العزاء ، وما أكثرَ هذا الضربَ فِي الناسِ -لا كثَّرهُم الله-! وهم أهلُ البدع والضَّلالةِ الصَّادُّون عن سُنَّةِ

رسولِ الله ﷺ ، الدَّاعونَ إِلَى خلافِها ، الذين يصدُّون عن سبيلِ الله ويبغُونَها عِوجًا ، فيجعلونَ السُّنةَ بدعةً ، والبدعةَ سُنةً ، والمعروفَ مُنكرًا ، والمُنكرَ معروفًا .

فالحزمُ كلُّ الحزمِ التماس مرضاةِ الله تعالَى ورسوله بإغضابِهم ، وألاَّ تَشتَغل بأعتابِهم ولا باستِعتابِهم ، ولا تُبالِي بِحبِّهم ولا بُغضهم ، فإنَّه عينُ كمالك)[1].



(١) « بدائع الفوائد » لابن القيم (٢٧٥/٢) .. ويراجع كتاب « إجْماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء » لخالد بن ضحوي الظفيري ، فهو نافعٌ فِي بابه ، وأبَى الله العصمةَ إلاَّ لكتابه .

الخاتمة

فهذه أقوالُ السادة من علماء سَلَفِنا وعُبَّادهم ، ومَن نظر فيها عَلِم تقصيرَه وتَخلُّفَه عن درجات الرجال ، فهلاَّ استمعنا إِلَى حشاشة قلوبِهم وأنفُسهم -قد أذابوها لنا عَسَلاً مصفًّى- فِي الدعوة إِلَى الاتباع والنهي عن تقليد الرجال ، وذمِّ الابتداع ، حتَّى لا نَحيدَ عن المَحجَّةِ البيضاء التِي تركها لنا رسولُ الله ﷺ .

هيَّا إِلَى الطمأنينة واليقين عملاً بِهَديِ سيِّد المرسلين ﷺ :

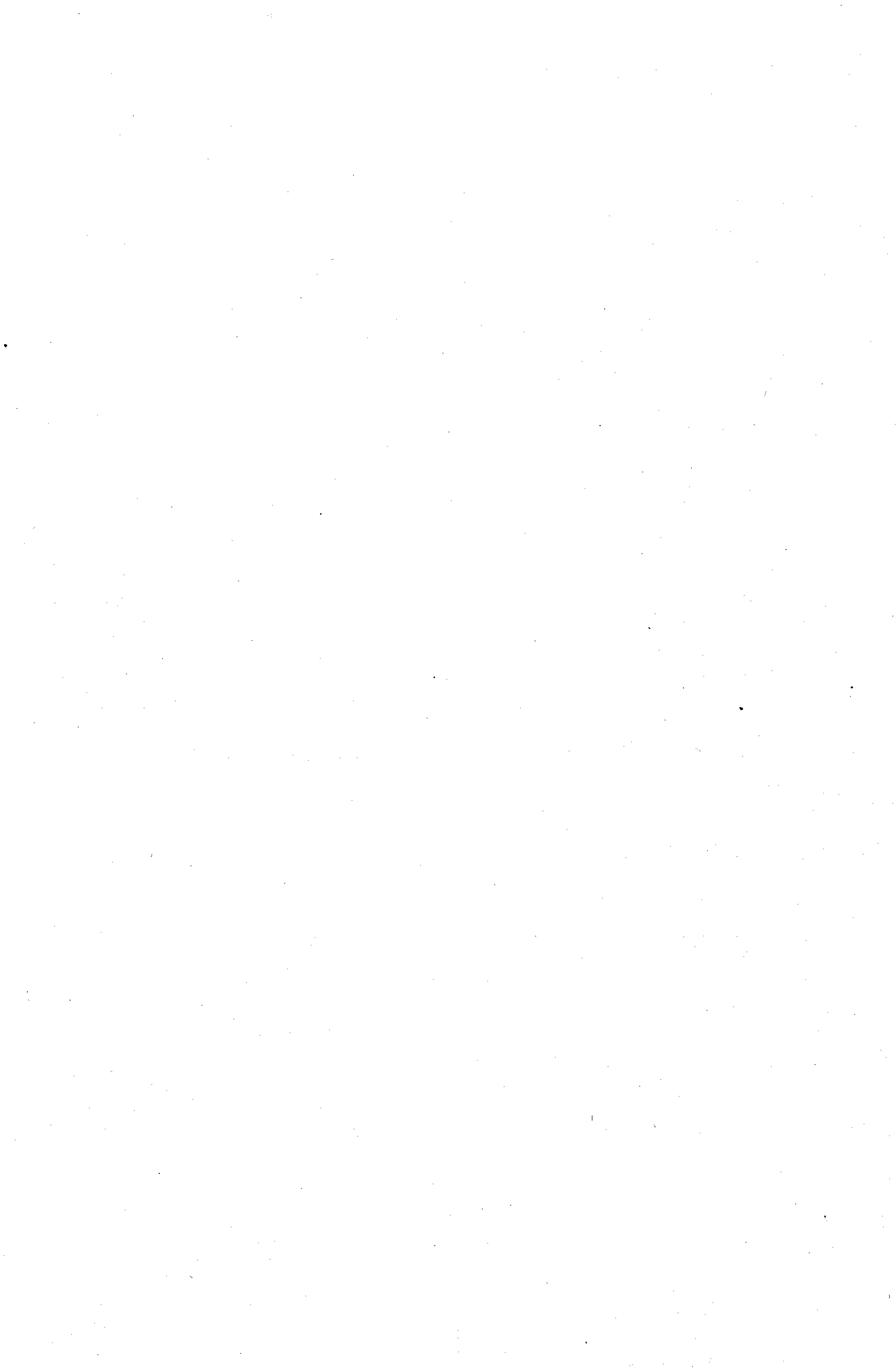
(أمُتهوِّكون أنتم بعدي -وقد جئتكم بِها بيضاءَ نقيَّةً-؟!! واللهِ لو كان موسى بنُ عِمرانَ حيًّا ما وَسِعه إلاَّ اتباعي) .

فاللهمَّ ارزُقنا الثباتَ على الاتباع ، وشرفَ الدعوة إليه ، والعيشَ فِي ظلاله .

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمين ، وصلَّى اللهُ على الحبيب مُحمَّد وعلى آلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّم .

الفقير إِلَى عفو ربِّه

سيد بن حسين العفاني



فهرس الموضوعات

* * *



فهرس الموضوعات

تم الكتاب بحمد الله تعالى